ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات

لصاحب الدولة

لطفي بك الحفّار

الجزء الأول

عني بجمعها ونشرها

وجيه بيضون

مطابع ابن زيدون بدمشق

١٣٧٣ ١٩٥٤

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY
0031307418

ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات

لصاحب الدولة

لطفي بك الحفّار

عني بجمعها ونشرها

وجيه بيضون

مطابع ابن زيدون بدمشق

١٣٧٣ ١٩٥٤

956.9
H119
v.1

16541E

صاحب الدولة لطفي بك الحفار

بين يدي القارئ

من الشخصيات الممتازة التي دخلت تاريخ العرب في هذا العصر بصورة عامة ، وتاريخ سورية العربية بصورة خاصة ، دولة لطفي بك الحفار .

ولكل شخصية من مميزاتها وخصائصها ما يذكره التاريخ الذي يعرف كيف يستصفي ويغربل ، وكيف ينصف ويعدل . (وأما الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

ولقد شهد العصر الاخير في أواخره ، والعصر الطالع في مطلعه، شخصيات فذّة في دنيا العرب والعروبة كان لها أثرها القوي في العمل المثمر ، والجهاد الأغر ، والتوجيه السديد .

وفي جملة هذه الشخصيات ، ان لم نقل في مقدّمتها ، شخصية مُترجمنا دولة الحفار الذي ماشى النهضة العربية في تاريخها البعيد ، منذ الحكم العثماني واعلان الدستور الى يومنا هذا . فأبلى البلاء الحسن في الحقل الاقتصادي ، والكفاح السياسي ، والانشاء العمراني .

أجل لقد ضحى وفادى وناضل يوم كانت التضحية والتفدية والنضال معنى من معاني التمرد يُجزى عليه صاحبه بالنفي والسجن والتشرد .

ولقد وقف يقظةَ عُمره وغايةَ غاياته من دهره على الكفاح لخير غيره ، ما يعرف من دنياه الا السموّ يحث اليه صلاحاً واصلاحاً .

في العهد العثماني ومنذ اعلان الدستور ، ربض كالاسد الهصور ، في وجه سياسة التتريك، ماينى وزملاؤه في الجهاد عن المطالبةباستقلال البلاد .

وفي العهد الفيصلي كان أحد الأفراد القلائل في الاخلاص للاستقلال المرجو ودفع أذى العدو .

وفي عهد الانتداب الفرنسي الذي طال أمره واشتد شره، احتسب نفسه في مناهضة المسيطر الغاشم ، والهدّ من سياسته ، والحيلولة دون طغيانه ، وفضح مؤامرته في سلطانه ، وتنظيم السلبية القوية ضد عدوانه ، والثبات في اطّلاب حقوق البلاد ، وبث المبادىء القومية والاخلاق القويمة .

وفي عهد التحرر والجلاء كان المثال الرائع للادارة النزيهة النادرة والحكم السديد الناصح ، سواء في الوزارة او النيابة او السفارة بين الدول العربية او غير ذلك من المهام التي قام بها خير قيام .

وفي شتى هذه العهود لم يَنِ عن خدمة بلاده اقتصادياً وعمرانياً واجتماعياً وفكرياً ، حتى ليرجع اليه الفضل الأوفر في كثير من

مشروعاتنا الحاضرة المزدهرة . وبحسبه مشروع إسالة مياه الفيجة الى دمشق وضواحيها ، وهو المشروع العمراني الصحي الذي يعد من مفاخر سورية الخالدة ، لانه أنقذ الصحة العامة من الاوباء والامراض التي كانت تغزوها ولا مردَّ لها ، وتطيح بحياة الالوف المؤلفة . ورد عنه اطماع الشركات الاجنبية وأتمه وطنياً صرفاً بأمواله ورجاله بعيداً عن الربح التجاري ؛ والاستثمار المادي .

فاذا ذكر التاريخ جهاد المجاهدين ، وعمل العاملين ، واخلاص المخلصين ، ثم نهضة العرب ، فسيذكر ما من شك لدولة الحفار خلال التضحية المجردة ، والوطنية الصادقة ، والعزيمة الناهضة ، والثبات الدؤوب ، والسياسة الرشيدة ، الى جانب السمو والتعفف في حياته العامة والخاصة . بل هو سيسلكه بين القلائل في هرم الخلود الوطني .

وان حياة كحياته الكريمة ، زاخرةً بالجلائل والامجاد ، لقمينة والله بالرسم والترسم ، والذكر والتذكير ، والتمجيد والتخليد .

وهذا لا سواه ما دفعني الى الالتماس من دولته ان يسمح بنشر بعض آثاره ، بل مآثره ، في خطبه ومقالاته وأحاديثه التي صدرت عنه في خلال اربعين من السنين .

وكان أن أنكر عليَّ ملتمسي ، وكان ان فزت آخراً بالموافقة .

وما قصدت في اخراج هذا السفر وما سيتبعه من مثله ان شاء

الله الا ان أحفظ آيات من الاحسان يُخشى عليها النسيان ، واقدم للجيل الصاعد ما يُعينهم على الهَدْي في تاريخ بلادهم ، وما يكون لهم غذاء نافعاً في نفوسهم، وما يقتضيهم الترسم والاحتذاء ، ثم مايكسبهم شرف المفاخرة بالرجال اذا ما فاخر غيرهم برجالهم وابطالهم .

وأعترف بانني لم أعرض فيما أثبتّه في هذا الكتاب، للخطب السياسية والتشريعية التي ألقاها من جمعتُ آثاره ، في المجالس النيابية المتعاقبة التي كان فيها نائباً عن دمشق ، أجل لم أعرض منها الا للقليل مما له علاقة بالحوادث الكبرى ، وللمستقصي ان يراجعها في محاضر جلسات الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨ والمحاضر الرسمية لجلسات المجالس النيابية .

وغاية المرجو ان اكون قد أدّيت بعض الواجب بين يدي التاريخ، وأن أكون قد أوفيتُ على الغاية من هذا الكتاب بين يدي القارىء .

وجيه بيضون

لطفي الحفار في تاريخ حياته

قال احد الكتاب المترجمين يصف لطفي بك الحفار :

« جمجمة كقمة صنين في الشتاء لا ترى العين فيها من النبت الا بقايا اسطر سمح الدهر بها ثم محاها .

نظرات عميقة تطفو عليها لمحات الذكاء وقوة التفكير وصدق العزيمة ، وحديث تمتزج به الرصانة والوقار ، ويحسن تنسيقه العقل والمنطق ، فيفعل في النفوس فعل الخمر بالرؤوس ، واكثره عن الوطن والوطنية ومصلحة الوطن واستقلاله السياسي والاقتصادي وسيادته ، وامجاد العرب ، ورفعتهم ، ولا بدع ان يكون حديث الوطن شغل لطفي الحفار الشاغل ، فهو من ألمع رجالات الوطن ، ومن أوفرهم اخلاصاً وتضحية » .

كان لطفي الحفار فتى يافعاً عندما تفتحت عيناه على هذا الوطن وفي صدره خفقة الوطنية ، فعُرف وهو طالب على مقاعد الدراسة بنزعته القومية الاستقلالية ، وكانت تتعشق نفسه الحرية وتطرب جوارحه للفظة الوطن . وكان رفاقه يومئذ في العمل الوطني محب الدين الخطيب ، وصلاح الدين القاسمي ، ورشدي الحكيم ، وصلاح الدين العظم ، وعثمان مردم بك ، وعارف الشهابي ، وصالح قنباز ، وجورج حداد ، وسامي العظم وغيرهم ...

هذه العصبة من الشباب كانت تعمل للفكرة العربية القومية وتقاوم تلك العناصر التي تشكل الدولة العثمانية في ايام السلطان عبد الحميد وطغيانه .

ويرجع تاريخ هذه الجمعية العربية السرية الى عام ١٩٠٥ ، فأقيمت لها فروع في مصر واليمن والآستانة وكان يدفعهم للعمل حماس الشباب الذي ألهبه في نفوسهم اقطاب الدعوة الاصلاحية من رجال الدين ، أمثال الاساتذة الشيخ طاهر الجزائري ، وجمال الدين القاسمي ، وعبد الرزاق البيطار ، ومن الرجال العاملين تحت لواء هؤلاء ، عبد الوهاب الانكليزي ، وشكري العسلي ، والامير شكيب ارسلان وغيرهم ..

وعندما أعلنت جمعية الاتحاد والترقي الدستور العثماني في عام ١٩٠٨ برزت جمعية النهضة العربية الى الميدان السياسي واحتفلت باعلان الدستور العثماني في مقهى القوتلي بحفلة كبرى كان من أبرز خطبائها لطفي الحفار ورشدي الحكيم وسليم الجزائري والدكتور شهبندر واسعد الطرابلسي ، وكان لطفي بك منذ ذلك الحين يعمل مع اخوانه الشباب في سبيل النهضة الفكرية فأسسوا الأندية في مختلف انحاء البلاد وألقوا من الخطب والمحاضرات عن تاريخ الامة العربية وأمجادها ما يصح ان يكون تاريخاً للحركة القومية ، وطالما اصطدموا مع الاتحاديين في سبيل هذه الدعوة وهاتيك المبادىء .

وفي أيام الحرب الكبرى يوم اعتقل ذلك الفريق من أبناء القضية العربية وسيق الى المجلس العرفي في عاليه ، لعب لطفي بك دوره البارع وعرف كيف ينجو بلباقته ودهائه من قبضة جمال السفاح . وقبع متواريا بعيداً اشهراً طويلة يدرس ويعمل ويراسل اخوانه ...

وعلى أثر دخول الفرنسيين سورية كانت له جولات كبيرة موفقة في الميادين الاقتصادية والمالية ، فسمعت البلاد يومئذ اول صرخة داوية في وجه الاتفاقات الجمركية التي عقدتها السلطات مع حكومة فلسطين بشأن التبادل التجاري بين البلدين .

وكان لتلك الصرخة اثرها في توجيه السياسة الاقتصادية في البلاد فلمع نجم لطفي الحفار رجل الوطنية والاقتصاد ، واصبح منذ عام ١٩٢٣ لولب الحركة في الغرفة التجارية فترأس المؤتمرات الاقتصادية في سورية ولبنان ، ووضع التقارير الضافية عن مساوىء السياسة التي كانت متبعة في ذلك الحين ، سواء كان ذلك في الضرائب او الجمارك فقوبلت اعماله في الحقل العام بالاكبار والاعجاب .

وعندما عهدت اليه حكومة الاتحاد السوري مع المرحوم واثق المؤيد العظم بدرس القضية الجمركية وحصة سورية من مجموع وارداتها جمع دولته الوثائق العامة والبيانات الضافية التي اثبتت حق سورية بنحو سبعين بالمئة من مجموع واردات الجمارك وما زالت تعتبر تلك التقارير والبيانات وثائق رسمية تحتفظ بها الحكومة وهي ناطقة بالاحصاءات الدقيقة والارقام .

وفي سنة ١٩٢٤ قامت فكرة مشروع جر مياه عين الفيجة الى دور دمشق وكانت تتبناها يومئذ بعض الشركات الاجنبية ، فدعا رجال الوجاهة والاعمال الى جلسات عقدت لدرس المشروع ، وانتهى الأمر بان تقدمت هذه الفئة من رجال البلاد الى الحكومة بمشروع وطني صرف لجر المياه من عين الفيجة الى أحياء دمشق ودورها .

وقام المشروع على أسس صحيحة ثابتة يدعمها الاخلاص المتفاني والتجرد ، فكان اول مشروع وطني بلغت نسبة نجاحه مئة بالمئة دون أن تمتد اليه يد اجنبية .

وكلما جاء ذكر هذا المشروع الحيوي الهام ذكر الى جانبه اسم لطفي الحفار ركن المشروع الركين .

وعندما نشبت الثورة السورية في سنة ١٩٢٦ كان دولته يعمل مع اخوانه لتحقيق أهداف الثورة بالطرق السياسية الواعية ، لتجني البلاد ثمراتها . واتصل هو واخوانه فارس الخوري ، وفوزي الغزي والامير امين ارسلان بالمفوض السامي دي جوفنيل الذي أرسلته حكومته وقتئذ لحل المشكلة السورية .

ثم تشكل وفد كان احد اعضائه اجتمع الى رجال الثورة العاملين في مقر الثورة بجبل الدروز ثم سافر الى بيروت لمفاوضة الجانب الافرنسي . وانتهت المفاوضات الى برنامج معلوم ينص على وجوب استبدال الانتداب بمعاهدة تعترف للبلاد السورية بالسيادة والاستقلال ، وعلى أساس هذا البرنامج اشترك في وزارة الداماد أحمد نامي . وكان يمثل الجانب الوطني مع اخوانه فارس الخوري وحسني البرازي ، وعلى اثر استقالة دي جوفنيل استقال لطفي بك من الوزارة وفي اليوم الثاني اعتقلته السلطات الافرنسية مع اخوانه فارس الخوري ، وفوزي الغزي ، وسعد الله الجابري ، وحسني البرازي وغيرهم . وارسلتهم الى اقاصي الصحراء في الحسجة حيث قضوا زهاء سنتين .

وفي اواخر عام ١٩٢٨ أصدر المفوض السامي الجديد المسيو بونسو أمراً بالافراج عنه وعن اخوانه ودعيت البلاد الى انتخابات الجمعية التأسيسية ففاز لطفي الحفار بالنيابة باجماع الاصوات .

وفي سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٣٧ كان رئيساً للجنة المالية في المجلس النيابي السوري .

وفي حزيران سنة ١٩٣٨ تقلد وزارة المالية وفي ايار سنة ١٩٣٩ عهد اليه برئاسة الوزارة الوطنية فقبلها ولكنه ما لبث ان استقال منها

لتأزم الموقف السياسي في ذلك الحين . وابان في استقالته هذه الاسباب السياسية التي دعته لهذه الاستقالة بكل جرأة ووضوح .

وفي ١٥ تشرين الاول ١٩٤٠ التجأ دولته الى القطر العراقي فاراً من المؤامرات التي حاكها الفرنسيون واعوانهم عليه وعلى اخويه سعد الله الجابري وجميل مردم .

ثم عاد الى دمشق في شهر نيسان من عام ١٩٤١ حيث تابع جهاده الوطني الى أن انجلت الغمة عن الامة ودعيت البلاد الى انتخابات عام ١٩٤٣ ففاز بالنيابة عن دمشق شأنه في كل حركة انتخابية تضع الامة بدولته ثقتها .

ثم تولى وزارة الداخلية ، فكان في إبان العمل القائم لمقاومة الفرنسيين وجلائهم عن البلاد .

ولما تم الجلاء عن سورية وكان أحد أبطاله العاملين في الحقل الوطني تابع جهاده في الوزارة القائم عليها ؛ الى أن استقال منها وكان ذلك في اواسط عام ١٩٤٦ بعد ان تم جلاء آخر جندي اجنبي .

ثم جرت الانتخابات عام ١٩٤٧ فكان من الفائزين بالنيابة عن دمشق مرة جديدة . وقد مثل هذه النيابة خير تمثيل بما يفيد أمته ووطنه كما يشهد بذلك اعداؤه قبل معارفه .

وفي غضون جميع الادوار المار ذكرها كان لايتوانى قيد شعرة عن خدمة مشروع عين الفيجة والاشراف على كافة أعمالها التي كانت سائرة نحو النجاح والتوفيق بصورة مطردة لخدمة العاصمة السورية من الوجهتين العمرانية والصحية بعيدة عن كل استثمار تجاري او نفع مادي .

ولا نزال نذكر تلك المواقف الوطنية المشرفة والخطب الرائعة التي رددتها قاعة المجلس النيابي لدولته في العهد الوطني الاخير .

وفي خلال هذه الحقبة الطويلة في تاريخ البلاد السياسي الحديث كان لطفي الحفار مثال النزاهة والجرأة والتضحية وكان ولا يزال علماً من اعلام الوطنية الخفاقة في صفحة هذا الوطن المجاهد ، فما استهوته في يوم من الايام شهوة الحكم ولاسخرته لذة الكرسي التي عافهـــا بشمم واباء حينما قضت مصلحة بلاده بذلك .

الأتراك والحضارة العربية

مقال نشرته جريدة (العرب) الصادرة بتاريخ ١٤
تشرين الاول عام ١٩١٨ وكان رئيس تحريرها السيد خيرالدين الزركلي

عندما بدأت الشعوب العربية تشكو استبداد الخلافة العثمانية ، والعمل على هضم حقوق العرب ، وعدم احترام لغتهم في مدارس الحكومة التي لم يكن غيرها في أغلب الولايات العربية ، ومقاومة تعليم تاريخهم ، ومدى ما أسدوه من أنواع الحضارة والثقافة في مختلف البلاد التي دانت لهم في الشرق والغرب ، وطمس هذه الحقائق وتجاهلها ، وتعمّد انكارها كي لاتكون حافزاً لهم للمطالبة بنشر لغتهم وتعلّمها ، ومراجعة مصادر التاريخ في الكتب والمكتبات العربية ، ثم استيلاء الاتحاديين على مقدرات البلاد العثمانية والعمل على فكرة تتريك العناصر العربية ، وغيرها التي كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية ـ قام في هذه الحقبة من الزمن أيام عبد الحميد ، نفر من العاملين القوميين ، ينبهون أذهان الطلبة العرب ، ويوقظونهم ، ويبثون في أفكارهم فكرة الدعوة الى المطالبة بحقوق العرب ، وتدارس أمجاد امتهم وتاريخهم ، واحياء لغتهم ودراستها ، وكان ذلك بقيادة شيوخ من رجال الدين المصلحين ابتدأت بجمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في مصر والشيخ طاهر الجزائري في سوريا واخوانه امثال جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار والامير شكيب أرسلان ، وتبعهم

وآمن بدعوتهم نفر من شباب العرب النابهين امثال شكري العسلي وعبد الوهاب المليحي (المعروف بالانكليزي) والدكتور شهبندر ، ومحب الدين الخطيب ، وغيرهم ، فألفوا حلقات للاجتماع والبحث في بيوتهم واجتماعاتهم الخاصة انجلت عن تأسيس (جمعية النهضة العربية) وهي اول جمعية قامت تطالب بحقوق العرب وتبث فكرة الدفاع عن استقلال الامة العربية وعن كيانها وانضم اليها صفوة من مفكري شباب العرب والمتحمسين لامجاد امتهم ، والعمل على يقظة الامة واسترداد حقوقها السليبة ، واسست لها فروع في الآستانة واليمن والعراق ، وكانت من الجمعيات السرية ، وحينما اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ اعلنت نفسها في دمشق باسم (جمعية النهضة السورية) تفاديا من ضغط الاتحاديين الذين كانوا اصحاب النفوذ والحكم والذين دهشوا حينما أعلنت عن نفسها ، واحتفلت بعد اعلان الدستور بمقهى القوتلي بعودة الحرية للبلاد العثمانية ، وخطب في هذا الاحتفال كل من الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، وسليم بك الجزائري ، وأسعد بك الطرابلسي ، وجورج حداد ، ولطفي الحفار ، ورشدي الحكيم .

ثم تأسست بعد النهضة العربية (جمعية العربية الفتاة) ، وقد اشترك فيها جميع الذين جاهدوا للاستقلال العربي في سوريا والعراق والحجاز .

وبعد تأسيس « العربية الفتاة » تأسس في الاستانة والعراق وسوريا (جمعية العهد) ومهمتها العمل لأجل تحقيق استقلال البلاد العربية ووحدتها ، وقد دخل في هذه الجمعية الرجال العاملون لبث الفكرة القومية من أبناء الامة العربية لتحقيق هذا الاستقلال بجميع الطرق

الممكنة ، واتخذت هذه الجمعيات المناداة بالاستقلال والوحدة شعاراً لها ، وبث الدعوة بالفكرة القومية العربية بين الأبناء الناشئين غاية كبرى ، وقد كان الاتراك في امبراطوريتهم العثمانية يعملون لانكار حق امتنا العربية وطمس آثارها ومعالمها ، والامة العربية عند ظهورها وامتداد فتوحاتها لم تكن الاحامية للعلم شرقا وغربا ، فقد قال جيبون احد مؤرخي الانكليز : « إن ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على تحصيله ، وكان من ذلك ان تمكن حب العلم ووجدان اللذة في الانكباب عليه في نفوس الناس من سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ».

هذه كلمة المؤرخ الانكليزي التي أيدها تاريخ العرب ايضا ، فان الباحث في اقوال مؤرخينا يرى انه لم يكن ليخلو عصر من العصور الاسلامية السالفة من آثار تذكر في تاريخ الحضارة العربية ، فقد أثرت هذه الأمة تأثيراً كبيراً في تاريخ حضارة القرون المتوسطة ، فازدانت ممالكها بالمدارس التي أسست في بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والاسكندرية والقاهرة والقيروان وقرطبة وغرناطة ، وغيرها من المدن ، وكان يختلف اليها الناشئة من جميع الطبقات ، فقد ذكر ان الذين كانوا يعنون بدرس العلوم في مدينة بغداد وحدها ستة آلاف تلميذ ، منهم ابن أعظم العظماء في المملكة ، وابن أفقر الصناع فيها ، غير أن ابن الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه ، وكان للاساتذة الرواتب الوافرة ، وقد كانت الأندلس غاصة بالمكاتب والمدارس الجامعة ، ولم تخل مدينة من مدارس متعددة .

اما الصناعة فقد انتشرت في العالم العربي انتشاراً مدهشاً ، ولم يخل قطر من الاقطار من آثار تحفظ للعرب ذكرى حضارتهم ، فان ما ذكره التاريخ عن دخول التتر دمشق وأخذ الصناع الذين كانوا يشتغلون في الصنائع النفيسة فيها ، كاف للدلالة على ما كان لهذه الامة من الشأن في تاريخ الحضارة ، التي قضى التتر أثناء غزواتهم للبلاد العربية على معظم معالمها وآثارها .

وخير ما يمثل لنا تلك العصور الذهبية آثار القصور والمساجد القديمة في قرطبة والقاهرة وبغداد وتونس وقد اشتهر عدا ما تقدم في العالم الاوربي مما صنعه العرب صناعة الزجاج والصيني والميناء والبسط المصرية والنسيج الدمشقي الذي كان يحمل منها الى مدائن اوربا المقادير العظيمة .

اما الزراعة فقد أخذها العرب من زراع مصر والعراق ، وسعوا في ترقيتها ، وقد جلبوا في اسفارهم من الهند الى إفريقية زراعة الارز وقصب السكر والقطن ، وغيرها ونشروها في جميع البلاد التي حلّوا فيها .

اما التجارة فقد سافر العرب طلباً للرزق شرقاً وغرباً ، ووصلوا في أقصى الشرق الى مدينة كانتون في الصين وفي الغرب الى منابع السنغال في افريقية الغربية وفي الجنوب الى حدود خط الاستواء . وقد سبق تجار العرب الاوربيين في اكتشاف افريقية .

بقيت آثار العرب ظاهرة في كل عصر حتى جاءت دولة الترك فكانت هي الحاجز المانع الواقف في سبيل تقدم العرب العلمي والصناعي . فقد قال سيرهوى جونسون في كتابه فتوح افريقية ما معناه : يعتبر الاوروبيون ان توقف نجاح العرب انما كان باتصالهم مع الترك .

أما الآن ، وقد ازيحت تلك العراقيل باستخلاصنا لهذه البلاد التي جبلت بدماء السلف ، وأسست فوق جماجم رجالنا ، فما علينا الا أن نقوم قومة رجل واحد ونسعى جهدنا في نشر التعليم ودرس الصنائع الحديثة ، وتأسيس ملكنا على قواعد العلم والقوة ، واستخلاص حقوقنا من الذين يريدون عدم الاعتراف بها اومقاومة تحقيقها ، وآمالنا كبيرة بعد ان اشترك العرب في هذه الحرب مع الحلفاء بثورتهم ، وضحوا برجالهم وشبابهم ، ان ينالوا حقهم في الحرية والاستقلال بزعامة الملك الهاشمي الذي أعلن ثورته الكبرى على الاتراك ، الذين ارادوا القضاء على العرب والعروبة وامجادها .

التجارة عند العرب

محاضرة السيد لطفي الحفار

(ألقاها في حفلة التجار لسمو الامير فيصل المعظم)

نشرتها جريدة (لسان العرب) بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩١٨ لرئيس تحريرها ابراهيم حلمي العمر

سادتي واخواني :

ان القيود الثقيلة والمظالم الفظيعة والاستئثار الجائر والتحكم الهائل الذي كنا نكابده ايام حكومة الترك جعلنا نحن معاشر التجار نقف مكتوفي الأيدي امام كل عمل يتطلبه منا هذا الوطن البائس . أما الآن وقد انقذنا الله من عهد الاسر والهوان والاغتصاب والمصادرات وأنعم علينا بنعمة الاستقلال الذي لاتفوقه نعمة تحت ظل الراية العربية المحبوبة بفضل جهاد هذا الامير الخطير والقائد الكبير ابن مولانا مليكنا المعظم أيده الله والذي نحييه الآن ونحيي فيه الشمم والاباء . فهو الذى انقذنا من مخالب الاتراك وهو الذي يجب ان يدعى بحق (منقذ العرب) وكفى .

ان الدماء العربية الطاهرة التي اريقت في جانب دماء حلفائنا الابطال لاجل سعادة هذه البلاد وانقاذها من ايدي الظلمة المخربين

هي التي تدعو كل فرد منا الى واجب القيام بالاعمال الواجبه ، كل فرد على حسب اقتداره ومقدار معرفته ، فالكاتب والخطيب والاستاذ والميكانيكي والصانع والعالم والموظف والتاجر والمهندس والطبيب ، كل منهم عليه أن ينصرف الى العمل الذي تخصص له في هذه الحياة لانهاض هذه البلاد التي وهبها الله كل شيء من النعم العظيمة . فالتربة جيدة والميـــاه غزيرة والمعادن موفورة والجبال شاهقة منبتة والسهول خصبة والهواء نقي معتدل والسماء صافية الاديم والثروة الطبيعية عظيمة جداً تحتاج الى الجد والعمل . وانما قامت أسس الحياة على قواعد نحن في أشد الحاجة اليها وأعني بهـا الصناعة والزراعة والتجارة . ونحن العرب احق الامم بالتجارة والالتفات الى احراز قصب السبق فيها لأن اجدادنا كان لهم النصيب الاوفر في الاتجـار والاسفار وتجشم الاخطار لأجل احراز الثروة والمنعة . واستميحكم عذراً أيهـا السادة اذا تكلمت قليلا عن تاريخ اشتغال اجدادنا بالتجارة وعلى الاخص اهمية هذه البلاد التجارية التي نستنشق نسيمها البليل . والمباحث الاقتصادية أدخلت التاريخ في طور جديد لما لها من المكانة في انتهاج خطط الحياة العملية ولأن الحياة لاتقوم الا بالعمل والنصب والصناعة والتجارة ورواج السلع واصدارها .

وتاريخ العرب قبل الاسلام على قلة المصـادر فيه دلنا على أن العرب اشتغلوا بالتجارة قبل الاسلام شغلا كبيراً . فاليمانيون كانوا واسطة التجارة من أقدم أزمنة التاريخ لتوسط بلادهم بين امم العالم القديم . وبما أنهم كانوا امة حضـارة وعمران كانوا في حاجة الى استعمال الخز والحرير واقتناء الذهب والفضة ولذلك كانت اسفارهم الى الهند ومنها كانوا يجلبون الذهب والفضة والقصدير والحجارة الكريمة

وخشب الصندل والتوابل كالفلفل والبهار وما شاكلها ، وكانوا يحملون من شواطىء أفريقية الشرقية العطور والطيب وخشب الابنوس والعاج وغير ما كانوا يحملونه من حاصلات بلادهم نفسها وكان السبئيون يتجهون الى بلاد الشام لحمل حاصلاتها الى بلادهم كالحنطة والزيت والزبيب وما يحمل من آسيا الشرقية كالمنسوجات الكتانية والقطنية والآنية بأنواعها . وكان لشواطىء اليمن مرافىء ترسو فيها السفن الذاهبة والآتية ومن أهمها مرفأ (موزا) وفيه كانوا يبنون السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندي ومن مرافئهم التجارية المشهورة وقتئذ ايضاً عدن وقانا (حصن غراب) وظفار .

وما زالت التجارة في أيدي اليمانيين يشتغلون بها زمناً طويلا حتى زاحمهم عليها الرومانيون في طريق البحار وكما كان العرب يشتغلون بالتجارة قبل الاسلام كان اجدادنا حوالي القرن الثالث والرابع للهجرة يجوبون الاقطار براً وبحراً لنقل بضائعهم ومتاجرهم من بلد الى آخر فشواطىء فارس وسواحل افريقيا والحبشة واليمن وبحار الهند تشهد لهم بالمقدرة والعمل ولقد كان ابن جبير الاندلسي وابن حوقل البغدادي والمسعودي علماء وتجاراً وكانت رحلاتهم للعلم والعمل وبذلك أفادوا كثيراً واستفادوا وبمثل هؤلاء الرجال ارتقى أجدادنا العرب الى أرقى ما يذهب اليه الفكر ويتصوره البشر . وحسبك ان النبي العربي اشتغل بالتجارة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، واما الصناعة فالعرب هم الذين نشروا صناعة السكر في العالم بعد ان تعلموها في الهند وانشأوا له المعامل واتقنوا عمله كما اتقنوا صناعة الورق وعنهم اخذت اوربا هذه الصناعة من طريق الاندلس وكما كانت للعرب معامل لصناعة الورق في شاطبة وبلنسية وطليطلة كانت لهم معامل الزجاج والفخار

والفسيفساء ، واما الميكانيكيات فقد اشتغلوا بها واليهم تنسب الساعة التي كانت في الجامع الاموي في دمشق ووصفها ابن جبير في رحلته بالقرن السادس وكذلك استعملوا الآلات الرافعة للمياه .

اولئكم هم اجدادكم ايها السادة ولا أريد ان اطيل عليكم اكثر من ذلك واذكر لكم شيئاً عن تاريخ هذه البلاد التجاري ايام الفينيقيين غير أني اقول لكم إن تجار الشام كانوا هم وقتئذ قابضين على زمام الحركة الاقتصادية في العالم وكانت السواحل السورية تصدر الصنائع النفيسة الى بلاد الافرنج كالاقمشة الحريرية والكتانية والصوفية والحرير السوري والقطن والاقمشة الدمشقية المشهورة باسمها وكان الاوربيون يتنافسون باقتنائها ، دع عنك السكر الذي كانوا يشحنونه على سفنهم التجارية من طرابلس وصور وكذلك الاثمار والعقاقير والمواد العطرية والحشائش الطبية وكانوا يصدرون من حلب كميات كبيرة من القطن والشب ويذهبون بها في عرض البحار وطولها ، وبقوة هذا الاتجار توصل رجال الشام في ذلك الحين الى مضيق جبل طارق ومنه نفذوا الى بلاد الانكليز وهم اول من عرف تلك البلاد .

دعونا من ذكر الفينيقيين وهم عرب كما يرجح الباحثون واعمالهم التجارية فان ذكرها يطول بنا كثيراً اذا اردنا الاستقصاء ولنرجع الى آبائنا العرب الاقحاح فقد كان فخر قريش قبل النبوة قائماً بالتجارة وهم الذين أسسوا الدين الاسلامي في الهند بواسطة متاجرهم لانهم كانوا يذهبون اليها عن طريق البحر ، وتجار العرب ايضاً كانوا واسطة نشر الدين الاسلامي في شواطىء افريقية لانهم كانوا يذهبون اليها بسلعهم فيرى اهلها معه حسن المعاملة والصدق والاخلاق العالية مما يحببهم في اعتناق دينهم . فكما ان التجارة اساس

العمران فكذلك الصدق والامانة هما أساس النجاح في الاتجار .

فالواجب علينا معشر التجار بعد ان عرضنا شيئاً يسيراً عن مكانتنا التجارية في تاريخنا المجيد وبعد ان منَّ الله علينا بهذا العهد السعيد الذي سوف نجد فيه المعونة العامة والرعاية الكاملة والاعمال العظيمة لترقية الزراعة والصناعة والتجارة ان نجدَّ ونجتهد في اعمالنا وان نؤلف الشركات الكبيرة للقيام بالاعمال العظيمة والقاعدة الاقتصادية تقول : (المشاركة احدى الوسائل التي يتوصل بها الناس لتحسين حالهم وبها يتقنون توزيع مجهوداتهم وبها يتناصرون على حماية حقوقهم وبها يتوصلون من طريق تآزرهم الى نتائج لا يسعهم ادراكها متفرقين) . والوطن اليوم يتطلب منا اعمالا هي اكبر بكثير مما يفكر اكثرنا ومجال العمل واسع جداً لان البلاد في حاجة الى الاعمال بعد ان كان الاتراك يقفون امام كل عمل نافع عقبة كأداء ويكفي ان كبار موظفي الاتراك في هذه الديار من قواد وولاة كانوا يقيمون العراقيل والحواجز الهائلة امام تقدم التجارة ونشاطها لاجل ان يستأثروا هم بمنافعها فكانوا يحتكرون لانفسهم حق الاتجار وحرية السكك الحديدية والمناقلات ويعتدون على حقوق التجارة في هذا الموضوع كثيراً فكانوا يغصبون ويسلبون البضائع المتنوعة والاصناف المتعددة باسم الحكومة لاجل منافعهم الخاصة كما كنا نشاهده كلنا والعهد ليس ببعيد وهذا منتهى الظلم والاجحاف بحقوق التجارة والتجار ، وعلماء الاقتصاد يقولون : (دلَّ الاختبار ان الحكومة لو وسعت نطاق حركتها التجارية لضيقت على الافراد والشركات مجال العمل فخير للجمهور ان تظل الحياة والعزيمة موزعتين في جميع الجسم الاجتماعي من ان يحصر في عضو واحد يملك من القوة القاهرة

والقوة الجابية ما لا ينتهي الى حد فعلى علم الاقتصاد الذي هو الحارس الامين للحرية الاقتصادية ان يحتج على المغالاة في هـــذا النوع من الاحتكار) . وهذا ما قاله علماء الاقتصاد في الاعمال التي اتفقت الحكومات في الارض على جواز احتكارها لنفسها لاجل تأمين وارداتها كاعمال البريد والبرق والمسرة [التلفون] وكحصر الكحول والدخان . فما رأيكم ايها السادة في كبار تجار موظفي الحكومة التركية البائدة من نظار وقواد وولاة الذين كانوا يحتكرون المنافع لانفسهم لا لحكومتهم كما كنا نشاهده باعيننا .

وانا ان شاء الله بظل هذه الدولة العربية ايدها الله سننال حريتنا التجارية التامة وتعبد الطرق وتؤمن السبل وتمـــد السكك الحديدية النافعة التي هي شرايين الحياة للبلاد وتصان الحقوق . ومسألة حماية التجارة يا مولاي الامير الخطير مسألة لا ألفت انظاركم العالية اليهـا لاعتقادنا نحن معاشر التجار انكم أغيرُ منا بكثير على حفظ حقوق الافراد والشركات الوطنية التي ستتألف للقيام بالمشاريع النافعة لهذه البلاد كما ان أخذ آراء كبار التجار العاملين المتعلمين في المسائل المالية والاقتصادية التي تريد الحكومة ان تقرر شيئاً فيها مسألة مهمة اريد ان ألفت اليها انظار ولاة الامور وفقهم الله في جميع اعمالهم .

والله اسأل ان يوفق جيوشنا العربية المظفرة الى استئصال شأفة الاتراك الظالمين من بقية البلاد العربية المحبوبة وان يؤيد بنصره ملك العرب المعظم أمير المؤمنين ويطيل بقاء نجله القائد العظيم صاحب السمو الملكي الامير [فيصل] صاحب الايادي البيضاء على هذه البلاد والذي جاهد السنين الطوال وأتى بجلائل الاعمال لانقاذنا من ايدي الظالمين ونجاتنا من عبث العابثين وتحكم الاتراك المخربين والسلام .

الوحدة الفكرية

نشرت في العدد (١٦٤) من جريدة (لسان العرب)
الصادرة بتاريخ ٢٤ رمضان عام ١٣٣٧ وفق ٢٣ حزيران سنة ١٩١٩

أعجب المفكرون المخلصون لوطنهم وامتهم بالوحدة الفكرية التي ظهرت بأبدع مظاهرها في هذه البلاد والتي تمثلها الاكثرية العظمى من الاحزاب والجمعيات والنوادي والصحافة والزعماء والادباء والعلماء والتجار والتي اتفقت كلها على تأييد مبدإ (الاستقلال التام) دون حماية ولاوصاية ولا مساعدة ولامشارفة ولا انتداب وما شئت فضع من مختلف الاسماء لمدلول ومفهوم واحد بنظر المدقق الخبير ! ولقـــد كشف التاريخ وحوادثه في مثل هـذا الموضوع غوامض اكثر من ان تحصى تحملنا على ان لاندهور انفسنا وامتنا في مثل هذه المآزق الحرجة تحت مختلف الاسماء التي هي من مخترعات هذه الحرب والتي لايمكن ان ننجو من عواقبها الوخيمة في مستقبل الايام مهما طال الزمان ومهما اختلفت الظروف بالنسبة للشعوب الضعيفة .

وكثير من الوطنيين القلقين على مستقبل بـلادهم كانوا ولم يزالوا مطمئنين مغتبطين من هذه الروح السائدة على جميع طبقات الامة ، روح الوحدة الفكرية التي ظهرت لهم بمظهر متين لايخشى عليه من التأثير المادي والمعنوي من الاغيار نظراً لحسن اعتقادهم بالقائمين بهذه الحركة الوطنية المباركة من رجال الاحزاب المتفقة والصحافة والنوادي خصوصا وهم

يرون في صحافتنا من الجرأة والشجاعة الادبية والاقدام لتأييد هذا هذا المبدأ في مثل هذه الايام العصيبة ما جعلهم يقابلونه بالشكر والاعجاب ويعتقدون اعتقاداً جازما ان النتيجة سوف لا تكون ان شاء الله الا طبق رأي الامة التي تفدي مبدأها في الاستقلال التام بكل مرتخص وغال .

ولكن عجبنا كان شديداً امس اذ قرأنا في جريدتكم النافعة (لسان العرب) مقالاً موضوعه (من تنتخب ؟) وهو بحث يدورحول محور الدولة التي يجب علينا ان ننتدبها اذا كان لابد لنا من ذلك (كما قرر مؤتمر باريز الذي يستحيل علينا مقاومته والذي تضطرنا المصلحة الى الامتثال له مع الاعلان الملأ وللتاريخ وللاجيال ان هذا الحكم لاينطبق على رغائبنا وغاياتنا) كما قلتم في مقالكم

فاعلان النفرة والاشمئزاز لايكفي للبراءة امام الاحفاد والبلاد والتاريخ اذا لم نقرر رفض الخوض والتفكير في مثل هذه المسألة مهما كلفنا الامر .

ولهذا أحببت ان اقول كلمتي هذه التي أظن ان جمهور الامة يؤيدني بها ويرتئي رأيي فيها وهو اننا نحن العرب الذين بذلنا دماءنا واموالنا والذين شهدنا مصارع شهدائنا وبلايانا الهائلة لأجل الخلاص من النير التركي لانريد ان نقع مرة اخرى في هاوية سحيقة ربما تكون أعمق واشد من الهاوية التي لم نتمكن من النجاة منها الا بعد مضي قرون طويلة ولم نستنشق بعد نسيم الحرية والانطلاق ونذوق طعم نعمة الاستقلال وقد قامت الامم والشعوب في اقطار الارض والتي كان كثير منها اقل منا رقياً واستعداداً للاستقلال قامت كلها تطلب لنفسها الحياة والسعادة

الاستقلالية وقد ساعدتها الدول العظمى على تأييد هذا المبدأ ونفذته وانالته لهم بالفعل وهي لم تخض غمار هذه الحرب الطاحنة الا للقضاء على الاستئثار والاستعمار ولتأييد مبدأ الحرية والحياة الطيبة .

فالامة التي تريد الحياة الاستقلالية يجب عليها ان لاتعرف شيئاً من هذه الاسماء الحديثة والصور الجديدة ويجب على احزابها وجمعياتها ونواديها وصحافتها قبل كل شيء ان لاتعزز غير مبدأ الاستقلال التام بدون حماية ولا وصاية ولا انتداب ولا ولا ، وان ما نحتاجه من مساعدة اخصائيين ومستشارين لاغنى لنا عنهم فاننا نشتريه بالثمن ولا نتقيد فيه برجال امة معينة من الامم كما صرح اميرنا المحبوب وكما هو رأي الاكثرية المطلقة من الامة العربية .

واما القول : (انه اذا انسدت جميع ابواب النجاة من الوصاية في وجوهنا فلا مناص لنا من التفكير كثيراً في الدولة النائبة وحينئذ يجب علينا ان نعرف المساعدة ونوعها ومدة بقائها ودرجة تأثيرها) فهذا عندي كمن يسعى للنجاة من الرمضاء بالنار فأمة تقيد نفسها بنفسها بمثل هذه القيود فقد قضي عليها وعلى مستقبلها البعيد وعلى تقاليدها وعاداتها ومقوماتها بطبيعة تأثير القوي على الضعيف وحب التقليد المعروف في طباع الشرقيين . فنحن محتاجون قبل كل شيء الى حكومة عربية وطنية تحتفظ بلغتنا وعاداتنا وتحترم تقاليدنا التاريخية ومشاعرنا وتسير وراء تنمية عواطفنا الوطنية التي كاد يقضي عليها العهد المنصرم وتتعهد مدارسنا وتعليمنا بالاخلاص المعروف من حكومة الشعب الغيورة عليه والمضطلعة بادارة وتربية شعبها من كل قيد وشرط .

فالواجب على الامة اليوم وعلى احزابها وصحافتها وزعمائها أن

يظلوا مصرين ثابتين على وحدتهم الفكرية وان ينفضوا ايديهم من تبعة هذه الجناية العظمى جناية الانتداب والمساعدة وما شاكلها امام الاجيال المقبلة والتاريخ والاحفاد ، وعلى الامة ان تحافظ على رباطة جأشها وقوة عزيمتها وبذلك نكون مطمئنين على استقلال حرية بلادنا غير مقيدين بشيء نشترطه على أنفسنا ويكون حجة علينا فلا نضع الحبل في عنقنا بأيدينا والسلام .

الأندية التجارية

الخطاب الذي القاه في النادي التجاري صديقنا لطفي الحفار أحد مؤسسيه وموضوعه «النوادي التجارية» وذلك امام سمو الامير فيصل وفقه الله .

جريدة لسان العرب (العدد ٨٩)
بتاريخ ٢٢ شباط ١٩١٩

يا مولاي الامير الخطير !

نحن اليوم في هذا العهد السعيد عهد الحرية والاستقلال الذي نلناه بفضل قيامكم وجهاد أسرتكم الملوكية الهاشمية ومعاونة حلفائكم اصبحنا نتمتع بظل هذه الدولة العربية المحبوبة أيدها الله ونرفل بنعمة هذا الاستقلال العربي العظيم والحمد لله وأمام هذه النعمة العظيمة علينا واجبات كبيرة لا يمكننا تحقيقها إلا اذا كنا رجالاً نعرف ما لنا وما علينا من الواجبات والحقوق في حياتنا السياسية والعلمية والعملية .

وكل فرد منا أيها السادة مسؤول امام وطنه وأمته عما خُصص له في هذه الحياة ليعمل لها ضمن دائرة اختصاصه ومعرفته ويسعى ليله ونهاره لنفع نفسه وامته ولا يتسنى للافراد والجماعات العمل والتفاهم الا اذا كان لهم مجتمع يأوون اليه ويترددون عليه فيتعارفون ويأتلفون ويفكرون فيما ينفعهم ويتباحثون في العمل المشترك فيما بينهم فيؤلفون الشركات النافعة ويقومون بالاعمال المتنوعة التي تعود عليهم بالثروة والمنفعة ولهذا اجتمع نفر من مفكري تجار هذه الحاضرة وصح عزمهم على انشاء هذا النادي التجاري الذي نحتفل بافتتاحه هذه الساعة لأجل

ان يقوموا بواجباتهم تجاه وطنهم وأنفسهم لا سيما وقد أصبح مجال العمل امامنا واسعاً جداً ولا يعوقنا شيء الا ان نكون رجالا نفكر في مصالحنا الاقتصادية ونسعى لاستخراج ثروتنا الطبيعية وترقية تجارتنا الوطنية وحماية صناعاتنا الشرقية النفيسة تحت رعاية صاحب السمو الملوكي الامير (فيصل) المعظم .

ان النوادي التجارية في الغرب وجدت منذ اخذت الطبقات الاقتصادية — التجار والزراع والصناع تسعى السعي الحثيث في القرن التاسع عشر لترقية تجارتهم وانماء مزروعاتهم وحماية مصنوعاتهم ، وكان لهذه الحركة التي بدأوا فيها واجمعوا عليها بادىء بدء ثمرات ناضجة عادت عليهم وعلى أمتهم بالخير والفائدة ، ولذلك وضعوا القوانين وسنوا النظامات الكافلة لقيام نواديهم بالواجبات التي عليها حق القيام فالنوادي والغرف التجارية في فرنسا يحضر جلساتها نواب تنتدبهم الحكومة لدرس ما يجب عليها من سن القوانين التي لا تمس الحرية التجارية وتعطيهم المعلومات النافعة التي تتصل اليها بواسطة سفرائها وقناصلها في البلاد الاجنبية وتدرس ما يجب عليها لحفظ حقوق التجار والتجارة داخلا وخارجاً ، وحق انتخاب النوادي في فرنسا محصور بالتجار المقيدين في سجل الغرف التجارية او من يدفع مبلغاً معيناً من الضرائب وكذلك الحال في النوادي التجارية في هولاندا وايطاليا والبرازيل ، اما في النمسا فان النوادي والغرف التجارية والصناعية فانها توفد نوابا من قبلها الى مجالس الامة وعلى آرائهم وتقاريرهم يعتمد المجلس فيما يريد وضعه من القوانين التجارية والصناعية ، والنوادي التجارية الالمانية تنتخب من تثق فيهم من التجار وبهم يناط امر القضاء في كثير من

الدعاوى التجارية . اما النوادي التجارية الانكليزية فهي كناية عن نقابات تجارية حرة ليس لها صفة رسمية قط ومداخيلها من رواتب اعضائها وتؤلف النوادي والغرف التجارية الانكليزية في كل عام مؤتمراً عاماً للنظر في المسائل الكبرى للشركات وتدقيق احوال المعامل والعمال وكذلك الحال في اميركا وللقرارات التي تصدر عن هذه المؤتمرات شأن عظيم في كثير من احوال الشركات والعمال والاصلاحات القانونية والنوادي التجارية في اليابان والبلجيك والبرتغال من هذا النوع الحر .

وقد توسع الغربيون في هذا المعنى كثيراً حتى انهم أسسوا نوادي يجتمعون بها في البلاد الاجنبية عنهم لدرس حاجيات البلاد التي أسست فيها واذواق سكانها وقبولهم فان لانكلترا واميركا وايطاليا والنمسا والمجر والبلجيك واسبانيا غرفاً تجارية في باريز كما ان لفرنسا مثلها في لندن ونيويورك ورومیه وتابولي وغيرها وبذلك استفادوا كثيراً في اعطاء المعلومات اللازمة الى نواديهم في بلادهم لرواج تجارتهم وصناعتهم . هذه خلاصة صغيرة عن النوادي والغرف التجارية والصناعية في الغرب . لا أطيل عليكم أكثر من ذلك لأن الافاضة في هذا الموضوع لا يسعها هذا الوقت الآن . ونحن في هذا الطور طور النهوض والنشوء لا نطلب منكم ايها الاخوان اكثر من التضافر والتضامن لاحياء هذا النادي فقط في عاصمتنا الآن عله يقوم باعمال نافعة في حياتنا التجارية والصناعية ولا نطلب من ارباب الصناعات انشاء نواد خاصة بهم بل يجب ان ينضموا الينا فنكون وإياهم يداً واحدة في الاعمال التي يرونها مفيدة لهم .

اعمال عظيمة يطلبها منا هذا الوطن ايها السادة فلنبرهن للملأ على

اننا اهل للقيام بالمشاريع الاقتصادية ولنعمل يداً واحدة على تحقيق مفهوم المادة الاولى من قانون هذا النادي على الاقل وهي : (ان اعمال النادي تنحصر في ترقية التجارة وتنشيط الصناعة وتمكين الروابط بين ابناء العمل الواحد ومخابرة النوادي التجارية في الغرب لتأمين الصادرات الى الخارج وجلب الواردات بشروط تلائم مصلحتنا وتأليف الشركات التجارية والعقارية ودعوة العلماء الى القاء المحاضرات الاقتصادية النافعة وانشاء نماذج للصناعة الوطنية والسعي للحدّ من الاحتكار المضر والعمل على كل ما يفيد التجارة والتجار ماديا وادبياً) . ان كل فرع من فروع الاعمال التي اجملت في هذه المادة يحتاج الى نفوس كبيرة وهمم عالية وثروات طائلة واياكم ان يهمس احدكم في اذن صاحبه او ان يحدث نفسه قائلا : من أين لنا هذا ونحن في فقر مدقع ولكن فليعلم هذا القائل المتشائم اننا نحن فقراء اذا افترقنا ، اغنياء اذا اجتمعنا ، وهذه حقيقة ثابتة لا سبيل الى نقضها فالاجتماع والتعاضد والادارة والحذق والادراك كل هذا رأس مال كبير للشركات والأفراد في نظر علماء الاقتصاد وشركات المساهمة اذا حسنت ادارتها هي التي تضمن لنا ايجاد المال اللازم للقيام بالمشاريع الاقتصادية النافعة ولا سبيل الى نجاحنا المادي الا بتأليف شركات المساهمة وصناديق التوفير .

والعمل رأس مال صنواه الطبيعة والمال ، والمال يتكون في المجتمعات الحاضرة بان لا ينفق الانسان كل دخله (وكل مدخر وفر عن فطنة فهو رأس مال) . هذه هي القاعدة الاقتصادية اليوم وما يدخره فليأخذ به سهما او سهمين من شركة ولا لزوم لان يشترك باكثر من ذلك ، حينئذ تنجح الشركات وتؤمن رؤوس اموالها وتربح الافراد

ارباحاً لا يمكنهم نوالها منفردين .

وصناديق التوفير هي من اهم الوسائل في هذا العصر لجمع الاموال الكبيرة من الطبقات الفقيرة وهذه الصناديق تقبل القرش الواحد والقرشين وتعطي بفضل حسن استخدامها فوائد حسنة المدخرين وحسبكم ان مجموع المودعات في صناديق التوفير في انكلترا كان حسب احصاء سنة ١٩٠٧ خمسة مليارات وثلاثمائة مليون فرنك وفي فرنسا كان أربعة مليارات وسبعمائة واثنين وسبعين مليون فرنك وفي المانيا كان سنة ١٩٠٦ ستة عشر ملياراً وسبعمائة مليون فرنك . هذه القيمة الهائلة جمعت من المدفوعات البسيطة من اغلب افراد الشعب . لهذا لم يتكبد احدهم ان يضع مبلغاً طائلا لجمع مثل هذه الثروة فان عدد مجموع المودعين في صناديق التوفير في فرنسا سنة ١٦٠٦ كان اثني عشر مليوناً ونصف مليون . وهكذا تتمكن الامم الراقية من جمع شتاتها وزيادة ثروتها وعظمتها بالتضافر والتعاون والتآلف والتحابب . ولا بد لنا اذا أردنا النجاح في حياتنا الاقتصادية من العزم والحزم والمثابرة على العمل والثبات والنشاط والاهتمام بالمشاريع العمومية النافعة ، والامة بافرادها وأنتم والحمد لله من الغيورين عليها المهتمين لاعلاء شأنها ومكانتها فحققوا امنيتها بكم وساعدوها بهممكم وكونوا عوناً لها باموالكم وأنفسكم تكونوا من الناجحين العاملين المصلحين انشاء الله والسلام .

اللغة العربية في لبنان

هذا المقال نشر في جريدة (المقتبس) بتاريخ
٩ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

اطلع قراء الصحف على مانشرته جرائد بيروت من اهمال بعض مأموري حكومة لبنان الجديدة لغتهم القومية واستعمال اللغة الفرنسوية في بعض المعاملات الرسمية مما أثار حفائظ مفكري هذه الامة وصحافتها وكتابها . وبما ان الامر جلل فلا يجوز ان نمر عليه بدون بحث وتدقيق خصوصاً ونحن في بدء تكوين حكوماتنا الجديدة في هذه الديار .

البلاد السورية في مظهرها الجديد هي في أشد الحاجة الى تماسك اجزائها وتفاهم رجالها والتمسك بميزاتها الوطنية والقومية وأي ميزة قومية اظهر من ميزة اللغة التي يتوارثها الابناء عن الآباء والاجداد منذ اجيال واحقاب خصوصاً اذا كانت هذه اللغة من اللغات التي يحفظ لها التاريخ بين دفتيه آثاراً خالدة ومادة واسعة ، دع عنك حكوماتها الراقية وفتوحاتها العظيمة التي انتشرت على أثرها هذه اللغة في اقطار الارض وكانت ميراثا يفاخر به الابناء بما خلفه لهم الآباء من المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم والفنون مما لايزال يعد مفخرة من اعظم مفاخرنا .

ولبنان عرف منذ القديم بانه كنز ثمين لهذه اللغة خدمها ابناؤه خدمات جلى بآثارهم ومؤلفاتهم وادبياتهم وسعيهم وراء نشر لغتهم وتعزيزها

اينما حلوا وحيثما رحلوا . ويكفي أن نعد منهم الاستاذ الشرتوني وابناء الاسرة اليازجية والخازن والمعلوف وارسلان واديب اسحاق والبستاني وغيرهم من المحدثين .

هؤلاء الادباء والعلماء الذين احبوا لغتهم فبروها ؛ وعرفوا لها فضلها فخدموها خلف من بعدهم خلف لايزال الى اليوم يسعى وراء خدمة لغته وقوميته فيرينا من الآثار والنفائس والجد والسعي وراء التضلع بها مما يحمد أثره الا قليلا من ابنائهم ممن لم يتيسر له درسها والوقوف على اسرارها ونفائسها ؛ ويمكننا ان نقول ايضاً انهم لم يطلعوا على شيء من آثارها العظيمة ومؤلفاتها الثمينة وتاريخ رجالها من كبار المصنفين والمؤلفين والامراء والادباء والشعراء حتى أدى الامر ببعضهم الى ان يدعي انه لاعلاقة له بتاريخ هذه اللغة ولا بأمجادها وان كان هو وآباؤه من قبله يتكلمون بها ويتفاهمون بألفاظها فعقها واضاعها واهملها أيما اهمال نشأ عنه حال طالما لاحظ كثير ممن يزورون لبنان ويختلطون ببعض الاسر فيه ويشاهدون كثيراً من الاحاديث والمسامرات تكون بغير هذه اللغة الوطنية القومية مما يأباه كل غيور على جنسيته مفاخر بقوميته ولغته .

والغريب في ذلك ان بعضهم يدعي او يظن ان التكلم بلغة أجنبية في بلاده وبين افراد اسرته من المدنية في شيء وما درى ان من يستهين بلغته وعاداته امام الاجنبي المتعلم الذي يقدر الوطنية ولغتها فانه يكون غير محترم بل يتخذ منه دليلا على ضعف التربية الوطنية والاندفاع وراء التقليد الضار .

على ان هذه الفئة القليلة في لبنان لايخشى منها ما دام القسم الكثير من المتعلمين والمفكرين من ابنائهم ساعين وراء تعزيز شأن لغتهم وهم

مبرزون بها وبآدابها . وتراهم الآن ينتقدون بعض كبار الموظفين اذا بدرت منهم بادرة يشتم منها رائحة عدم العناية بلغة البلاد وهم المسئولون عن مثل هاته الهفوات .

نعم ، ان تعلم اللغات الحية الاوروبية في هذا العصر من الضرورة بمكان لأجل التوسع في تلقي العلوم والمعارف والفنون والآداب لا لأجل اتخاذها لغة القوم في الدوائر الرسمية والاحاديث المنزلية والاندفاع وراء ذلك اندفاعا لاتكون نتيجته الا ضحك الاجنبي منا اذا نحن لم نحترم انفسنا وعاداتنا ولغتنا وعنعناتنا خصوصا وان كثيراً من كبار رجال الحكومة الاجنبية صرحوا مراراً بشدة احترامهم لاستقلالنا وعاداتنا وتقاليدنا ولغتنا فلا يجوز ان نكون نحن اقل احتراما واجلالا منهم لذلك .

احتجاج تجار دمشق

نشرت بجريدة (سورية الجديدة)
بتاريخ ٢٠ كانون اول ١٩٢١

وهذا الاحتجاج كان المقاومة
الاولى لعمل الافرنسيين .

جاءنا من حضرة الكاتب الاقتصادي السيد لطفي الحفار الكلمة الآتية وقد قررتها اللجنة التجارية الدمشقية :

ان من أهم واجبات الكاتب قبل أن يخط قلمه في موضوع ان يقتله درساً وتمحيصاً ؛ ويفكر فيه كثيراً ، حتى اذا اخرج الى الناس ثمرات افكاره قوبل بالثناء والاعجاب .

كما انه من أهم واجبات الصحافي ان لا يبادر لنشر ما يرده من مثل هؤلاء الكتبة المتسرعين الا بعد عرضه على محك النقد حتى يتأكد من صحة ما كتب وفائدة نشره ، ولقد لفت نظري كثير من إخواني التجار والغيورين على مستقبل هذه البلاد الاقتصادي الى ما جاء في جريدة [الجامعة السورية] من الكتابة عن مسألة الحواجز الجمركية والتخبط فيها تخبطاً ظاهراً أقل ما يقال فيه إنه خبط عشواء خال من البحث والتدقيق في مسألة مهمة عليها تتعلق حياة البلاد الاقتصادية او موتها .

يتهم حضرة الكاتب تجار الشام بانهم نظروا الى هذه المسألة من

وجهة بعض التسهيلات التي كانوا يجدونها في معاملات جمرك حيفا سابقاً فقط ويقول : (ان مدير جمرك حيفا قدم الشام حين تصديق القرار الجمركي وأغرى التجار على الاحتجاج) وهو يريد بهذا ان تجار الشام لا رأي لهم فيما يتعلق باعمالهم وأنهم لا يدرون ما ينفعهم مما يضرهم وثانياً انه يمكن لمن اراد ان يغريهم ويسوقهم حيث يريد وهو ما نريد الجواب عليه الآن لنظهر للملأ ان كثيراً من الناس يهرفون بما لا يعرفون ويكتبون ولا يفكرون .

حينما أصدرت المفوضية العليا في سوريا الاتفاق الجمركي المعقود بينها وبين المفوضية العليا في فلسطين بتاريخ ٢٢ ايلول سنة ٩٢١ واطلع التجار على محتويات هذا الاتفاق وفهموا انه سيوضع حاجز جمركي بينهم وبين فلسطين وما وراء الاردن على الصادرات والواردات اضطربت أفكارهم ؛ واجتمع جمهورهم اجتماعات عديدة وهم يفكرون ويبحثون في مبلغ الاضرار الكثيرة التي تنتاب صناعة بلادنا السورية وتجارتها من جراء وضع هذه الحواجز الجمركية ، وبما ان صاحب الدار ادرى تأكدوا انه اذا تم وضع هذه الحواجز حسب هذا القرار فانه ولا شك يكون القضاء المبرم على صناعاتنا العظيمة وتجارة صادراتنا إلى البلاد المجاورة ولهذا قرّ قرارهم على عقد اجتماع عام حضره عموم تجار المنسوجات والصادرات والمانيفاتورة وارباب الحرف والصناعات . وبعد المداولة الطويلة قرروا انتخاب لجنة تجارية مؤلفة من عشرة اشخاص منهم وجرى انتخابهم بالاقتراع الخفي وفوضوهم بالاحتجاج على هذا المشروع بالطرق القانونية لدى المراجع الايجابية وإظهار أضراره الجمة ، ونقائصه الكبيرة ، وهكذا كان فان اللجنة التجارية المنتخبة والتي

ضمت اليها أعاظم تجار الحاضرة وأرباب الرأي فيهم والغيورين على المصالح الاقتصادية اشتغلت وبحثت ودققت كثيراً حتى هيأت الاحصاءات الدقيقة عن مقدار صادراتنا إلى فلسطين وما وراء الاردن وعن انواع البضائع المختلفة المصدرة وعن عدد العمال وارباب الاعمال ومقدار منتوجاتهم وعن عدد الصنائع المختلفة التي عرفت في بلادنا منذ القديم وعن عدد عمالها وقدمت لوائحها الاحتجاجية ، وإحصاءاتها واثمانها المؤيدة بالارقام وعن مقدار ما يحيق بالبلاد من الاضرار بمجرد وضع أقل حاجز جمركي او عائق اقتصادي امام سهولة التبادل التجاري بيننا وبين فلسطين وشرقي الاردن . وهذه الاعمال قامت بها منذ شهرين ولا تزال مثابرة على متابعة اعمالها ولقد بحثنا عن وقت مجيء مدير جمرك حيفا فعلمنا انه كان منذ مدة وجيزة وكانت اللجنة التجارية قامت بأهم اعمالها وواجباتها ومن هنا يظهر مقدار خطأ حضرة الكاتب في تهمه وتسرعه وخبطه وكونه يكيل الكلام جزافا .

ورجال المفوضية العليا في بيروت اهتمت لهـــذه المسئلة الاهتمام الواجب بعد ان اطلعت على اللوائح الاحتجاجية والبيانات الاقتصادية التي تقدمت لها حتى انها اوفدت اقدر رجالها في المسائل الاقتصادية والجمركية للبحث مع اللجنة التجارية المنتخبة والتفاهم معها والوقوف على آرائها كما ان رجال البعثة هنا بحثوا طويلا مع اللجنة واصغوا لبياناتها وشكاويها مما كانت نتيجته والحمد لله الاقتناع بصحة دعاوى التجار وصواب رأيهم . وبعدئذ سعى رجال الحكومة المنتدبة سعياً حثيثاً لتعديل الاتفاق الجمركي بشكل ينطبق على مصلحة البلاد التجارية والصناعية لازالة جميع الحواجز الاقتصادية امام صادرات البلاد السورية

والفلسطينية بعضها نحو بعض ؛ وكل هذا نتيجة ابحاث طويلة وأتعاب جمة ، بذلتها اللجنة التجارية في عاصمة الامويين لتنوير الموضوع ودرسه من جميع أطرافه ، والمقام لا يسع ذكر بعض ما ورد في لوائحها واحصاءاتها وبياناتها ولو بصورة مقتصرة جداً فما على حضرة الكاتب الا أن يراجع جرائد العاصمة التي نشرت جميع هذه اللوائح والبيانات وكانت خير عضد لتجار الشام ولجنتهم لانها أدركت مبلغ الاضرار الكبيرة من وضع مثل هذه الحواجز الاقتصادية ، وأنا على مثل اليقين ان حضرته حينما يقرؤها بامعان تام لا يسعه الا تقديم شكره وامتنانه واعتذاره لتجار عاصمة الامويين كما يقول حضرته منهكما وهم الذين بعملهم هذا خدموا المصلحة الاقتصادية العامة خدمة ثمينة . ونبهوا رجال المفوضية الافرنسية أنه يوجد في البلاد من يدافع عن حقوقها .

وأخيراً نورد لحضرته مثالا صغيراً عما أوردته اللجنة في إحصاءاتها لبيان مقدار الضرر والخراب العام الذي كان يهدد صناعاتنا وتجارتنا لو تم وضع هذه الحواجز الجمركية ؛ فان التحقيق الدقيق أثبت لنا أنه يشتغل في سوريا مئتان وخمسون ألف عامل في مختلف الصناعات الوطنية التي تصدر الى فلسطين وما وراء الاردن فقط وبلادنا السورية تصدر الى هذه البلاد المجاورة من مختلف البضائع ما تقارب قيمته الثلاثة ملايين ليرة عثمانية ذهباً ، ويوجد في سوريا اكثر من مئتي صناعة معروفة منذ القديم حياتها وحياة عمالها متوقفة على سهولة التبادل التجاري بيننا وبين هذه البلاد المجاورة وانه ليس من مصلحة فلسطين التي هي جزء من سوريا ولا من مصلحة سوريا السياسية والاقتصادية وضع أقل حاجز جمركي فيما بينهم وانه يجب ان تكون الجمارك في سوريا من العريش والحجاز جنوبا الى الاسكندرونه والأناضول

شمالا ومن العراق شرقاً الى موانيء البحر الابيض غربا مقتصرة على الثغور البحرية وأن تكون هذه على قاعدة الجمارك المشتركة كما قر قرار المفوضية العليا عليه أخيراً كما بلغنا وكما نشرته بعض الجرائد وكما وعدنا . والبلاد السورية اذا أحيطت من اطرافها الجنوبية والشرقية والشمالية بالحواجز الجمركية فقل عليها وعلى تجارتها وصناعاتها القضاء واذا كانت تئن الآن من تجزئتها السياسية فانها لا تسمح باي حال كان ان تعمها هذه التجزئة الاقتصادية مع بعضها بعضاً ومع البلاد المجاورة لها مما فيه الخراب والضرر المحض لا سمح الله . ونحن على يقين تام انه لا يتم الا ما فيه الخير والمصلحة العامة لهذه البلاد ولا تكون هذه التجزئة الاقتصادية الضارة ما دام رجال الاقتصاد يدرسون امثال هذه المواضيع بالاهتمام اللائق والاخلاص التام وما دام رجال الاعمال قائمين باخلاصهم ووطنيتهم وغيرتهم ، لا يثنيهم عن متابعة عملهم الا الوصول الى ما فيه حماية التجارة ورواج الصناعة بازالة كل عائق اقتصادي ضار انشاء الله .

الغرف التجارية : واجباتها

نشرت في جريدة (الاحوال) البيروتية في
عددها الصادر بتاريخ ١٩ ايلول ١٩٢٢

كثير من أرباب التجارة والصناعة في بلادنا الشرقية لايدركون مالغرف التجارة من المكانة السامية في نظر الغربيين والتأثير العظيم على سير الاعمال والحركة التجارية في داخل البلاد وخارجها وخصوصاً منها ما يتعلق بالاعمال العامة كتمكين الروابط بين ابناء العمل المشترك ومخابرة الغرف التجارية في البلاد الاخرى لترويج صادرات البلاد وتعميم انتشارها وجلب الواردات بشروط تلائم المصالح الاقتصادية وانشاء نماذج للصناعات الوطنية وتأليف الشركات التجارية والعقارية ودعوة العلماء لالقاء المحاضرات الاقتصادية الفنية والعمل على كل ما يفيد التجارة والتجار مادياً وأدبياً .

هذه واجبات الغرف التجارية في العالم : يدعوها الواجب الوطني للقيام بها والسعي الحثيث الى تحقيقها ، ولا يتم لها ذلك الا اذا آزرها جميع أرباب الاعمال وساعدها على أعمالها الفريق الكبير من الاغنياء والمجدّين والعاملين المخلصين .

وجدت الغرف التجارية في الغرب منذ اخذت الطبقات الاقتصادية الثلاث ـ التجار ـ والصناع ـ والزراع ـ تسعى السعي الكبير في الثلث الاول من القرن التاسع عشر لترقية تجارتهم، وانماء مزروعاتهم، وحماية مصنوعاتهم، وكان لهذه الحركة التي بدأوا بها، واجمعوا عليها، بادىء ذي بدء ثمرات ناضجة وارباح طائلة عادت عليهم وعلى أممهم بالخير العام والفائدة الشاملة، لذلك وضعوا القوانين وسنوا الأنظمة الكافلة لقيام غرفهم بالواجبات التي عليها حق القيام فالغرف التجارية والنوادي الاقتصادية في فرنسا يحضر جلساتها نواب تنتدبهم الحكومة لدرس ما يجب عليها من سن القوانين التي لاتمس الحرية التجارية وتعطيهم المعلومات النافعة التي تتصل اليها بواسطة سفرائها وقناصلها في البلاد الاجنبية وتدرس ما يجب عليها لحفظ حقوق التجارة والتجار داخلا وخارجاً. وحق انتخاب الغرف والنوادي التجارية في فرنسا محصور بالتجار المقيدين في سجل الغرف التجارية او من يدفع مبلغاً معيناً من الضرائب.

وكذلك الحال في الغرف التجارية في هولاندا وايطاليا والبرازيل. اما في النمسا فان الغرف التجارية والنوادي الصناعية من شأنها أن توفد نواباً من قبلها الى مجالس الامة وعلى آرائهم وتقاريرهم يعتمد المجلس فيما يريد وضعه من القوانين التجارية والصناعية. اما الغرف التجارية في المانيا فهي تنتخب من تثق فيهم من أعضائها وبهم يناط امر القضاء في كثير من الدعاوى التجارية وبمقتضى أحكامهم تقوم الحكومة بمهمة التنفيذ.

أما النوادي الصناعية، والغرف التجارية؛ في انكلترا فهي كناية

عن نقابات تجارية وصناعية حرة ليس لها صفة رسمية قط ومداخيلها من رواتب أعضائها ولكن الحكومة تهتم كل الاهتمام للتقارير التي تضعها وتحل آراءها في المحل الاول، وتؤلف الغرف التجارية والنوادي الصناعية في انكلترا كل عام مؤتمراً عاما للنظر في المسائل الكبرى للشركات وتدقيق احوال المعامل والصنائع والعمال وكذلك الحال في اميركا وللقرارات التي تصدر عن هذه المؤتمرات شأن عظيم في كثير من أحوال الشركات والعمال والاصلاحات الاقتصادية والقانونية، والغرف التجارية في اليابان والبلجيك والبرتغال من هذا النوع الحر

وقد توسع الغربيون في هذا المعنى كثيراً حتى أنهم أسسوا غرفا تجارية يجتمعون بها في البلاد الاجنبية عنهم لدرس حاجيات البلاد التي أسست فيها ومعرفة اذواق سكانها وميولهم فان لانكلترا واميركا وايطاليا والنمسا والمجر والبلجيك واسبانيا غرفاً تجارية في باريز وغيرها من المدن الفرنساوية الكبرى كما أن لبعض هذه الدول غرفاً في مصر والآستانة وكذلك فانه يوجد لفرنسا غرف تجارية في لندن ونيويورك وروما ونابولي وغيرها، وبذلك استفادوا وافادوا كثيراً في اعطاء المعلومات اللازمة الى غرفهم في بلادهم لرواج تجارتهم وصناعاتهم .

هذه خلاصة يسيرة عن الغرف التجارية والنوادي الصناعية في البلاد الغربية ولا نطيل أكثر من ذلك لأن الافاضة في هذا الموضوع لاتسعها نشرتنا هذه ولا يتسع لها وقتنا .

نحن الآن في طور النهوض والنشوء ولهذا يجب علينا ان نتضامن ونتضافر للقيام ببعض الاعمال الكبيرة التي يتطلبها هذا الوطن البائس فلنبرهن للملأ على أننا اهل للقيام بالمشاريع الاقتصادية النافعة لبلادنا

والا فان الاجنبي على قاب قوسين او ادنى يتحفز للعمل في بلادنا لاجتناء الثروة والخيرات منها ونحن ساهون لاهون .

ان كل فرع من فروع الاعمال التجارية والصناعية والزراعية يحتاج الى نفوس كبيرة وهمم عالية وثروات طائلة واذا قام فينا بعض ضعاف الهمم والعقول وقالوا : من أين لنا القيام ببعض الاعمال الواجبة ونحن في هذا الفقر المدقع ؟

فنقول لهؤلاء المتشائمين : اننا فقراء اذا افترقنا ، أغنياء اذا اجتمعنا . وهذه حقيقة ثابتة لاسبيل الى نقضها وانكارها فالاجتماع والتضامن والادارة الحسنة والخدمة والادراك ، كل هذا رأسمال كبير للشركات وللافراد في نظر علماء الاقتصاد ، وشركات المساهمة اذا حسنت ادارتها وخلصت نية القائمين بها هي التي تضمن لنا ايجاد المال اللازم للقيام بالمشاريع الاقتصادية النافعة ولا سبيل الى نجاحنا المادي الا بتأليف شركات وصناديق التوفير ، والعمل رأس المال صنواه الطبيعة والمال ، والمال يتكون في المجتمعات الحاضرة بأن لاينفق الانسان جميع دخله والقاعدة الاقتصادية تقول (كل مدخر وفر عن فطنة فهو رأس مال) وما يدخره الرجل فليأخذ به سهماً او سهمين من شركة اقتصادية مساهمة تخدمه وتخدم بلاده ولا لزوم بأن يشترك كل غيور بأكثر من ذلك . حينئذ تنجح الشركات وتؤمن رؤوس أموالها ويربح الافراد أرباحاً لايمكنهم نوالها منفردين

وبعد فقد شط القلم في ذكر الشركات وضرورتها وكيفية تأليفها واوشك أن يدخل في البحث عن صناديق التوفير وفوائدها وهو ما نرجئه الى النشرة التالية ان شاء الله

ولقد رأينا فيما تقدم ماللغرف التجارية من الشأن العظيم والتأثير الكبير ، على الاحوال الاقتصادية وانتعاشها ورواجها وانتشارها فماعلينا نحن الا أن نكون يداً واحدة في جميع أعمالنا التجارية والصناعية والزراعية نسعى كل جهدنا للاجتماع والعمل والبحث والتفاهم فيما يعود على تجارتنا وصناعتنا بالرواج والانتشار والحياة والنشاط وبذلك نخطو الخطوات الاولى في سبيل النجاح والفلاح اذا كان الثبات رائدنا والاخلاص قائدنا والمنفعة العامة وجهتنا قبل كل شيء ، والسلام .

كيف نشأت فكرة مشروع عين الفيجة

قطعة من المذكرات

قضيت شتاء سنة ١٩٢٠ في القاهرة والاسكندرية انتقل بينهما بحسب دواعي مشاغلي وأعمالي الكثيرة التي اضطرتني الاقامة فيهما نيفاً وستة اشهر . وقد وقع لي اثناء اقامتي ان اطلعت على بعض الاعمال المالية الكبيرة القائمة بذلك القطر الواسع الغني وكان أشد ما وقع عليه إعجابي واستغرابي شركات المياه في ذلك القطر وأسعار أسهمها وزيادتها زيادة مضطردة حتى أني اتصلت ببعض كبار المساهمين من السوريين المقيمين هناك فوقفت منهم على ما يدهش ويرمض في هذا الباب .

علمت منهم أنهم قد ربحوا من اسهم شركة مياه مصر في مدى سنتين فقط في المئة ستين زيادة في اسعار الاسهم ، وان صافي الارباح السنوية التي توزع على المساهمين لا تقل عن عشرين في المئة وأنه لا يكاد يوجد من يبيع سهما من أسهمه التي يملكها في شركات مياه القطر المصري وهي شركات متعددة لمصر وللجزيرة ولمصر الجديدة والاسكندرية وشرائطها تختلف بعضها عن بعض ولكن قيم المياه وشرائط التوزيع فيها تتفق على الاغلب .

درست هذه القضية وقد أردت ان أتوسع في دراستها في دوائر

الشركة نفسها وحينما علم بعض الذين لهم علاقة بالامر حالوا دون اطلاعي على المعلومات الكافية بعد ان وعدت بها ، وبعد ان هيئوا لي أسباب هذا الاطلاع ولكنهم أخيراً حالوا دوني ودون تحقيق هذه الامنية .

غير أني تتبعت هذا الدرس بواسطة الاهلين والمساهمين والمشتركين، فدهشت من مبلغ النجاح الذي تلاقيه شركات المياه في المدن الكبيرة وعظم الارباح الطائلة التي يتناولها كبار المساهمين واعضاء مجالس الادارة وذلك عدا عن النفقات الكبيرة والرواتب الضخمة التي يتقاضاها المديرون ومعاونوهم والمهندسون ورجال الادارة والاسراف الذي لا حد له في النفقات العامة وعدد الموظفين شأن معظم الشركات الاجنبية المستثمرة في بلاد الشرق .

رجعت بعدئذ الى دمشق وانا مشبع بوجوب القيام بتأسيس الشركات المساهمة لمثل هذه الاعمال الحيوية النافعة في المدن الكبيرة وخاصة لمشاريع المياه وقلت في نفسي ان مدينة دمشق في أشد الحاجة لجلب مياه الفيجة النقية الطاهرة الى منازلها لاستعمالها في جميع حاجاتها . وبعد ان درست هذا الامر مع بعض الاخوان من التجار وأرباب الاعمال علمنا ان هنالك مساعي تبذل من قبل بعض الماليين الافرنسيين بطلب امتياز مشروع جلب مياه الفيجة الى مدينة دمشق ، وأنه يوشك ان يتم هذا الامر . ذلك لان عزيمة بعض الشركات في بيروت قد جنحت للمطالبة بمنح هذا الامتياز ، وان بعض ذوي النفوذ والمكانة يعاونونهم في ذلك .

فدعوت اعضاء الغرفة التجارية في دمشق في أوائل اشهر سنة ١٩٢٢ وكنت من أعضائها ونائب رئيسها وكلفتهم لبحث هذه القضية والتفكير بدعوة فريق من وجوه المدينة وتجارها وأعيانها لتأليف

شركة مساهمة وطنية اهلية تقوم بتحقيق هذا المشروع الفني العمراني الصحي العظيم فقبلت غرفة التجارة هـذا الاقتراح ووافقت عليـه ، وألفت لجنة من اعضائها لدرس هذا المشروع ، وبعد أن والت هذه اللجنة اجتماعاتها ، ودرست بعض المعلومات العائدة لهذه الفكرة ، طلبت من رئيس الغرفة التجارية عارف بك الحلبوني ان يعقد اجتماعا عاما ويدعى اليه احد المهندسين الفنيين لأخذ رأيه في الموضوع .

وبالفعل فقد كتبت رئاسة الغرفة التجارية الى وزارة الاشغـال العامة بارسال رئيس مهندسيها السيد رشدي سلهب والذي كان معروفا عنه أنه مهندس مائي ، الى جلسة تعقدها الغرفة التجـارية بحضور عدد كبير من رجال المال والاعمال ، لأخذ رأيه في هـــذا الموضوع ، وتكليفه بدرس نفقات جلب الماء من نبع الفيجة حتى مدينة دمشق وتوزيعها على البيوت والمنازل ووضع خطة فنية لدرسهـا والتفكير فيما يجب عمله للقيام بها وتحقيقها ، وبعد جملة اجتماعات عقدت بيننـا وبينه للبحث في تفاصيل المشروع ، استمهلنا مدة ثلاثة اشهر كنـا نجتمع أثناءها معه لمتابعة الدرس لاعطائنا تقريراً فنيـاً مع بعض المصورات الابتدائية في كيفية العمل ، والطرق التي يجب جلب المياه فيهـا ، هل هو طريق الجبال بحفر الانفاق فيها ، ام بواسطة القساطل . ولقد وقع الاختيار على جلب المياه بواسطة حفر الانفاق في الجبال ، وبذلك يمكن تأمين وصولها الى مستوى ارتفاع النبع ، وزيادة كميات الميـاه بحسب الحاجة ، وقدرت اكلاف المشروع عن هذا الطريق مع شبكة التوزيع في المدينة بمائة وخمسين الف ليرة عثمانية ذهبية (١٥٠٠٠٠) ليرة عثمانية ، وعلى ذلك تقرر بان يكون رأسمال هذه الشركة المساهمة بهذا المقدار .

ولأجل تنفيذ هذه الفكرة قررت الغرفة التجارية عقد اجتماع عام بتاريخ ١٦ آب سنة ١٩٢٢ دعت اليه فريقاً كبيراً من كبار تجار دمشق ووجهاء المدينة وأصحاب الثروة فيها ، وحينما تم عقد هـذا الاجتماع بهيئته الكاملة ، كلفني رئيس الغرفة التجارية عرض فكرة هذا المشروع على الحاضرين ، فقمت وشرحت لهم فوائـد المشروع المادية والأدبية وضرورة تأسيس شركة مساهمة وطنية تقوم بطلب امتياز جلب مياه الفيجة لمنازل دمشق من المفوضية الافرنسية صاحبة السلطة التشريعية وقتئذ لتنفيذ هذا المشروع بقوة وإيمان بعد أن علمت أنه تم تأليف شركتين مساهمتين لهذه الغاية قام بتأليف الاولى أحد الافرنسيين الذين كانوا يشغلون منصب المستشارية في الدولة السورية والثانية شركة للمياه أكثرية أسهمها أجنبية معروفة بغناها وقوتها ، وقلت ان أعظم الشركات المساهمة في العالم أرباحاً ونمواً هي شركات المياه في المدن الكبيرة ، وضربت الأمثلة العديـدة على ذلك ، وبعد ان بحث معظم الحاضرين في أهمية هذه الفكرة ووجوب العمل لعدم ترك المجال للشركات الأجنبية بأخذ هذا الامتياز الذي يتعلق بمدينة دمشق ومستقبلها وعلاقة هذا المشروع بعمران المدينة وحياتها الاقتصادية والصحية ، صحت عزيمة الحـاضرين على قبول الفكرة ، وتأسيس شركة وطنية مساهمة قوية تتقدم لأخذ امتياز المشروع ، وقد توالت الاجتماعات لوضع نظام هذه الشركة بعد ان تألفت هيئة تأسيسية مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً اكتتب معظمهم بمبـالغ حسنة لهذه الغايـــة .

وفي أحد الاجتماعات المتوالية التي كانت تعقد لتحقيق هذه الفكرة تقرر دعوة الاستاذ العلامة فارس بك الخوري عضو مجلس الاتحاد السوري وقتئذ لاستشارته في هذه القضية من الوجهة القانونية وإدخاله في عداد الاعضاء المؤسسين والتعاون معه لتحقيق هذه الفكرة واخراج هذا المشروع الجليل الى حيز العمل والتنفيذ ، فلبى الدعوة وحضر الاجتماع الذي عقد بصورة خاصة للاستماع الى آرائه ، وبعد ان سمع تفاصيل ما تمّ في الجلسات السابقة ، ووقف على اجماع الكلمة لأجل تأليف شركة وطنية مساهمة واطلع على اسماء الاعضاء المؤسسين وهم من خيرة العاملين في الحقل التجاري والمالي قال : ان الفكرة جليلة والغاية سامية جداً وإني لأشكركم كل الشكر على هذه اليقظة وهذا الانتباه في الاقدام على مثل هذه الاعمال الكبيرة والاهتمام بجعل مؤسساتنا العمرانية والاقتصادية وطنية صرفة ، غير انه يوجد لدي اقتراح يختلف كل الاختلاف عن الفكرة التي تعملون لأجلها من حيث الشكل والاسلوب ويتفق كل الاتفاق في الوصول الى الغاية الجليلة التي ترمون اليها . انكم تريدون تأليف شركة مساهمة وطنية لاخذ امتياز جلب مياه الفيجة لمدينة دمشق ، تقدم الماء للأهلين في منازلهم لقاء ثمن يدفعونه سنويا عن الكميات التي يطلبون الاشتراك بها ثم توزيع الارباح على المساهمين في آخر كل سنة شأن جميع الشركات المساهمة في العالم ، وإني لأخشى كثيراً في النتيجة وبالنسبة لأهمية هذا العمل والارباح الطائلة التي تدرها شركات المياه في المدن الكبيرة ان ينقلب المشروع أجنبياً بواسطة مشترى أسهمه مهما زادت قيمتها وتضاعفت ارباحها .

أما اقتراحي فهو شعبي محض يحصر الفائدة باهالي مدينة دمشق عامة لا بشركة معينة ، ويقضي بتمليك الماء لأصحاب الاملاك في المدينة على ان يكون الماء مرتبطاً بالملك لا يجوز بيعه ولا تحويله دون تحويل الملك او بيعه وبذلك يكون ضمان بقاء هذا المشروع وطنياً أهليـــاً بدون ان يتطرق اليه اي خطر كان .

ثم قال : إذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح فأرى ان تؤلف لجنة فنية لدرس المشروع درساً دقيقاً وتقدير جميع ما يلزمه من النفقات ، ثم يوزع مجموع قيمة تكاليف المشروع على عدد من الامتار التي تحتاجها مدينة دمشق بعد درسها فنياً وتباع الامتار بالقيمة المقدرة ملكا أبديا لاصحاب الاملاك بمدينة دمشق ، ثم تقوم لجنة دائمية فنيـة وادارية لمراقبة العمل وإدارته وتصليح ما يتخرب من المؤسسات والأنابيب وشبكة المياه وتوسيعها بحسب الحاجة وتؤمن قيم هذه الادوات التي تستهلك ونفقات المصلحة من رسم سنوي يفرض على المشتركين ثم مبيع الامتار للمالكين كل بحسب حاجته بحسب تقدم العمران والبناء . هذا هو إجمال الاقتراح الذي أتقدم به حتى اذا حاز قبولكم ، فاني على استعداد لتقديم تفاصيله .

وبعد ان أتم إيضاحاته هذه قابل الجميع هذا الاقتراح بالموافقـة والتأييد ثم فكرت فيه فكان وقعه عليّ عظيما ، لذلك تبنيته واعتنقت هذه الفكرة بقوة وإيمان . واشتغلت مع الاخ فارس بك بوضع نظام المشروع.

هذه حقيقة تاريخية بالنسبة للفكرة عن اسلوب العمل ودوافعه لهـذا المشروع، أسجلها هنا وأعترف بفضلها للأخ الاستاذ فارس بك الخوري ويجب ان يعترف بها سكان مدينة دمشق ، وان يقدروها قدرها لأنها أنقذتهم من أنياب الشركات الاجنبية وأخطارها من القيـام بمثل هذا العمل الكبير الذي يتعلق بحياة مدينة دمشق وعمرانها ومستقبلها البعيد والذي

سيكون أثره ساريا للأجيال المقبلة. ولأجل تنفيذ هذه الفكرة تألفت لجنة تحضيرية من اعضاء الغرفة التجارية برئاسة عارف بك الحلبوني وانضم اليهم حضرات السادة المرحومين احمد دياب، ولويس قشيشو، واكليل المؤيد، وسعيد اليوسف، وموسى طوطح، وكانت هذه اللجنة التحضيرية توالي اجتماعاتها بدار بلدية دمشق برئاسة رئيسها السيد يحيى الصواف، وكلفت بلدية دمشق لانتخاب اثنين من اعضائها وهما السادة المرحوم عطا العظمة ومستشارها المسيو بورتاليس، وقد طلبت هذه اللجنة التحضيرية من الاستاذ فارس بك الخوري حضور الجلسات ومناقشة نظام المشروع على الاساس الذي اقترحه، ووافقت عليه هذه اللجنة التحضيرية وقمت باقناع الكثيرين من الذين كانوا يؤيدون فكرة الشركة المساهمة التجارية، حتى عدلوا عنها.

ثم طلبنا من وزارة النافعة انتخاب احد مهندسيها لدرس هذا الموضوع من الوجهة الفنية فكلفت رئيس مهندسيها رشدي بك سلهب لوضع تقرير فني عن هذا المشروع وقيمة تكاليفه ومصاريفه.

ثم قامت هذه اللجنة التي انتخبتني امينا لها بمتابعة العمل لدى دوائر المفوضية الافرنسية في دمشق وبيروت لاخذ امتياز جلب مياه الفيجة للمنازل باسم مدينة دمشق بحسب قانونها الذي اقرته ووافقت عليه، وكان مؤلفاً من نظام لجمعية مالكي المياه بمدينة دمشق ومن انفاقية تعقد فيما بين بلدية دمشق وجمعية ملاكي المياه واتفاق ثان يعقد فيما بين حاكم دولة دمشق وقتئذ ورئيس بلديتها، ومشروع صك الشروط والتكاليف الفنية.

ولقد لاقيت المصاعب دون تحقيق هذه الرغبة التي ملكت علي

مشاعري وقوتي ووقفت عليها اوقاتي وجهودي وشبابي .

وقام بعض الماليين واصحاب الشركات الاجنبية باعمال عدة لاحباط المشروع وعدم نجاحه والحيلولة دون موافقة المفوضية الافرنسية على طلب هذا الامتياز باسم مدينة دمشق حسب القواعد المقررة في انظمة المشروع التي تقدمنا بطلب امتياز المشروع على أساسها .

وقد قدمت هـــذا المشروع للمفوضية الافرنسية في بيروت باسم الغرفة التجارية بدمشق ، وكان المفوض السامي الافرنسي وقتئذ الجنرال (فيغاند) في اول سنة ١٩٢٣ ، وذلك بعد اتمـــام الدراسة الاولى الفنية والمالية ، وقد تمكنت اواصر الصداقة والود بيني وبين الجنرال (فيغاند) بسبب كونه ألف لجنة اعضاؤها من جميع البلاد السورية ساحلا وداخلا وسماها (لجنة الدروس الاقتصادية) وكنت العضو الذي يمثل مدينة دمشق فيها ، وكانت تجتمع هذه اللجنة برئاسته كل آخر شهر لدراسة جميع الاحوال الاقتصادية والتجارية التي تتعلق بالبلاد والعلاقات الاقتصادية التي يجب ان تكون مع البلاد المجاورة ، وكان لتقاريري التي قدمتها في اجتماعات هذه اللجنة الشأن الاول والاهتمام التام ، ولذلك كانت حفاوة هذا المفوض بي في اجتماعات هذه اللجنة وعنايته بالابحاث التي اقدمها كبيرة ، وكنت موضع احترامه وتكريمه ، وبسبب هذه الفرصة كنت اطالبه عقب كل اجتماع يعقد بالموافقة على مشروعنا الذي تقدم اليه ، لاعطاء امتياز جلب مياه الفيجة باسم مدينة دمشق .

ولذلك جعلنا رئيس البلدية رئيساً طبيعياً للجنة عين الفيجة وكان

هناك مشروعان تقدمت بهما شركتان اجنبيتان للقيام بجلب مياه الفيجة لمنازل مدينة دمشق على اساس الايجار السنوي للمشتركين وتوزيع المياه باسعار عالية جداً وذلك على غرار شركات مياه القطر المصري وبيروت وحلب ، ومعظم المدن الكبيرة في العالم التي تستقي مياهها بواسطة الشركات المساهمة والخضوع لشرائطها الثقيلة وقيودها واسعارها وتحكمها بالاهلين ، وقد بذل رجال كل من هاتين الشركتين جهوداً جبارة لاحباط عملنا والقضاء عليه ، ولهم من الوسائط والوسائل ما لا نستطيع مجاراتهم ، عدا عن تمتعهم بالنفوذ الاجنبي وتأثيره على مختلف الدوائر ، ولكن هذا لم يفت بعضدنا ، ولم يثن عزيمتنا ، فكنت اطالب وألح على المفوض السامي الجنرال (فيغاند) وكان يتململ ويتردد حتى جاءني اثناء ذلك احد كبار الرجال الافرنسيين الذين كانوا يشغلون مركزاً كبيراً في دمشق وقال لي : انك تطالب بأخذ امتياز جلب مياه الفيجة الى دمشق بواسطة مشروع خيالي عقيم لم يسبق ان قام على مثل هذا الاساس عمل مالي وفني كبير كهذا المشروع ، ولذلك فانك تسعى وراء الخيال عدا عن ان اهالي مدينة دمشق الذين يشربون من مياه بردى وبقية الانهر الملوثة في دورهم واحيائهم ، لا يعطونك مائة وخمسين الف ليرة عثمانية ذهبية لتحقيق هذا المشروع ، هذا اذا كان هنالك ثقة لدى الناس للقيام بهذا العمل الذي لم يسبق ان قاموا بمثله ، ولذلك فاني انصحك بان تتفاوض مع شركة مياه بيروت او شركة القومندان (فيريه) لتحقيق هذا المشروع ، ولديها الخبرة الفنية والمقدرة المالية للقيام بهذا العمل ، وقال لقد أوعز الي من المراجع الكبيرة ان أنصحك بهذا إذا كنت تريد اتمام مثل هذا المشروع ، وبذلك نضمن لك

ولمستقبلك ايضاً فوائد مادية كبيرة لا يمكن ان يكون لك منها شيء في مشروعك الخيالي ..

وقد ألحّ عليّ وعلى زميلي المرحوم المبرور عارف بك الحلبوني رئيس الغرفة التجارية بذلك ، وبالفعل فقد اتصل بي وبزميلي المرحوم الآنف الذكر سماسرة هاتين الشركتين وعرضوا علينا اتفاقية تعقد معنا على أساس عدم المطالبة بتحقيق مشروعنا وإهماله ، ولقد كنت كما يعلم الله الوحيد الذي يقوم بالعمل بدون ان أجد مؤازرة او تشجيعاً او تنشيطاً من احد ، وهم يعلمون انني ان تركت المطالبة بتصديق مشروعنا ، فلا يوجد من يهتم او يطالب به .

وهذه حقيقة يعترف بها الجميع ، ولذلك كان عرض هاتين الشركتين علي وعلى المرحوم عارف بك الحلبوني عرضاً مغريا ، وذلك بان يسجل لي وله أسهم تأسيسية بقيمة خمسة عشر الف ليرة عثمانية ذهبية ، وارباح سنوية بصفتنا اعضاء دائمين بمجلس ادارة الشركة لا تقل عن الخمسمئة ليرة عثمانية ذهبية في كل سنة مدى الحياة عدا عن فوائد الاسهم التأسيسية إلى غير ذلك من الشرائط الاخرى التي تجعل منا اداة مسخرة لخدمة هاتين الشركتين وارهاق الاهلين ، فتظاهرنا بالقبول وراح سماسرة الشركتين يقولون في دوائر المفوضية ان لطفي الحفار وعارف الحلبوني قد انسحبا من المشروع الاهلي وانهما لن يطالبا المفوض السامي بتصديقه ، وانهما قد قنعا بعجزهما عن تنفيذ مشروعهما . وكان هنالك اجتماع شهري يعقد برئاسة المفوض السامي الجنرال (فيغاند) للجنة الدروس الاقتصادية ، كما تقدم ذكر ذلك وكان يعقب معظم هذه الاجتماعات حفلة عشاء بدار المفوضية العليا ، ولقد بادرت بعد حفلة العشاء للتحدث الى المفوض السامي بشأن مشروعنا ، فأجابني بأني قد علمت انك قنعت بالاتفاق مع الشركة

المختصة بمثل هذه المشاريع لتحقيق جلب المياه الى مدينة دمشق على غير الاساس الذي تقدمت به ، فأجبته بأني أود ان اعرض عليكم الاتفاقية التي عرضت علي ، وعلى الرئيس عارف بك الحلبوني وهذه هي ، وأخذها وتصفحها ثم دقق بها ، ثم قال لي ما رأيك ؟

فأجبته إنني أريد ان امزق هذا العرض بين يديك ، وهذا زميلي الرئيس عارف بك يوافقني على ذلك ، وإننا لمصرون على مشروعنا الذي نعتقد ان فيه الخير لمدينة دمشق التي ستبرهن لكم انها اهل للقيام بمشروعها هذا ، وانها لا تقبل بان تستقي مياهها على اسلوب الشركات الاستثمارية والتجارية ، واننا نحن لم نقدم على هذا العمل لنتفق مع الشركات الاجنبية مثل هذا الاتفاق الذي نعتقد أنه مضر بنا وبمستقبل مدينتنا ، ولا يمكن ان نطأطىء الرأس لمثل هذه المغريات والمنافع فحدق بي والحدة آخذة مني مأخذها وقال :

انني اكبر فيك هذا الايمان وهذا الاباء . تعال غداً الى عندي نحو الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ، وفي الوقت نفسه أخبر بمجيئي فاستقبلني واقفاً ، وكان رجلا شريفاً ، وقال : هذا مشروعك موقعاً مني ، واني لا أستطيع بعد ان رأيت فيك هذا الاندفاع وهذا الايمان وهذه النفس الشريفة الا ان اجاريك ، وارجو ان تنجح هذه التجربة .

وسكت فشكرته ، وقلت له نعم انها تجربة ، وسوف ترى انت نجاحها ان شاء الله ، وانصرفت .

ثم اننا تابعنا العمل بالدعوة الى مشروعنا سنين طويلة ، حتى تم تلزيمه لاحدى الشركات العالمية ، ثم فاجأتنا الثورة السورية في سني ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ ، فتوقف العمل ، ثم عاد بعد انتهاء الثورة ،

الى ان تم مشروع جلب مياه الفيجة الى منازل مدينة دمشق في سنة ١٩٣٢ على الاساس الذي قمنا به ودعونا اليه ، واحتفل بتدشينه احتفالا شعبياً عظيما ، اهتزت له مدينة دمشق فرحاً وابتهاجاً . وبمناسبة الاحتفال بتدشين المشروع أرسلت برقية للجنرال (فيغاند) وهو في باريز قلت له فيها ان تجربة اتمام مشروع جلب مياه الفيجة الى منازل مدينة دمشق قد نجحت بفضل الايمان والاخلاص ، وإننا لنذكر مؤازرتك ذكراً حسناً ، فأجابني مهنئاً ، وقال : كنت أشك بنجاح هذه التجربة على الاسلوب الذي اقترحتموه ، ولكن الاخلاص والايمان ، وما لمسته فيك من هذه الخلال كان سبب النجاح .

هذه خلاصة وجيزة عن فكرة انشاء مشروع عين الفيجة نسجلها هنا للعبرة والتاريخ ، ولكني لا أطلب المثوبة على هذا العمل الذي هو بمثابة صدقة جارية الا من الله وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

معضلة الجمارك بين سوريا ولبنان

نشرت بجريدة (المقتبس) في العدد الصادر
بتاريخ ٢٦ ايلول ١٩٢٣

(١)

قرأت الجملة التي نشرتها (المقتبس) نقلا عن جريدة « الارز » فيما يتعلق بموضوع الجمارك فرأيت ان الواجب يدفعني مرة اخرى للرد على ما قرأناه من العبارات التي يقصد منها عدم الاقرار بالحقيقة الواضحة وسوف لا نتعرض لما سبق بيانه من الابحاث التي تتعلق بهذا الموضوع ونشر في صحفنا اثناء احتجاب جريدتكم بل نكتفي بتنقيد الجمل الاخيرة بكلمة موجزة . قالت جريدة (الارز) ما نصه :

« ان طريقة الاحصاء المعمول بها الآن والتي سلم الجميع بصحة نظريتها هي في الواقع عادلة لأنها مبنية على معرفة البضائع التي تروح وتجيء بين القطرين ؟ معرفة راهنة » .

ومندوبو الاتحاد السوري بعد درسهم هذه الطريقة وتمحيصها ، والاطلاع على طرق الاحصاء ومعرفة البضائع حين شحنها ؛ وكيفية تقدير اثمانها ، وبعد التدقيق في دفاتر الاحصاء وتفتيش مراكزه والاصول المتخذة بها وجدوا ان هذه الطريقة صحيحة نظريا ، ولكنها فاسدة عملياً ، وانها لا يمكن قط ان تؤدي الى (معرفة البضائع التي تروح وتجيء بين « القطرين » معرفة راهنة) بدليل الغلطات والخطيئات

التي اطلع عليها مندوبو الاتحاد السوري وعددوها في تقاريرهم الواحدة بعد الاخرى في كل شهر من اشهر السنة ، وحبذا لو تسمح الظروف الآن بنشر هذه التقارير ليطلع الرأي العام على حقائق مؤيدة بالارقام لا يمكن مغالطتها وسترها ، او القول عنها انها غلطات بسيطة محدودة في حين انها غلطات وخطيئات مطردة متسلسلة لا تنقطع سواء كان في تقدير قيمة البضائع او في معرفة اجناسها وانواعها ، والتدقيق الذي اجراه مندوبو الاتحاد السوري في تقدير قيمة البضائع الواردة الى سوريا الداخلية يبرهن ان كثيراً من البضائع لا تتقيد الا بعشر قيمتها بالنسبة للتعرفة الجمركية الموضوعة في شهر التصدير ، وربما يظن البعض ان في هذا مبالغة ولكننا نقول لهم انها حقيقة تتضح لهم حينما يمكن نشر التقارير وافتضاح مثل هذه النقائص وعلى هذه النسبة تعين الحصة الجمركية بين سوريا ولبنان ثم يقال انها طريقة عادلة . والمثل العامي يقول : اذا كان بيتك من زجاج فلا ترشق الناس بالحجارة ، وهـذا ما تعرضت له جريدة « الارز » بقولها : (وانه من العبث معارضتها) (اي معارضة طريقة الاحصاء بما جيء به من تصريحات بعض رجال الشحن والموظفين الذين لا يعلم ما هي درجة صلاحيتهم للحكم في هـذه المسألة) . تقول هذا الآن ومندوبو لبنان الكبير يقولون في سبيل الدفاع عن هذه الطريقة (انها تجري بمعرفة وادارة موظفين فرنسويين لايشك في اقتدارهم وحيادهم) ولأجل دفع هذه الحجة التي يريدون ان يجعلوها فيما لا يمكن التعرض له قصد مندوبو الاتحاد السوري هؤلاء الموظفين الفرنسويين القائمين بتطبيق هذه الطريقة وسألوهم رأيهم عن طريقة الاحصاء التي يقومون بها وعن كيفية تطبيقها فأجابوهم بالحقيقة

التي يرونها ، واورد مندوبو الاتحاد هذه الاجوبة في تقريرهم لكونها اقراراً بالواقع ممن لا يشك باقتدارهم وحيادهم ونحن نؤيد هذه الشهادة بهم وبكونهم ايضاً اصحاب ضمائر حرة وجرأة ادبية . وهنا لا أرى بداً من اثبات بعض أقوالهم بصورة موجزة جداً ، فقد صرح موظف منهم في بيروت فيما يتعلق بشحن البضائع المنوعة في السكك الحديدية بما خلاصته : ليس لدينا نحق موظفي الاحصاء الا معلومات غير كافية لنقوم باجراء تقدير قيمة هذه البضائع وفقاً للحق والعدل . وان البيانات التي يبديها وكلاء الشحن والتي نعتمد عليها في تقدير قيمة البضائع غير مضبوطة وقد تكون غير حقيقية لان وكلاء الشحن انفسهم يجهلون حقيقة جنس البضائع المشحونة ويسمونها باسماء عامة ومبهمة ولا يمكنهم ان يوضحوا محتويات الطرود . ومن جهة اخرى فان وكلاء الشحن يفضلون شحن بضائعهم باسماء عامة ليستفيدوا من فرق تعرفة الشحن . وصرح موظف فرنسوي آخر بما معناه : احصاء البضائع التي تدخل بلاد الاتحاد السوري يجري بواسطة الاطلاع على دفاتر محطات « د . ه . ب » دمشق حلب وتمديداتها فالمعلومات التي تستنبط من هذه الدوائر مبهمة جداً وتعطى باسماء عامة وغير صريحة ، لذلك لا يمكن الاستناد عليها لاجل تقدير قيمة البضائع وتعيين اجناسها . وصرح موظف كبير بما خلاصته ايضاً : ان البيانات التي تعطى بشأن البضائع المشحونة بحراً الى مرافيء الاتحاد السوري تكون بشكل مبهم ولا يمكن بواسطتها التحقيق عن كمية البضائع ومعرفة اصنافها وتقدير قيمتها . واننا الآن نمسك القلم عن ايراد جميع ما قيل في هذا الموضوع وما صرح به هؤلاء الموظفون الذين يقومون بتطبيق هذه الطريقة وهم

ينتقدونها ويعترضون عليها وبما ان هذه التصريحات لم تكن في مصلحة مندوبي لبنان الكبير فقد انكروا الآن صلاحياتهم وكانوا قبلا يقولون ان هذه الطريقة لا يمكن الاعتراض عليها لكونها تجري بواسطة موظفين فرنسويين لا يشك باقتدارهم وحيادهم، والواجب يقضي علينا بان نصرح بان هؤلاء الموظفين الفنيين تألموا واعترضوا على هذه الطريقة في اول الامر وبينوا نقائصها وفساد تطبيقها ولكنهم امروا فاضطروا للعمل بها بالرغم عنهم وعن اعتراضاتهم ، هذه التصريحات التي اوردنا بعضها هنا تبرهن نهائياً على فساد هذه الطريقة وعدم صحتها وبعدئذ اظن ان بيت جريدة « الارز » الزجاجي قد تكسر بعد نشر شيء من تصريحات المأمورين الفرنسويين القائمين بتطبيق هذه الطريقة وهم ادرى واعرف بها واقوالهم حجة قائمة لا يمكن ردها او المفاوضة في درجة صلاحياتهم للحكم عليها . وأخيراً تقول جريدة (الارز) الغراء ما نصه ايضاً : (ان هذه الطريقة قابلة للاصلاح والتنقيح ولكن مندوبي الاتحاد السوري لا يرغبون في اصلاحها لانهم يريدون ابطالها) وهنا نتساءل ما هي وسائط الاصلاح المنشود لهذه الطريقة المختلة ؟ اجاب مندوبو لبنان الكبير بانه اذا كان لا يوجد طريقة للاصلاح الا وضع الحواجز الجمركية بين سوريا ولبنان فنحن نقبل بوضعها ، وهنا برهن مندوبو الاتحاد السوري على الاضرار الاقتصادية الفادحة التي تعود على لبنان من جراء وضع هذه الحواجز وسلم بصحة رأيهم حضرة امين السر العام ، ولهذا فانه اصبح من الواضح ان طريقة الاصلاح التي تتطلبها جريدة « الارز » معناها القضاء على الحياة الاقتصادية في لبنان الكبير اذا اريد الاحتفاظ بهذه الطريقة العقيمة والدفاع عنها ، ولهذا فان مندوبي الاتحاد السوري

يريدون ابطالها لانهم تحققوا فسادها وعدم امكان اصلاحها الا بالقضاء على البقية الباقية من الحياة الاقتصادية في لبنان الكبير اولا وقطع هذه العلاقات الاقتصادية مع سوريا التي تحرص على الابقاء والصفاء في العلاقات الاقتصادية بدافع وطني قبل ان يكون اقتصادياً .

وأخيراً لا بد من القول بان مندوبي الاتحاد السوري قدموا مع تقاريرهم جدولا احصائياً مفصلا لجميع البضائع الواردة بطريق الجمارك وجعلوا منه نسبة صحيحة بالاستهلاك بين سوريا ولبنان وكانت نتيجة هذه النسبة التي وضعت بالتدقيق ، الاعتراف بما يستهلك في لبنان زيادة عما يستهلك في بلاد الاتحاد . ان نصيب الاتحاد السوري في المئة سبعون ولبنان الكبير في المئة ثلاثون وان ما تحتج به جريدة « الارز » من الاستناد على الاحصاء الذي جرى في النصف الاول من هذا العام وان نصيب الاتحاد السوري في المئة ٣٢ فضعيف جداً بنسبة ضعف طريقة الاحصاء التي تقدم بيان بعض نقائصها ، وفي نسبة نفوس وثروة الاتحاد السوري عدا عن العربان المنتشرة في اطراف باديته الى نفوس لبنان وثروته اعظم بيان وقد نشرنا شيئاً عن النفوس والثروة فيما مضى فلا مجال لاعادة البحث فيما تؤيده الحقائق الملموسة .

نشرت في جريدة (العمران) في العدد
الصادر بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٢٣

(٢)

وعدنا في مقالنا السابق ان نكتب كلمة اخرى رداً على ما جاء في عددي ٥٨ و ٥٩ من جريدة (الارز) الغراء اعتراضاً على الاقتراحين اللذين قدمهما وفد الاتحاد السوري لاتخاذ واحد منهما قاعدة لتوزيع الحصص الجمركية بين سوريا ولبنان بدلاً من الطريقة الحالية التي اثبتنا انها طريقة لاحصاء ناقص لا تؤدي الى معرفة مقدار الاستهلاك من البضائع الواردة بطريق الجمارك قالت : (اما مجموع الضرائب فهو في نظرنا ابعد الامور التي يجوز اتخاذها قاعدة لتوزيع الايراد الذي نحن في صدده . فان الضرائب مقياسها حاجة الحكومة ومقدرتها على الجباية لا علاقة لهما البتة بما ينفق هذا او ذاك) الخ .. وهذا منطق غريب جداً في مبادىء علم الاقتصاد يخالف القواعد الاساسية التي بنيت عليها اصول الجباية التي يجب ان تتفق مع درجة الثروة العامة ، وعلى حسب هذه الثروة ومقدرة المكلفين تضع حكومات العالم اجمع ميزانية دخلها وخرجها ، والا فاذا كانت الحكومة ترهق الاهالي حسب مقدرتها على الجباية فان الامة حينئذ تسقط الى الحضيض اذا قبلت بحكومة غاشمة لا يهمها الا ابتزاز ثروة الاهالي وهذا قليل الحدوث واذا حدث فانه

لا يدوم طويلا ، ذلك لان علماء الاقتصاد يقولون (اذا تشددت الحكومة في الجباية فرت الاموال المنقولة الى الخارج بحيث يقع الحيف كله على الاعيان الثابتة التي لا يستطاع اخفاؤها وحينئذ يفقد الممولون عزائم القيام في المشاريع النافعة ، ويمتنع الادخار فيمتنع تكون رأس المال ، اي رأس كل نجاح اجتماعي ثم لا تطول الاعوام مع هذا النظام حتى تسقط الامة في الهاوية) والقواعد الاقتصادية صريحة في اصول الجباية بما نصه : (المبدأ العام الذي لا ينبغي لمتشرع ان يحيد عنه هو ان جميع الاهلين بلا استثناء يتعين عليهم تقاسم ما تقتضيه النفقات العامة كل على قدر جهده وبنسبة كسبه وهذا هو مبدأ الجباية الصحيح) وقاعدة اخرى بهذا الموضوع تقول : (يتعين على الحكومة ان تكون شديدة الرصانة ، دقيقة الحكمة في تقويم دخلها من الضرائب المنوعة بنسبة تتفق مع الثروة العامة ويجمل بها تخمين الاقل دون الاكثر) فهل بعد هذا يقال ان الضرائب مقياسها حاجة الحكومة ومقدرتها على الجباية . والصحيح الذي عليه علماء الاقتصاد ان الضرائب مقياسها ثروة الشعب ومقدرته على الدفع كما تقدم ؟ ومن هنا يظهر صحة نظرية وفد الاتحاد السوري المبنية على أحدث القواعد الاقتصادية التي تعتبر ان الضريبة علامة الغنى وكل بلد تكثر قابليته لدفع الضرائب يكون غناه اوفر والغنى يتطلب الصرف والبذخ وكل أمة من أمم الحضارة تصرف بنسبة ثروتها العامة وهذا مما لا ينكره أحد لانه مبني على أسس واضحة في علم الاقتصاد لا محل للتوسع بها الآن . واذا كان ذلك كذلك فان الاقتراح القائل بتوزيع الواردات الجمركية بنسبة مجموع الضرائب او دخل الحكومات من الشعب اقتراح عادل ولا أدل على ذلك من

مقررات مؤتمر لوزان الأخير والذي كان يضم بلا شك أقدر الرجال الماليين والاقتصاديين فانه قرر ان توزع ديون الدولة العثمانية على البلاد المنفصلة عنها بنسبة مداخيل الحكومة منهـا في سني قبل الحرب ، واذا كانت الديون التي على البلاد ستوزع على هذه النسبة فما احرى وارداتها من مكوسها ان توزع على هذه النسبة ايضاً وحينئذ يكون الغنم والغرم على السواء ويكون استوفى كل من الفريقين المختلفين حقه بدون ان يكون للاجحاف والاغفال موضع او مجال . وردنا على ما جاء من الاعتراض على نظرية توزيع الواردات بنسبـة السكان سننشره قريباً وفي هـذا بلاغ والسلام .

نشر هذا المقال في العدد الصادر بتاريخ
٢٨ ايلول ١٩٢٣

(٣)

توزيع الواردات بنسبة عدد السكان

اعترضت جريدة (الارز الغراء على اقتراح وفد الاتحاد السوري لتوزيع الواردات الجمركية بنسبة عدد السكان بما نصه :) وما قلناه في التوزيع على تلك النسبة (اي نسبة الضرائب) تقوله في التوزيع على نسبة عدد السكان فانه لايتفق في نظرنا مع القاعدة الاساسية التي توجب وقوع الضريبة الجمركية على من ينفق البضاعة وانتفاع البلاد بما يدفعه ابناؤها من الضرائب ولا يمكن ان يتفق مع تلك القاعدة الا اذا ثبت ان الفريقين ينفقان من البضاعة الاجنبية الواردة بطريق الجمارك كل على نسبة عددها الخ .. وتقول في موضع آخر من هذا المقال ما نصه : (ان القوم في لبنان اكثر اختلاطاً بالافرنج وأكثر تشبهاً بهم في المأكل والمشرب والملبس وان هناك اضعافا من البضاعة لا يمكن ان تروج في القطرين على قياس واحد) ونحن نقبل كل شيء ونعترف انه يستهلك في لبنان من المشروبات الروحية مثلا اكثر مما يستهلك في بلاد الاتحاد السوري كما انه ربما يستهلك من مواد الزينة الشيء الكثير ولكن هذا لا يعني ان لبنان يستهلك كل ما يرد من الاشياء الثمينة وان بلاد الاتحاد لا تستهلك الا القليل، ذلك لان اخواننا وجيراننا اللبنانيين

قد غالوا في ذلك كثيراً وفاتهم ان مدينتي دمشق وحلب وحدهما فيهما من النفوس بمقدار نفوس جميع لبنان الكبير ان لم يكن اكثر وان في هاتين المدينتين العظيمتين من الحضارة والمدنية والرقي ان لم يكن اكثر من لبنان فلا يكون اقل منه وان الثروة فيها اوفر من لبنان ايضاً ، ولهذا فان الاهالي فيها تستطيع الصرف والبذخ والانفاق على الحاجيات والكماليات اكثر من معظم أهالي لبنان . والحقيقة التي لا شك فيها ان كثيراً من المواد الثمينة التي تباع في اسواق ومخازن بيروت مثلا يشتريها أغنياء وابناء البلاد الداخلية في أثناء سفرهم ورحلاتهم في صيفهم وشتائهم وعودتهم مصحوبين بالهدايا والتحف والمواد الثمينة حتى انه لا يعقد لعروسين من الاغنياء حتى يذهبا الى بيروت ويأخذا جميع أمتعتها وحاجاتها وهو ما يسمونه (بالجهاز) وقيمة هذه الاشياء تقدر بالوف الليرات من اسواق بيروت .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان الملاءات الحريرية والمعاطف الجوخية التي تلبسها السيدات المسلمات في البلاد السورية توازي أثمانها قيمة الاشياء الحريرية التي تستهلك في بيروت وحدها .

واذا سلمنا جدلا ان لبنان يستهلك من المواد الثمينة اكثر مما يستهلك في بلاد الاتحاد السوري وان توزيع الواردات الجمركية على نسبة النفوس فيه اجحاف بحقوق لبنان الذي لا يتجاوز نفوسه حسب الاحصاء الاخير ٥٧٠ الفاً ويوجد قسم من هؤلاء في المهاجر فان العربان الرحل المنتشرين في بادية الشام من اطراف شرقي الاردن جنوباً والى حدود الفرات شمالا وعددهم يربو على الخمسمائة الف نفس يستهلكون من المواد الضرورية لحياتهم مثل سكر وأرز وقهوة ومضام

وخام فقط يشترونها من أسواق دمشق وحمص وحماه وحلب وأطرافها وقيمة هذه الحاجيات التي تستهلكها العربان الرحل فقط تربو اضعافا مضاعفة عن قيمة ما يستهلكه لبنان من المواد الثمينة او الأشربة الروحية .

ونفوس الاتحاد السوري الذين يربو عددهم على المليون والثمانمائة الف نفس ينفقون بالنسبة للمجموع من المواد الثمينة اكثر مما ينفق لبنان الكبير ، هذه حقائق ملموسة باليد فلا مجال للمغالطة بها بعد الآن .

واغرب ما في مقال (الارز) قولها : (ولا أدل على ذلك من النكبة التي حلت بلبنان امام الحرب بسبب اقفال الموانيء وامتناع الواردات الأجنبية عنه ففتك الجوع والعري به فتكا ذريعاً) وهذه الحجة اذا كانت صالحة فهي في جانبنا لانه حينما انقطع استيراد البضائع منه الى البلاد الداخلية انقطعت الحياة الاقتصادية منه وفقد حركة التصدير والبيع والشراء ففتك فيه الجوع والعري حينما حولت البلاد الداخلية وجهتها وقتئذ بحكم الضرورة لاستيراد بضائعها من جهات أخرى .

ربما يحتج بعض المتغرضين للمصلحة اللبنانية والذين يريدون أن يجعلوا بلاد الاتحاد السوري مستعمرة لهم يهضمون حقوقها ويهتمون في عدم بلوغ شأوهم في ميدان التجارة والحضارة بقولهم : ان لبنان الكبير بما له من كثرة المهاجرين في اميركا يرد اليه مبالغ طائلة من هاتيك الجهات ، ولهذا فانه يمكن ان يصرف على البذخ والترف ، والاثاث والرياش اكثر مما يصرف في بلاد الاتحاد السوري ، وندفع هذه الدعوى بهذه الارقام : انه ثبت من الاحصاءات الرسمية ان الوارد من بلاد اميركا الى سوريا ولبنان عام ١٩٢١ ثلاثون مليوناً من الفرنكات اصاب

منها لبنان عشرين مليونا وسوريا عشرة ملايين . نعم انه ورد الى لبنان اكثر مما ورد الى سوريا ولكننا اذا قسنا هذا المبلغ بمجموع قيمة البضائع الواردة الى سوريا ولبنان في نفس تلك السنة وهو مبلغ ٤٠٠ مليون من الفرنكات نجد أن هذه القيمة التي وردت من اميركا لا أهمية لها بالنسبة الى قيمة البضائع التي دفعت ثمنها البلاد واستهلكت فيها ولهذا فانه لا مجال للمبالغة في هذا الموضوع ايضاً .

ولأجل ان لا يكون حجة ما لمندوبي لبنان الكبير فقد قدم لهم مندوبو الاتحاد السوري جدولاً احصائيا مفصلا لدرجة استهلاك كل من سوريا ولبنان الكبير من مجموع البضائع الواردة بطريق الجمارك واعترفوا لهم فيه بنسبة زائدة في كثير من الاصناف لأجل الوصول الى الاتفاق ، ومع ذلك فقد كانت نتيجة هذا الاحصاء الدقيق الذي عمل بروح التساهل ايضاً ان بلاد الاتحاد السوري تستهلك في المئة سبعين من مجموع البضائع الواردة بطريق الجمارك ولبنان الكبير في المئة ثلاثين ودعوا مندوبي لبنان الكبير الى درسه والمناقشة فيه صنفاً فصنفاً فلم يريدوا ذلك ولكنهم أصروا على الطريقة الحالية التي قضت عليها البلاد الاوربية المشتركة في الطرق البرية بعد تجربتها زمناً طويلا .

واستعاضت عنها باحدى الطرق التي اقترحناها وضربنا لهم مثالا بلاد الجزائر التي توزع رسوم الدخولية البحرية على نسبة النفوس بين الساحل والداخل الى غير ذلك من الأدلة والبراهين القاطعة واكثر من ذلك لا نحب أن نجول في هذا الموضوع الذي عندنا عنه الشيء الكثير وأرجو ان لا يحرجنا احد فيخرجنا ويضطرنا لأن ننشر ما لا يجد امامه للدفاع سبيلا والسلام .

نشر في جريدة (الف باء) الصادرة بتاريخ
٤ تشرين الاول ١٩٢٣

(٤)

وقع الينا نص الكتاب الذي أرسله فخامة المفوض السامي الجنرال وبغاند الى فخامة رئيس الاتحاد السوري بشأن الخلاف بين مندوبي سوريا ولبنان على توزيع حصص ايراد الجمارك وقد جاء في هذا الكتاب: ما نصه: (واننا نثبته هنا للعبرة والتاريخ).

وصل الغلو ببعض اعضاء اللجنة الى ان افتكر في وضع حواجز جمركية بين سوريا ولبنان وهذه الفكرة فضلا عن كونها عقيمة لا يمكن قبولها.

وقد ظهر لي من جهة اخرى انه لم يخرج نتائج مرضية من التنظيم الذي أسس لغاية احصائية فقط المؤلف من دوائر موجودة على الحدود الفاصلة بين سوريا ولبنان لتدقيق البضاعة.

فاذا زيد عدد هذه الدوائر وأمعن التحقيق في رزم البضاعة فينتج ذلك فضلا عن الصعوبات التي تحدث لسفر الافراد والمبادلات التجارية زيادة في النفقات عظيمة لا تتفق مع الغاية المطلوبة.

كما ان هذه النفقات من شأنها ان تنقص حصة الطرفين من واردات الجمارك واذا ظلت الطريقة الحالية معمولا بها فان الادارات

القليلة المؤسسة لهذا القصد لا تكفي قطعاً لأن تؤمن لنا مراقبة فعلية وعدا ذلك فقد ثبت كثرة تهريب الطرود الصغيرة بصورة خاصة وهي التي يحملها المسافرون معهم في القطارات او السيارات التي يجب على كل حال معرفة مكان توريدها .

واليك الاسباب التي حملتني على اصدار هذا القرار :

وجدت من الضروري ان أهتم بعاملين مهمين في توزيع واردات المكوس : الاول ـ نفوس كل واحدة من الدولتين ، والثاني ـ مقايسة الاستهلاك الوسطي بين الشخص الواحد من سكان لبنان ومثله في سوريا والحق ان الاستناد على عدد الاهالي في الحكم غير كاف لأن وسائط المعيشة تختلف أشد الاختلاف بين سكان القطرين .

ومن المؤكد ان الشخص الواحد من لبنان يستورد بضائع اكثر من مثله في بعض الالوية السورية وذلك نظراً لحاجاته ومشتهياته ولكن لا يغرب عن البال ان في سوريا مدناً عظيمة تتشابه في الحياة والعادات الاقتصادية تشابهاً عظيما مع سكان لبنان الكبير كما ان سكان الشام وحمص وحماه وحلب يكاد يعادلون سكان لبنان الكبير ويشابهونهم من حيث الاستيراد فلم يبق معنا حينئذ الا سكان أرياف الاتحاد السوري وبلاده الصغيرة فمن العدل ان يحفظ لها حق مشاركتها في مجموع مستوردات لبنان وسوريا .

ويلوح لي في هذه الحال ان يخصص ٤٧ ٪ للبنان الكبير و ٥٣ ٪ للاتحاد السوري من واردات المكوس يكون نسبياً عن تقدير نسبة عادلة بينها وان هذا التوزيع المعين على هذه القاعدة يعمل به في سني

١٩٢٣ و ١٩٢٤ على أنه يمكن ان ينظر فيه منذ الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٢٤ ويعدل متى ظهر ان هذه القسمة ضئزى .

وحينما اطلع مندوبو الاتحاد السوري على ما جاء في هذا الكتاب احتجوا على ما ورد فيه من الاجحاف بحق الاتحـــاد السوري ولم يقبلوا به .

المصرف السوري تجديد امتيازه

مقال نشرته جريدة (المقتبس) في عددها
الصادر بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩٢٣

علم القراء مما نشرناه في عدد الامس أنه سيعقد اجتماع في هذا اليوم في المفوضية العليا لأجل المذاكرة في أمر تجديد امتياز المصرف السوري وقد طلبنا الى الاقتصادي الفاضل السيد لطفي الحفار نائب رئيس الغرفة التجارية بدمشق رأيه في هذا الموضوع الهام فأدلى الينا بما يلي ننشره شاكرين عنايته واهتمامه بشئون البلاد الاقتصادية والسياسية .

حديث المصرف السوري وتجديد مدة امتيازه واعطائه حق إصدار ورق النقد السوري شغل بال الكثيرين من أرباب المال ورجال الاعمال في البلاد وحق لهم ذلك لأن المسألة تتعلق بروح الحركة المالية والحياة الاقتصادية وتأثيرها يشمل جميع الطبقات العاملة في هذا الجسم السوري المعتل .

يقولون ان ادارة المصرف في باريس أرسلت لجنة لأجل تجديد امتيازه وانها تسعى للحصول على الشروط التي تناسبها لاصدار ورقها والبلاد التي تدفع ثمن هذه الاتفاقات وتستنزف ثروتها هذه الاوراق ويكون تداولها اجبارياً في طولها وعرضها لا تعلم شيئاً مما يجري وراء الستار ولا تقف على سر من هذه الاسرار ، ولا تدري عن شروط

اصدار ورق النقد واستثماره وأرباحه ومعاملاته ومقدار ضمانته شيئاً .

المسألة مهمة جداً يجب بذل العناية والمجهودات الكبيرة لأجل الوقوف على حقائقها كما انه يجب العمل في جميع البلاد من الرجال الاقتصاديين والماليين لمعرفة دخائلها وأسرارها ؛ ولقد رأى الناس باعينهم ولمسوا بأيديهم مقدار ما أصابهم من الضيم والضرر من ترك حبل المسألة على غاربها ومن حالة الورقة السورية وتقلبها ، لوضعها على أساس ضعيف ولعدم اشتراك البلاد في مصرفها وأرباحه ومعرفة شروطه وأوضاعه .

* * *

ورق النقد اذا لم يكن مصدره مصرفا معروفا بمقدرته ومتانته حائزاً على الاعتماد التام من الحكومة والشعب معاً لقاء شروط معروفة وسبائك ذهبية محفوظة لديه تربو على قيمة الثلث يكون معرضاً للهبوط والصعود بشكل يضر حامله ومتداوله ضرراً بليغاً . ولقد قال علماء الاقتصاد (لقد كان الناس يظنون قبلا أنه لا ينبغي للمصرف ان يستعيض من ذلك المال الاحتياطي الا نحو الثلث من قيمة الورق النقدي المتداول غير أنه جرى اصطلاح المصارف الكبرى على جعل المال الاحتياطي معادلا النصف او متجاوزه) وهذا من الشروط الاساسية لاصدار الاوراق النقدية اذا روعيت فيها المصلحة الاقتصادية العامة فما بالك اذا كانت مضمونة باوراق نقدية أخرى (شيك على باريس) كما هو شأن الورقة السورية في بلادنا فان القضية تستوجب الاهتمام والبحث والدرس جيداً لجعلها مستندة على ركن ركين وسند متين لننجو من غوائل هذا التقلب وأضراره كما هو مشاهد ، وشرط الاقتصاديين لاصدار

الورق النقدي صريح في أنه : (يتعين صدور الورق النقـــدي من مصرف معروف غير مشكوك في مقدرته لئلا يهرع من له معاملات او نقود الى المصرف يستبدلها بنود أخرى ويتعين ايضاً أن تدفع قيمته الى حامله بلا محاولة) وقبل الحرب العامة كان يراعى في اصدار الاوراق النقدية هذه الشروط بصورة دقيقة جداً لحفظ قيمتها ومكانتها حتى أن نسبة ما كان مخزوناً ذهبـاً وفضة في مصرف فرانسا ـ الذي اختص وحده باصدار ورق النقد ـ الى الاوراق المتبادلة نسبة أربعة وثمانين ونصف بالمئة ونسبة المخزون من الذهب وحده الى تلك الاوراق نسبة سبعة وستين الى المائة ولذلك كان سعر الفرنك الفرنساوي لا يختلف الا قليلا . واما بعد الحرب فان هذه النسبة اختلفت اختلافـا يصعب تقديره اليوم ولهذا طرأ هذا النزول وهذا التبدل الذي أضر كثيراً والمساعي تبذل في جميع بلاد الدنيا وخصوصاً البلاد التي تربو صادراتها وارداتها لجعل قيمة أوراقها النقدية ثابتة او قريبة من القيمة الاعتبارية التي لها موضع الضمانات الكافية وتقليل قيمة المتداول منهـا كالجنيه الانكليزي والريال الاميركي والفرنك السويسري وهو ما يسمونه اليوم بمحاربة تضخم النقد خوفاً من هذا التدهور الذي فشى في اوراق بعض الامـــم وخصوصاً المغلوبة منها فخسرت ثروتها وأضرت بلادها وأعمالهـا ونحن حديثو العهد بهذه الاوراق فيجب تلافي الحال ، وعدم الاسترسال ، والاخذ باسباب الحذر والحيطة لنأمن تقلب اسعار اوراقنـا المتداولة بين أيدينا ولنحفظ لأنفسنا حق الاشتراك في أرباح اصدارها لقاء انتفاع المصرف الحاصل على هذه الثقة وعلى هذا الحق . والورق النقدي كما هي القاعدة الاقتصادية : (قرض خفي يقترضه المصرف من الجمهور بدليل

أن الجمهور يرضى به بدلا من النقد مع أنه ليس الا وعداً بدفع النقد اليه حينما يتطلبه) .

ويجب ان يكون لنا الرأي الاعلى في وضع شروطه وأنظمته وحقوق حامليه وضمانة تصرفه . وهذا مطلب عادل يجب ان تناله البلاد التي ترغم على تداول مثل هذه الاوراق والا فاننا نكون مجازفين بالبقية الباقية من ثروتنا وقد كادت تنضب في بحر من الاضطراب الاقتصادي وذهبنا قد ذهب وضل في فقر من الورق النقدي لا نسلك فيه سبيلا واضحاً او طريقاً مستقيما .

بين القديم والحديث: أحب كتاب العربية

جاء في العدد الثالث من مجلة (الاصداء) التي كان يقوم على تحريرها قادة الفكر الحديث ما نصه :

اشتهر دولة السيد لطفي الحفار ، كوزير وكرئيس للوزارة ، باستقامته وصلابة عوده وصدق عقيدته ، لكنه يجمع الى هذه الصفات النادرة صفات أدبية لا يعرفها الا خاصته وأقرب معارفه . فهو من اكثر رجال الحكم في بلادنا ولوعاً بالادب وتذوقاً لفنونه ومطالعة لروائعه . وتعد مكتبته من أمهات المكتبات الخصوصية . وقد طرحت رئاسة تحرير الاصداء على دولته بعض الاسئلة الادبية فتفضل وأجاب بما يلي :

— أي الادبين تؤثرون القديم أم الحديث ، وأي أنواع الادب الحديث أحب اليكم ؟

— لن يبلغ الاديب العربي الحديث ، باعتقادي ، المقام الرفيع الذي يصبو اليه كل أديب في عالم الادب الا اذا نهل من ينبوعين : من الادب العربي القديم في روائعه النثرية الخالدة كنهج البلاغة والعقد الفريد والامالي والكامل والبيان والتبيين والحيوان والاغاني وما اليها ، ودرره الشعرية الرائعة كالملقات وما نحا نحوها من شعر المخضرمين والامويين والعباسيين .

ومن الادب الحديث هذا الذي برز فيه الغرب وجاء فيه بالافانين ، فكان لزاماً على أدباء العرب ان « يطعموا » ادبهم به من بعد ان تطعم هو طويلا بادبهم عن طريق الجامعات العربية في الاندلس وافريقيا الشمالية وسواها .

اما أي الادبين احب الي فذلك سؤال لا أظن ان هنالك اديباً يجزم بالاجابة عليه . فالجميل من الفنون والرائع من الآداب لا عصر له ولا وطن ، فقديمه حديث ، وحديثه قديم اذا ما قيس الى روائع الاقدمين من حيث البساطة والقوة والجمال . ولذا فأنا أميل الى الادب القديم حين اقرؤه في المنتقى منه حتى لأحسبني من انصاره المتعصبين وانا أميل الى الادب الحديث حين اقرؤه في منتخباته ايضاً حتى لأحسبني من اصدق انصاره .

احب انواع الادب الحديث الي الشعر ان جمع بين متانة القديم ودقة الحديث ، والقصة الطويلة او الرواية اذا جمعت الى دقة التحليل والتفنن في التصوير اسلوباً عربياً ولغة منتقاة .

— من هم أحب ممثلي الأدب الحديث اليكم ؟.

أؤثر من الشعراء شوقي ثم حافظ ابراهيم والاخطل الصغير وبدوي الجبل وعمر ابو ريشه وجبري . وهنالك عدد كبير من الشعراء المجيدين غير هؤلاء لكني لم اقرأ لهم كثيراً لذا تحفظت بذكر اسمائهم ، لأني أخشى الحكم في مثل هذه القضية من قراءة قصيدتين او اكثر قليلا للشاعر الواحد .

وان تفوق شوقي ، رحمه الله ، لاكبر مؤيد للنظرية التي ذكرتها بان الادب الحديث لن يتفوق الا اذا كانت الثقافة القديمة والحديثة

متلازمتين عميقة في ادبه ، ومَن مثل شوقي جمع بين القديم والحديث في فنه ؟ واعتقد أن بدوي الجبل له المستقبل اللامع والمكانة الكبرى بين شعرائنا المجيدين .

اما زعماء النثر فاحبهم الي من حيث الاسلوب ، برشاقته وموسيقاه وقوته وعروبته ، الاستاذ احمد حسن الزيات . ولن أقف طويلا عند كبار الكتاب المصريين . فالذين أحبهم منهم كثيرون وقد طبقت شهرتهم آفاق العالم العربي ، وكل منهم أجاد في ميدانه . ويعجبني من كتابنا المعاصرين الكاتب الفيلسوف ميخائل نعيمه ، فمن يطالع تآليفه يشعر بانه قد هضم كل شيء في الادب ثم أخذ ينتج فكان نتاجه اصيلا شهياً ، وأحب من كتاب القصة محمود تيمور فقد برز في دراساته للحياة الاجتماعية في مصر لكني آخذ عليه اهماله اللغوي واسترساله في تيار العامية أحياناً ونحن في عهد من اول واجباتنا الأدبية فيه تعميم الفصحى وتأليف لهجاتها كتابة ولفظاً لكي تكون الدعامة الاولى لوحدتنا دعامة متينة متجانسة في الحقيقة والمظهر .

وأحب معروف الارناؤوط في رواياته التاريخية الرائعة ، وأعجب باسلوبه المشرق المزهر . لكني أشفق أحيانا على الوقت من بعض استرسالاته ، على ان بدائع الفن لا تقاس بالوقت المحدود .

وهنالك روائي ، لم اكتشفه الا مؤخراً رغم شهرته السابقة ورغم اشتغاله معي مدة شهور طويلة ، وهو مؤلف « قدر يلهو » . فقد رأيت في رواياته الجديدة فتحاً جديداً من حيث التفكير والسبك والتعبير ، وكأني به لم يرتض لأدبه ان يقتصر على الفن فيأتي فيه بكل مبدع رائع بل أراده فوق ذلك ان يكون صيحة من صيحات

التوجيه القومي وصورة من صور الاعتزاز بالعروبة فابدع وأفاد .

— هل ترون أنه من الممكن ان يكون للحكومات منهاج ادبي تتبناه ؟

— طبعاً . فهنالك غايتان لا بد لكل حكومة من التشبث بها : الاولى : تهيئة جميع الاساليب التي تساعد على نشر اللغة الفصحى بين جميع الطبقات ، لا فرق بين الطبقات المتعلمة وغيرها . وإني أعتقد ان خدمة السياسي او العالم او الاستاذ او النائب او المحامي وغيرهم لا تؤتي كامل ثمراتها الا اذا زود بلغة متينة تعينه في كل المواقف . ولا ينفع لمثل هذه الغاية شيء كنشر الادب وتعزيزه وتشجيع مؤلفيه .

والغاية الثانية تعزيز الفكرة القومية في أبناء الجيل الطالع ، ولا يتم ذلك الا اذا ساهم فيه الادباء شعراً ونثراً ، مقالة وقصة .

— هل لدولتكم اقتراح او ملاحظة تبدونها لكتابنا ؟

— الكتاب فئات . فمنهم الكاتب الاجتماعي والفني والقصصي والمؤرخ والشاعر وما الى ذلك . ولا أرى الواحد من هؤلاء بالغاً شأوا بعيداً الا اذا الزم نفسه نوعا من انواع الادب وعمل فيه . فان دعوت الى شيء فأول ما ادعو اليه ادباءنا هو ان ينصرف كل منهم الى ما خصته به الطبيعة من ميل فيتخصص به ، واذ ذاك يمكن ان نفاخر الغرب ان في أدبنا روائع تضاهي روائعه او تبزها .

يكذبون ولا يستحيون

نشرت بجريدة (المقتبس) بعددها الصادر
بتاريخ ١٠ آب سنة ١٩٢٥

سمعت الاستاذ العلامة فارس بك الخوري في حفلة تكريم امير الشعراء احمد شوقي بك يقول بمناسبة الجوار الطبيعي بين مصر والشام ما نصه : (عزم المستعمرون ان يفصلوا بين القطرين الشقيقين بشعب آخر يجعلون له سوريا الجنوبية وطناً قوميا ويفصمون عروة الاتصال الوثيقة بين مصر والشام ومنذ شهرين زار دمشق زعيم هذا الرأي « اللورد بلفور » فقابلته بما يثور في صدور اهلها من مراجل الحنق والغيظ . واليوم يزور دمشق علم من اعلام مصر ، ونابغة من نوابغها فتستقبله بما يشف عن عواطفها نحو مصر العزيزة وسكانها المحبوبين . فلا كانت اليد التي تدس لتفريق الاخوان ولا الاجسام الغريبة التي تقام لتفصل الشقيق عن شقيقه فانها كالهشيم الموضوع بين النارين ، او كالنعجة المندسة بين الليثين وما كان العرب في وقت من أوقاتهم أشد وئاماً ، وأوثق نظاما ، من اليوم الذي يحاول فيه المستعمرون تفريقهم الخ ..) فقلت في نفسي : هذا احد اعضاء الهيئة الادارية لحزب الشعب ومن كبار الرجال العاملين فيه ينحي باللائمة جهاراً نهاراً على السياسة الانكليزية في سوريا الجنوبية ، ويشدد النكير ويدعو عليها ويقول فلا كانت « تلك اليد التي تدس لتفريق الاخوان » ويبرهن

على خطأ هذه السياسة الاستعمارية وخطلها ولا يستحيي رئيس تحرير جريدة الزمان ان لم يكن من الله فمن الناس ويعترض رجال حزب الشعب قائلا : (واذا لم يكن بين هؤلاء المشاغبين من يفهم اللغة العربية لتضلعهم من « الانكليزية » روحاً وكتابة وترجمة) الى آخر ما جاء في أقواله من الهذر والهراء ولكنه يريد أن يتهمهم بمناسبة وبغير مناسبة ، والا فما أبشع هذا الاستطراد بقوله : اذا لم يكن بين هؤلاء المشاغبين من يفهم اللغة العربية ، فاذا كان أمثال فارس الخوري والدكتور شهبندر وغيرهما من رجال حزب الشعب لا يفهمون اللغة العربية وهم من فطاحلها فرئيس تحرير الزمان هو يفهمها ويتقنها كما يتقن التذبذب والكذب ، والمتاجرة بالوشاية والسعاية ...

وهل يمكن او يعقل ان يكون بعض رجال حزب الشعب ممن يدعون للسياسة الانكليزية وهم ينددون بها وينتقدونها في جميع مواقفهم وخطبهم وكتاباتهم . ولقد رأيت كيف يتكلم عن السياسة الانكليزية فارس الخوري بخطابه المتقدم وأرجو من القارىء المنصف ان يرجع الى كتاب الزعيم الدكتور شهبندر (سلسلة السجون) وليقرأ فيه انتقاده للسياسة الانكليزية ايضاً في بلاد الشرق وكيف يقول عن السير (اريك درومند) : انه حمل معه لوظيفته الجديدة (وظيفة كاتم اسرار عصبة الامم) كل التقاليد المتوارثة في وزارة الخارجية البريطانية من دسائس سياسية ، واتفاقات سرية ، وقال في مقدمة الكتاب المذكور ما نصه :

(وقد اتبعت انكلترا خاصة بالاتفاق مع حليفتها اليابان سياسة التوسع والتقسيم وهي سياسة تزرع بذور الحروب المقبلة من غير مفر) وقال ايضاً (ان الاشتراكيين في بلاد الانكليز والراديكاليين في فرانسا

يتربعون على منصة الحكم فأخذت فكرة عصبة الامم تجدد بعد ما كاد يقضي عليها لويد جورج وخلفاؤه الخ ..) . ثم ذكر أمثلة كثيرة للتنديد بهذه السياسة الدولية الضارة . هكذا يكتب ويمثل هذه الصراحة ينتقد ويجاهر ثم يقول عنه بعض الكاذبين انه داعيـــة انكليزي ولم يكن قط في جميع أدوار حياته الا داعياً وطنياً . ومواقفه الخطابية في جميع المحافل السياسية الرسمية والخاصة في بلاد انكلترا وامريكا كانت شديدة جداً على السياسة الانكليزية المتبعة في سورية الجنوبيـة بل كانت اشد وقعاً واكثر انتقاداً من حملاته على السياسة الفرنسوية في البلاد السورية .

ثم انهم لا يستحون ولا يخجلون من الصاق مثل هـــذه التهم السافلة بمثل هؤلاء الرجال المعروفين بصراحتهم وحريتهم في جميع اقوالهم وأعمالهم ويجيئنا رجل في آخر الزمان او غيره من الحمقى ويهتمون بدون ان يأتوا بالدليل الواحد بان رجال حزب الشعب دعاة للسيـاسة الانكليزية ، وهل بمثل ما تقدم تكون الدعوة وانها والله قحة غريبة ، وتهجم سافل ، وسلاح مفلول ، ولكنهم يريدون ان يحاربوا او يهاجموا او يشتموا ... ولا يجدون مجالا غير الافتراء والتهم الباطلة امام رجال عرفوا بماضيهم اللامع وسيرتهم الطيبة والمحافظة على المباديء العـــالية والمفاداة والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل خدمة بلادهم وأمتهم .

وانك كيف قلبت جريدتهم التي اتخذوها أداتهـم ومتكأهم ومهما اكثرت من قراءة مقالاتها الطويلة المملة فانك لاتكاد تجد فيها غير ترديد نغمة المشاغبين الذين قوضوا دعائم العرش والملك وباليته يجد غير هذه الطريقة للطعن والقدح ولكنها طريقة لايعرف من امرها شيئاً بالرغم عن شيخوخته وادعائه .

وهو يسجل على نفسه الجهل الفاضح في تاريخ ادوار الحكومة العربية والعوامل العديدة التي قضت عليها وفي جملتها عوامل السعاية والخيانة ، والكذب والوشاية ، يقوم بها رجال على صفحات صحفهم ويتجاهلونها ، ويدوسون المباديء بأجمعها اشباعا للنهم والجشع ... ثم لا يستحيون .

حزب الشعب الذي يضم خيرة ابناء هذه الامة ومتعلميها واصحاب العقول الراجحة فيها لا تؤثر فيه امثال هذه المثالب الزائفة والمطاعن الكاذبة ويقابلونها بالسخرية والاستهزاء من سخافة الذين ينظمونها ويقومون بالعمل لترويجها لأنها لا تستحق غير الضحك والبكاء ...

بعد العودة من المنفى

نشرت بتاريخ ٢ آذار ١٩٢٨

ايها الاخوان :

نعود اليكم بعد فراق طويل وعذاب مرير ، وتضييق عنيف قام به رجال السلطة الافرنسية ضد أمانيكم ، ومن يحمل هذه الاماني ويطالب بها بقوة وايمان ، علّهم يجدون منا هوادة اولينا ، او مساومة وتسليما بحق أمتنا وبلادنا ، ولكنهم فشلوا مراراً ورجعوا خائبين خاسرين ، لأننا والحمد لله نتسلح بقوة إيماننا ، وعزيمة امتنا التي لا تلين لها قناة ، نستمدها من روح هذه الامة التي تريد الحياة عزيزة كريمة .

اننا كنا نلاقي الأٓلاقي في هذه الصحراء القاحلة التي رمانا بها الافرنسيون وكانت خالية من وسائل الراحة ، وضرورات الحياة ، وكان الحر المذيب يضني نفوسنا واجسامنا والتضييق العنيف في حركاتنا وسكناتنا ، والسجن المنفرد أحياناً في هذا الجو الملتهب ، كل ذلك كنا نتلقاه بصدر رحب ، وصبر المؤمن ، ما دام هذا في سبيل امتنا وبلادنا ، ولطالما كنا نقول مع اخواننا اننا هنا كما يعلم الله اهنأ بالا ، وأحسن حالا ، من ان نكون على مقاعد الوزارة التي ضربناها بارجلنا ، وامتنا تجاهد في سبيل حقها واستقلالها ، وشبابنا ورجالنا في ميادين الثورة يقدمون الارواح والدماء رخيصة للدفاع عن كرامة البلاد ،

والذود عن حقها في الحياة .

واما اولئك الذين استمرؤوا هذا المرعى القذر ، واستمروا في معاونة الاجنبي على هذا الاساس السيء ، فلهم نقمة الله ، واحتقار الامة ، وعذاب الضمير ، اذا كان لهم ضمائر يشعرون بها .

اننا ايها الاخوان حينما نجد أمامنا هذه الروح المؤمنة بحقها ، وهذه التضحيات التي لا تقف أمامها أية قوة مهما عظمت ؛ حينما نجد هذا ، ونلمسه بايدينا ، وتهتز به مشاعرنا ، نستقبل التضحية ، مهما عظمت ، والبذل في الغالي والرخيص مهما سما ، وننـدفع معكم الوصول الى اقصى ما يمكن بذله من القوى الأدبية والمادية غير هيابين ولا وجلين ولسان حالنا يقول :

فان تكن الايام فينا تبدلت ... بؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل
ولكن حملناها نفوسا كريمة ... تحمّل ما لا يستطاع فتحمل

حاشية :

استقبلت مدينة دمشق رجالها المبعدين الذين نفتهم السلطة الافرنسية الى أقاصي الصحراء في مدينة (الحسكة) في شهر تموز عام ١٩٢٦ ، وكانت وقتئذ خالية من اي وسيلة من وسائل الحياة البسيطة وكانت درجة الحرارة فيها في الصيف ايام منفاهم تنوف على (٤٦) درجة في الظل بميزان سنتيغراد ، وكان لا يوجد فيها سوى عمرة فيها بعض الغرف لبعض تجار دير الزور يتخذونها لمشترى السمن والغنم ايام الربيع من العربان الرحل ، وهي امام الثكنة العسكرية ، وقد كان

يراقبهم الجند الاجنبي بقسوة وغلظة حسب تعليمات رؤسائهم ، ومرة اطلق عليهم الرصاص بحجة فتنة نشبت بين جنود الجيش المختلط ، وكادت تودي ببعضهم لا سمح الله ، وكانت نجاتهم منها بلطفه تعالى ، وقد ثبت ان هذه الفتنة مصطنعة ، أريد منها اطلاق الرصاص حيث يقيم هؤلاء الرجال المبعدون ، وهم السادة : فارس الخوري ، لطفي الحفار ، حسني البرازي ، والمرحومان سعد الله الجابري ، فوزي الغزي ، بدر الدين الصفدي ، اديب الصفدي ، حتى اذا أصيب احدهم او بعضهم يقال انه رصاص طائش ، وقد نجاهم الله من كيد هؤلاء المستعمرين ، ثم نقلتهم السلطة الافرنسية في اوائل الشتاء الى قرية اميون نظراً لكثرة زيارات رؤساء القبائل لهم هناك ، ودام اعتقالهم قرابة سنتين ، وحين عودتهم الى دمشق في اوائل شهر آذار ١٩٢٨ استقبلتهم المدينة استقبالا رائعاً ، خرجت برجالها ونسائها ، وهي تهلل لقدمهم وسلامتهم .

لذلك يلاحظ القارىء انقطاع الخطب او المقالات او الاحاديث ما بين اواخر سنة ١٩٢٥ الى اواسط سنة ١٩٢٨ ، حيث نشبت الثورة السورية ، وكان هؤلاء الوطنيون من مؤيديها ، والعاملين على المطالبة بتحقيق مباديء الثورة في مختلف الميادين ، وعلى هذا الاساس تم الاتفاق فيما بينهم وبين المفوض السامي الافرنسي المسيو دوجوفنل على برنامج ينص بابدال الانتداب بمعاهدة تعترف باستقلال البلاد السورية ووحدتها وحريتها ، وعلى اساس هذا البرنامج الذي اعلن المفوض السامي الافرنسي الموافقة عليه دخل بعض الوطنيين بالاتفاق فيما بينهم وزارة الداماد احمد نامي ، ثم اضطر المسيو دوجوفنيل للاستقالة بعد فشله ، لعدم موافقة

وزارة الخارجية الافرنسية على برنامجه هذا ، وبعـــد استقالته اعلن القائد العسكري الوزراء الوطنيين ان برنامج الوزارة الوطنية لم توافق عليه الوزارة الافرنسية ، وانه هو سيكون حراً في اعماله العسكرية ، وكان الاتفاق مع المسيو دوجوفنيل ان لا يعمد الى قمع الثورة بالقوة . وبعد مشادة عنيفة بين الوزراء الوطنيين والقائد العسكري ، وكان اسمه الجنرال (غوابيه) استقال الوزراء الوطنيون ونفتهم السلطة الى اقاصي الصحراء ، فكان انتقالهم من كرسي الوزارة الى المنافي السحيقة والتضييق العنيف مثلا من امثلة الثبات على المبادىء الوطنية والايمان بها مهما عظمت التضحية .

(الناشر)

الشرق والأعمال الاقتصادية

« خطاب القاه الاقتصادي القدير لطفي بك الحفار
في حفلة تكريم طلعت بك حرب النابغة الاقتصادي
يوم ٧ تموز سنة ٩٢٥ في بهو المجمع العلمي العربي »

نشر بجريدة (المقتبس) بعددها الصادر بتاريخ
١٣ تموز ١٩٢٥

اذا كان الشرقي متأخراً عن الغربي في كثير من مناحي الحياة واعمال الحضارة ومظاهر المدنية الراقية ، فذلك لأنه تأخر قبل كل شيء عن تنظيم اعماله الاقتصادية على الاصول الحديثة .

أينما اتجه الانسان ونظر ، وحيثما دقق وفكر ، في مظاهر هذه القوة المادية الغربية يجد أن الاساس الذي ترتكز عليه والمحور الذي تدور حوله هو قوة المال ؛ وقوة المال لا تأتي الا من طريق العمل الذي يستند على أحدث الاصول الاقتصادية المبنية على الاحتياجات القومية والمحلية .

واذا علمنا ان الرجل الذي نحتفل به الآن محمد طلعت بك حرب أحد مؤسسي (بنك مصر) هو من أفذاذ رجال الشرق الذين قاموا بتنظيم الاعمال الاقتصادية فيه وأسسوا ونجحوا وقدموا البرهان العملي على نبوغ الشرقي واقتداره على ادارة أعظم الاعمال الاقتصادية ، وأدق المعاملات حق لنا ان نفاخر به كثيراً وان يكون مثالا صالحاً لنا ولرجال المال والاعمال في بلادنا .

انني منذ تأسيس (بنك مصر) بادارة هذا الرجل الكبير كنت كما يعلم الله أتتبع سير حركته وأعماله ولا تتبع مساهميه وأرباب المصلحة فيه ، وذلك لأني اعتقد ان الاقدام على تأسيس هذا المصرف باموال مصرية وبأيدي رجال مصريين هو من اعظم الاعمال الاقتصادية التي قامت في بلاد الشرق ونجاحه يعود على الشرقيين قاطبة ويكون اعظم مشجع للسوريين خاصة لأن يحتذوا حذو اخوانهم المصريين في الجرأة والاقدام على تأسيس مثل هذه الاعمال الاقتصادية النافعة والشركات المساهمة الكبيرة ، ولكم كنت أسر حينما اعلم انه سائر في طريق النجاح والفلاح عاما فعاماً وأي نجاح اعظم من تأسيس بنك مصر في سنة ١٩٢٠ برأس مال اولي قدره ثمانون الف جنيه ويصبح رأس ماله يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ نصف مليون جنيه مصري عدا عن ١١٦ الف جنيه مالا احتياطياً وحسابات الامانات والودائع فيه تربو على المليونين والثلاثمائة الف جنيه ثم ان هذا المصرف الاهلي الوطني قد اشترك ايضاً في تأسيس (مطبعة مصر) وهي من أحدث المطابع العصرية هناك ، كما انه اشترك في رأس المال الاولي للشركة المساهمة المصرية لصناعة الورق . وكذلك اشترك في رأس المال الاولي للشركة المصرية التجارية وحليج الاقطان ، ويهتم (بنك مصر) الآن بدراسة وتحضير الاعمال التمهيدية لتأسيس شركة جديدة برأس مال جديد يكون غرضها مزاولة اعمال الغزل والنسيج في القطر المصري كما انه يهتم بدراسة وتحضير شركة جديدة للنقل والملاحة في مياه النيل . ولقد وضع (بنك مصر) رأس مال لهذه الاعمال حتى ٣ كانون اول (ديسمبر) الماضي ٣٧٩٩٧ جنيهاً مصرياً والمبلغ الذي خصص لهذه الاعمال من ارباح

السنة الماضية عشرون الف جنيه وخصص ايضاً من ارباح عام ١٩٢٤ ثلاثون الف جنيه أخرى لخدمة هذه الاغراض السامية . وان مما يوجب الشكر والفخر ان معاملات هذا المصرف وحساباته ودفاتره كلها باللغة العربية وموظفيه يربو عددهم عن الثلاثماية موظف من خيرة شباب البلاد المتعلمين وهم يشتغلون في المركز وفي الفروع العديدة . وعدا عما تقدم فان طلعت بك هو الذي قام بتأسيس شركة ترقية التمثيل العربي وانشأت هذه الشركة المسرح العظيم القائم بحديقة الازبكية على الطراز العربي الاندلسي الجميل ورأس مال هذه الشركة اربعون الف جنيه مصري وكل ذلك لترقية شأن التمثيل العربي والموسيقى العربية .

ومما تقدم ترون ايها السادة ان الاعمال الاقتصادية في البلاد اذا قامت على ايدي رجال وطنيين تعود بالخير العميم والفائدة الكبيرة على بلادهم وعلى ثروتهم ذلك لانهم يشعرون بانهم في حاجة شديدة الى اتباع سياسة اقتصادية تقوم على تقدير الحاجات القومية تقديراً علمياً صحيحاً مبنياً على المشاهدات والاستقراءات العديدة حتى اذا تم درسها وتحليلها من الوجهة الفنية والاقتصادية أقدمت على القيام بها والدعوة اليها .

هذه السياسة الاقتصادية القائمة على خطة البحث العلمي الصحيح للوصول الى الغايات العمليـة العاجلة هي التي قادت الرجال الوطنيين المخلصين وفي مقدمتهم محمد طلعت بك حرب الى تأسيس (بنك مصر) اولا وهي التي تقودهم اليوم الى العناية بجميع اسباب الاستقلال الاقتصادي وهو مقدمة الاستقلال السياسي .

هذا موجز صغير من اعمال هذا الرجل المالية الذي نقوم بواجب تكريمه الآن اعترافا باعماله الاقتصادية النافعة ولانه مثال حي لرجال المال

والاعمال في البلاد الشرقية يشجعهم على تأسيس الاعمال النافعة وتأليف الشركات المساهمة لخدمة مصلحتهم ومصلحة بلادهم . وهو عدا عن اعماله العظيمة عضوٌ بمجلس الشيوخ المصري ، وعضو بمجلس ادارة البنك العقاري ، وعضو بمجلس ادارة الصنائع المصرية ، وعضو في مجلس ادارة بورصة اوراق القاهرة ، وعضو في هيئة المجلس الاستشاري لوزارة الزراعة ، فهل من يشك منكم ايها السادة بعدئذ في ان الامم بافرادها وان رجلا مثل هذا يكون ركناً من اركان حياتها ، وسبباً من اعظم اسباب نجاحها وفلاحها .

ربما زعم بعضكم ان الفرق شاسع والبون كبير بين ثروتنا وثروة القطر المصري ومتى تيسر لنا ان نملك ثروة صالحة فلا نتأخر عن القيام بمثل هذه الاعمال وهو لا يعلم ان تكوين رأس مال في الامم لا يحتاج الى الثروة الطائلة ، او الغنى الفاحش ، متى علمت الامة فوائد الشركات المساهمة ، وتدربت على اعمال المشاركة والاقبال عليها ، وعلى الاخص اذا وجد بينها رجال مخلصون في اعمالهم مجدون ثابتون يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . مثل هؤلاء الرجال اذا وجدوا حتى في الامم الضعيفة ثروتها فان مجموع الامة يمكنه ان يقدم لهم متى أثبتوا حسن نيتهم وعملهم ما تحتاج اليه البلاد من الرأس المال الواسع لأي عمل من الاعمال بعد ان يكون تم درسه وتدقيقه من الوجهة الاقتصادية وثبتت حاجته من الوجهة الصناعية او الزراعية او التجارية وعلماء الاقتصاد يقولون : (المشاركة احدى الوسائل التي يتوسل اليها الناس لتحسين حالهم ، بها يتقنون توزيع مجهوداتهم وبها يتناصرون على حماية حقوقهم او على تقاضيها في أزمات الحياة . وبها يتوصلون

من طريق تآزرهم الى نتائج لا يسعهم ادراكها متفرقين) . وأقرب مثال لتأييد هذه النظرية العلمية مشروع عين الفيجة الذي قام على ايدي رجال وطنيين وباموال الوطنيين وهو يتطلب مبلغ ماية وخمسين الف ليرة عثمانية ذهباً وهو مبلغ لا يستهان به بالنسبة لثروة هذه البلدة الطيبة وخصوصاً في ازمتها الاقتصادية الحاضرة وانه لاكبر مشجع للاقدام على الاعمال النافعة ، وتأسيس الشركات المساهمة لتنظيم شؤوننا الاقتصادية وحفظ البقية الباقية من ثروتنا ، وبلادنا بحمد الله خصبة تربتها ، غزيرة مياهها ، واسعة أرضها ، غنية بثروتها الطبيعية ، قديمة بصناعاتها معروفة بماضيها . ولكنها تحتاج الى الايدي العاملة والرجال النشيطين لاستخراج كنوزها واستثمار ثروتها والقيام بحقها وعسى ان تتفق في القريب العاجل على عقد الشركات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين مصر وسوريا وذلك بقوة التبادل التجاري وقوة الانتاج الذي يمتاز به كل قطر على الآخر فهناك القطن الجيد على أنواعه ونحن سنحتاج اليه حينما يتم تأسيس معامل الغزل والنسيج في القريب العاجل ان شاء الله وهم يحتاجون الى الحرير السوري لمختلف انواع الصناعات الوطنية هناك الى غير ذلك من منتوجات البلاد الزراعية والفواكه المختلفة والتي نصدرها سواء كانت جافة او غضة والمساعي تبذل هنا لتحسين اصدارها وشحنها بالطرق الفنية والصحية وان الدرس العملي الذي يمليه علينا محمد طلعت باك حرب وقد تحلى بالجرأة والاقدام والثبات والاخلاص وقوة الارادة للقيام بتأسيس الاعمال المالية الكبيرة ووضعها على أحدث الاصول الاقتصادية في بلاد جارتنا مصر الشقيقة سيكون اكبر مشجع لنا واعظم دافع لبذل مجهوداتنا للقيام بالاعمال المالية

والمشاريع الاقتصادية التي لا قيام للامم في جميع ادوار حياتها بدون تنظيمها والعمل على اتقانها وسلوك طرقها العلمية والعملية . وهي معروفة لا تحتاج الا الى الاقدام والاتحاد والشعور بالحاجة اليها ونحن على ما نحن عليه من تأخر أحوالنا الاقتصادية التي توجب علينا العمل لايجـــاد التوازن اللازم بين الصادر والوارد وكيف تقوم قائمة لبلاد لا توازن على الاقل بين صادرها وواردها وهو ما يجب السعي لأجله طويلا وما يجب ان يشعر به كل فرد من افراد هذه الامة الذين يهتمون بحياتها وسعادتها والسلام .

تحية دمشق لأعضاء الوفد السوري في أوربا

نشرت بجريدة (الشعب) بعددها الصادر
بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩٢٨

تألفت لجنة من خيرة شباب بيروت وأهل الفضل والمكانة فيها ، لاقامة حفلة تكريمية كبرى على شرف الوطني الكبير الاستاذ رياض بك الصلح تقديراً للاعمال الجليلة والمساعي المنتجة التي بذلها الوفد السوري في اوربا وأرسلت بطاقات الدعوة الى فريق مختار من رجال الزعامات والوجاهات والنفوذ الفكري في سائر انحاء البلاد السورية واللبنانية.

واختير نزل بيروت بالاس الفخم في مدينة بيروت لاقامة الحفلة ، فزينت الصالة الكبرى في أعلى النزل بزينة باهرة دلت على ذوق واتقان كبيرين ، وفي الساعة الثانية بدأ المدعوون يفدون وكان اعضاء لجنة التكريم يستقبلونهم بما جبلوا عليه من اللطف والايناس .

وكانت موسيقى عصرية تشنف آذان الحاضرين بانغامها المطربة وألحانها الجميلة ، وقضى المدعوون ساعة وبعض ساعة وهم في حديث شهي وسمر لذيذ .

ونظمت المائدة تنظيما لطيفاً وجعل مكان الصحافيين في جناح خاص منها ، وجلس اعضاء لجنة التكريم في جناح خاص مقابل لجناح الصحافيين أيضاً وجلس بقية المدعوين على مائدة مستطيلة تصل الجناحين وفي وسط المائدة جلس المحتفى به رياض بك الصلح والى

جانبه معالي الاستاذ لطفي بك الحفار نائب دمشق والى أمامه الاستاذ زكي بك الخطيب نائب دمشق وجلس بقية المدعوين في مقاعدهم المخصصة ببطاقات صغيرة موضوعة على كل مقعد .

وبدأ تقديم الطعام في الساعة التاسعة وكان جناح الصحافيين يضم رجال الصحف اليومية الكبرى في بيروت وكان من رجال صحف دمشق رئيس تحرير هذه الجريدة اديب افندي الصفدي والاستاذ نجيب افندي الريس الصحفي المعروف نيابة عن بقية اصحاب الصحف اليومية الدمشقية وقد اعتذر فريق من النواب بضرورة وجودهم في دمشق لاستقبال نواب الشمال القادمين اليها في الساعة التي تقام فيها الحفلة .

وقبل الانتهاء من تناول الطعام بقليل نهض عبد الرحمن بك بيهم رئيس لجنة الاحتفال التكريمية والقى كلمة شكر فيها المدعوين الذين تفضلوا بمشاركة اللجنة في حفلتها التكريمية ، وقال ان وجودهم على هذه المائدة الى جانب رياض بك الصلح عضو الوفد السوري باوربا يدل على اشتراك وجوه البلاد وأعيانها وطبقة المفكرين فيها بتقدير الاعمال الجليلة التي قام بها الوفد في اوربا ولدى احزابها وأنديتها السياسية وغيرها . وكرر الشكر للحاضرين وقرأ قائمة باسماء الذين اعتذروا عن حضور الحفلة فصفق لخطابه طويلا .

ونهض بعده الاستاذ الدكتور عبد الله بك اليافي والقى خطاباً ممتعاً في الاسباب التي حدت اللجنة لاقامة هذه الحفلة التكريمية ودعوة وجوه البلاد وأعيانها وأهل الفكر والادب لحضورها وعدد من هذه الاسباب الاعمال الباهرة المجيدة التي قام بها رياض الصلح لخدمة القضية السورية في باريس هو وزميلاه الكريمان الامير شكيب ارسلان

واحسان بك الجابري وكان التصفيق يدوي في كل مكان يرد فيه ذكر اعضاء الوفد وأنهى خطابه بين عاصفة من التصفيق الشديد .

ونهض بعده صاحب المعالي الاستاذ لطفي بك الحفار باسم اخوانه نواب دمشق والقى نص الخطاب التالي :

خطاب لطفي بك الحفار

سادتي وإخواني :

الانقلابات التاريخية ، والتطورات الاجتماعية والنهضات السياسية تخلق الرجال الذين يقومون باوفر نصيب من العمل النافع والاثر الكبير في خدمة بلادهم والسير بها لتحقيق غاياتها والوصول الى أهدافها وآمالها.

وما كل رجل يستطيع القيام بهذه الاعباء والعمل العام اذا لم تتوفر فيه الصفات المعروفة برجال النهضات والقوى الكامنة التي تظهرها الازمات والملمات .

يحدثنا التاريخ عن اولئك الذين خدموا أممهم وأنقذوا بلادهم ايام الشدائد والمصائب ان النجاح لم يكتب لهم الا لأنهم تحلوا بالعزم والحزم والاخلاص والتجرد والصدق في العمل وقوة العقيدة التي ملأت صدورهم ايماناً وعزائمهم قوة واندفاعا. ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان هذه الصفات قد عرف بها الاخ رياض بك الصلح الذي تحتفل البلاد بعودته من ميدان العمل والجهاد في خدمة هذه البلاد .

وليس بعجيب ان تعرف الامة واجبها نحو أبنائها البررة المخلصين

والأمة التي لا تقدر جهود رجالها وتضحية أبنائها لا تعلم معنى الحياة وقيمة هذه المفاداة ، وأمتنا قد برهنت في مواقف عدة أنها تقوم بواجبها في هذا السبيل وتقدر جهود رجالها أينما كانوا وحيثما حلوا .

فباسم اخواني النواب الوطنيين الذين انتدبوني مع الاخ زكي بك لالقي كلمة أهنيء بها المجاهد رياض بك الصلح ، نشاركم في هذا التكريم الذي تقومون به الآن . ولقد رأينا الواجب يدفعنا لنحمل اليكم تحية اخوانكم والمعجبين بالعمل الكبير الذي قام به المحتفل به واخوانه الاحرار رجال الوفد السوري ، ولا أرى بداً من ارسال تحية الاعجاب والاكبار اليهم جميعاً .

لقد كنا ونحن نعاني آلام النفي والابعاد والتضييق والاضطهاد نشعر بالسرور والاطمئنان والبهجة والارتياح حينما نقرأ شيئاً عن اعمال اخواننا في اوربا وما يقومون به لخدمة قضيتنا الوطنية المقدسة . ولقد كانت تنتعش آمالنا وتقوى نفوسنا كلما وقفنا على ما يقوم به رجال الوفد من ايضاح الحقيقة والدعوة الصالحة .

نعم ، لقد كنا نصفق لنجاح هذه الخطة ونعجب كثيراً للأساليب الحكيمة والحجج القوية التي يدلي بها رياض واخوانه لاقناع رجال السياسة سواء كان ذلك لدى عصبة الامم او في المحافل السياسية الاخرى بما للبلاد من الحقوق الضائعة وافهام الاحزاب المختلفة ان ما نسعى في سبيله وما نضحي لأجله لا يضير فرنسا ولا يحرجها وانها اذا كانت عوناً لنا لنوال حريتنا واستقلالنا وتحقيق وحدتنا وسيادتنا يكون عملها هذا من أقوى أسباب انتشار آدابها ومدنيتها ومحبتها في هذا الشرق الادنى وعلى ساحل هذا البحر المتوسط . وان نجاح سياسة التعاون

— التعاون الحر النزيه — لا يقوم الا على سواعد الرجال الامناء الذين عرفوا بصراحتهم وصدقهم والاحتفاظ بحقوق بلادهم . ويضيق بي المجال اذا أردت تعداد الاعمال الكبيرة التي قام بها المحتفل به واخوانه ولا أتعدى الحق اذا قلت انهم قد قاموا باعظم الخدم وأفضل الدعايات لهذه البلاد التي كادت تضيع بين المطامع والغايات .

تعلمون أيها السادة ان الامم بافرادها وواجب الامة نحو هؤلاء التشجيع والتأييد ليصلوا بها الى ما تصبو اليه وتريد، وامتنا قد أصبحت تعرف واجبها وتقوم بقسطها، ولذا أرى ان المستقبل لنا والنجاح ينتظرنا .

حينما أرى هذه الوجوه المشرقة والقلوب الطيبة والوطنية الصادقة تقوم بواجبها في تكريم من يتقدم الى الخدمة النافعة وتشجيع من يضحي في سبيلها بالعزيمة القوية يحق لي ان اكون متفائلا لأني أرى الامة تتقدم في نهضتها الفكرية والاجتماعية، ومتى أضفنا الى هذا ما نراه من نهضة سياسية واقتصادية فاني أرى اننا سنبلغ عما قريب المكان اللائق بنا وبامتنا ولا بد من توحيد الجهود وبذل العناية الكاملة لنبرهن على أننا اهل للتمتع بحقوقنا والتصرف بشؤوننا . والامم التي تريد الحياة الحرة — حياة السعادة والكرامة لا بد لها من البذل والتضحية في هذا السبيل؛ لا بد لها من مغالبة الصعاب لتثبت انها اهـــل للحياة الحرة المستقلة .

امتنا البائسة لم تكن مقصرة في هذا المضمار ورجالها اصحاب العقائد الوطنية والمبادىء القوية لم يكونوا وانين او مستضعفين وقد خاضوا المعركة وهم أشداء في الدفاع عن الحق الذي يطالبون أمناء على ميثاق بلادهم الذي لأجله يعملون. وهذا رجلنا الذي نحتفل به الليلة

وصحبه الاكرمين المثل الاعلى في التضحية والثبات والقوة التي لا تغالب في الماضي وفيما هو آت .

وروح هذه الامة الطيبة تشجعهم وتنشطهم في جميع الحالات وتدفعهم لاجتياز أخطر المفاوز وأعظم العقبات والسلام .

ثم نهض الاستاذ الاديب نجيب افندي الريس الصحافي الكاتب والقى خطابا باسم شباب دمشق الذي ندبوه لتحية رياض بك الصلح واخوانه والاعراب عن تقديرهم وثنائهم للعمل الجليل البارز الذي قام به الوفد السوري باوربا، وقد تناول صديقنا الريس في خطابه موضوعه هذا بما عرف به من طول الباع والحجة الناهضة والالقاء اللذيذ وكان بودنا نشر الخطاب ، لانه صوت الشباب الناهض في دمشق ، واثر عواطفهم الكريمة ، ووحي وجدانهم الطاهر .

وجلس الصديق بعد الانتهاء من خطابه الشيق بين الهتاف والتصفيق .

وكانت الموسيقى تشنف الآذان بين الفترات التي تخللت الخطب وتقديم الحلويات والفواكه بالانغام اللذيذة والالحان البديعة .

وقام على الاثر سعادة الوطني الكبير الاستاذ رياض بك الصلح ، رجل الحفلة وواسطة عقدها وارتجل الخطاب التالي :

خطاب الاستاذ رياض الصلح

ايها السادة ! اسمحوا لي ان أجيب على تساؤل الاخ ابي رياض (الريس) حين قدومه الى بيروت بالآية الكريمة « فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل الخ ... » اردتم ايها الاخوان ، يا اخوان الفكر وياشباب بيروت ودمشق الذين اليهم أتوجه ، أنتم زملاء المدرسة اردتم

ان تحققوا وعد الله في هذه الدنيا قبل الآخرة فعمدتم الى هؤلاء الذين عناهم ربهم بالآية الكريمة فاخترتم أضعفهم شأنا وأقلهم عملا ، اخترتم هذا العاجز للاحتفال لتحتفلوا باولئك الذين عناهم ربهم اولئك الذين أخرجوا من ديارهم والذين جاهدوا وقاتلوا وقتلوا .

اذاً ايها الاخوان باسم هؤلاء الابطال الذين اقصتهم السياسة البريطانية عن الماء الذي هو حياتهم ، السياسة البريطانية التي ابعدتهم عن الازرق الى وادي السرحان ، تلك السياسة الغاشمة التي نالت من المجاهدين من الوراء اكثر مما نالته منهم حراب الفرنسيين من الامام .

باسم هؤلاء الذين لم يتأخر احرار الافرنسيين ان يقولوا عنهم انهم ابطال شجعان .

باسم سلطان وعادل وابطال جبل العرب والعسلي احييكم ؟ باسم المتشردين تحت كل كوكب ، باسم الموجودين في مصر وفلسطين ؛ واسم الشهبندر وباسم داغر والقوتلي « تصفيق » وصيبعة ، باسم تلك الفلعة المتحركة امير البيان الامير شكيب ارسلان الذي كان هو وأخوه عادل ، الدماغ الحي للقضية الوطنية باسم زميلي احسان الموجود بالقرب منا في فلسطين ولسان حاله ينشد :

واكثر ما يكون الشوق عندي اذا دنت الخيام من الخيام

باسم هؤلاء جميعاً أحييكم وأشكركم وأحيي رجال الصحافة الاكارم الذين شملونا ، شملوا الوفد بعطفهم والذين لم أجد منهم طعناً بل انتقاداً نزيهاً حراً تقبلناه بصدر واسع فلاخواني جميعاً أتقدم بهذه التحية .

اما وقد أنجزت مهمتي المحلية فاسمحوا لي ان أتوجه بكل ما في من قوة وشعور الى دمشق وأجيب على التحية التي حملها الي باسمها صديقي

المناضل لطفي بك والتي حملها ايضاً صديقي نجيب من شباب دمشق . اذكر في هذه المناسبة قصة وهي اننا عندما تركت مصر هذه المرة كنت على باخرة ايطالية وكان معي شيخ ايطالي أحسب انه يربو على السبعين من عمره ، وكان منذ تركنا الاسكندرية الى تريستا يحدثني عن تريستا مسقط رأسه ، كان يحدثني بنغمة كنت أغبطه عليها ، اسالت مني العبرات وجعلتني انظر اليه نظرة اعجاب وتقدير وبخاصة حينما وصل الى تريستا ماذا عمل هذا الرجل ؟ انه قبل الثرى في تريستا ، اسال عمله هذا مني العبرات وقلت متى اعود الى دمشق لان دمشق وطن الجميع ان لم يكن بالولادة فبالفكر قلت متى أقبل ثرى دمشق ومتى اقوم بهذه المهمة ! اما وقد أصبحت في بيروت على مقربة من دمشق فأنا أتساءل هل وصلت دمشق الى ما وصلت اليه تريستا وقد رجعت الى امها ايطاليا ، ان تريستا جاهدت لتعود الى احضان امها ودمشق بالدم الذي لا يزال يسيل من جوانبها قدمت اعظم تضحية ، فالى دمشق المجاهدة اقدم خالص تحياتي وأرجو ايها الاخوان الاشتراك معي في تحية قلب البلاد العربية النابض ونبراسها المضيء .

في خطاب الدكتور اليافي شيء من الاستفزاز يدعوني للتكلم عن المواضيع السياسية التي عالجناها في جنيف ولكن لا تطلبوا مني خطاباً منظما بل حديثاً منظما .

عندما غادرت باريس اراد بعض اخواني اللبنانيين ان يحملوني رسالة سأنقلها اليكم بكل أمانة قالوا ربما كنا مختلفين على بعض النقاط ولكننا متفقون على نقطة معينة وهي الاستقلال ، نعم فانا احمل لكم رسالة الاستقلال ، حملت هذه الرسالة وأنا أقول انني تعلمت من هذا

الشباب ، الشباب الناهض كثيراً وقد رفع في باريس اسم بلاده عالياً وكذا كان شأن الشباب السوري .

اما وقد أديت الامانة ، امانة الاستقلال فاسمحوا لي ان اسرد لكم بعض اعمال الوفد . كنت اول شيء اهتممت به درس نفسية البلاد التي دعوت نفسي للعمل بها وكان اول عمل قمت به الاجتماع الى الرجال الذين يهتمون بقضيتنا وان اتدارسها معهم فرأيت بل تحققت ان الاستعمار يحشرج ويعالج سكرات الموت ولا يغركم ما ترون من ظواهره فالحشرجة يكون أشدها ادلها على الموت ، الاستعمار هذا الوضع الذي لا يترك للامم المستضعفة حقاً بالحياة شاهدت في لندره وأنا ادرس اطوار الاستعمار قلقاً ، رأيت جنود الانكليز تسير في الشوارع ذاهبة الى الشرق الاقصى لتؤدب او لتسترد الهيبة التي أضاعوها بالصين ، رأيتها تسير متثاقلة ورأيت الشعب لا يصفق لها .

عدت الى باريس فرأيت انه لا يحق لنا ان نقول ان الشعب الافرنسي لم يكن على استعداد لاستماعنا بل كنا نحن على غير استعداد لاسماعه حقيقة قضيتنا فرأيت مستمداً من الافكار والتجارب التي عانتها زميلي الكريمان شكيب واحسان ان اشتغل بقدر طاقتي الضعيفة فسعينا لايجاد جو صالح في باريس يمكننا العمل معه . وانا لا أنكر عليكم ايها الاخوان ان الشعب الفرنسوي يؤخذ بالعاطفة ولا يسمع الا في جو صالح ممهد وقد سعينا فنجحنا والصحافة الافرنسية التي كانت لا تكتب عنا سطراً واحداً اصبحت تكتب كثيراً من المقالات ـ هذا تقدم لا بأس به بالنسبة لقوتنا التي لم تزل في مهدها ، عمدنا بعد الصحافة الى الاحزاب والاحزاب نواة الحياة السياسية في الامم وخاصة في فرنسا فذهبت الى

الحزب الاشتراكي وكان وقتذاك يعقد مؤتمره أحدثه عن القضية السورية. واسمحوا لي ان اقول انهم كانوا لا يعلمون عن القضية شيئاً وكانوا يعارضون بشأن القضية السورية بدون ان يكون في معلوماتهم عن القضية السورية ما يبعثهم على عمل شيء راهن في سبيلها، المادة الوحيدة التي رأيتها في برنامج هذا الحزب انه لا يريد ان يحمل الميزانية اعباء الانتداب. ولهذا يريد تركه الى جمعية الامم وهذه لم تكن في وضع تقدر فيه ان تأخذ الانتداب وتسلمه لاصحابه فرجوتهم ان يعدلوا المادة بان يعترفوا بحق سوريا بحياة حرة مستقلة وبعد جهود نجحنا، جرت لي مناقشة طويلة مع رجال الحزب الاشتراكي الممتلئين بقوة الايمان الحزبي ولكنهم بعد جدال ونقاش طويلين قبلوا ان يغيروا المادة وان يحولوها الى الشكل الذي أردت ولكنهم رفضوا ان يقيدوا فرانسا بالتعاهد مع سوريا وقال لي احدهم ان الحزب الاشتراكي هو ضد كل معاهدة مع سوريا فلا يمكن للحزب ان يطلب بنفسه مثل هذا الطلب وذكر لي جملة امثلها لكم وهي ان ايطاليا كانت متعاقدة مع المانيا والنمسا وجنت من وراء هذه المعاهدة ثمرات عديدة وعند الحاجة تركت المعاهدة ومالت الى الجهة التي فيها نفعها، فنحن لا نطلب منكم معاهدة بل نطلب منكم ان تكونوا اصدقاءنا وذلك اخير من كل قيد وعهد فقصدنا الحزب الراديكالي وهو اكثر الاحزاب عدداً وأغناها بالرجال وفرانسا كلها راديكالية وكانت مهمتي شاقة عند هذا الحزب الممثل بالحكومة والذي كان على استعداد لأخذ ادارة البلاد من ساعة لاخرى، عينوا لي وقتاً ليستمعوا كلامي دخلت هذا المجتمع كما يدخل التلميذ الصغير الامتحان وانا خائف وربما كان ذلك لان اكثرهم كان من الذين

يميلون الى ارهاق وجداننا ، ولكن الله قدر وانجح مسعاي ونلت منه قراراً بحق سوريا بالحياة الحرة وقد جاء قرار الحزب مؤيداً لقضيتنا التأييد كله وبانه لا يمكن لسياسة التعاون التي نوه بها صديقي لطفي بك ان تنجح اذا لم تستند في اتجاهها ووحيها على قوة الوطنيين وحدهم في بلادنا . وانا اؤمل ان يبعث قرار الحزب الراديكالي في موقف اخواني القوة والمضاء . ولم نهمل ايضاً بقية الاحزاب كالحزب الجمهوري الاشتراكي وحزب اليمين وانا اعرف ان في حزب اليمين من هم اميل الى تأييد قضيتنا من الشمال لان القضية لم تكن قضية احزاب بل قضية حق واستقلال وان علينا ان نواصل الدعاية الى النهاية وان نصل من هنا وهناك الى الغاية المنشودة .

سمعت بعد عودتي الى بيروت ان السلطة الافرنسية تقول للوطنيين يجب ان لا تحرجوا موقفي لانكم رأيتم اني سرت معكم ، فنحن نقول لها انت لا تحرجي ايضاً موقفنا لان الوطنيين لا حول ولا قوة لهم الا وطنيتهم فاذا ساروا معك بدون قيد ولا شرط اضاعوا هذه الميزة وهي رأس مالهم وايمانهم يحول دون اي تساهل او تفريط . نحن نعلم ان هناك من الامور ما لا يمكن تنفيذه هنا بل في باريس فلهذا نقول لها اتركي المجلس التأسيسي يعمل هنا وفي باريس لتحقيق الميثاق القومي ولا تقفلي بوجهه الابواب ولا تكوني مصدراً للفشل واننا نؤمل من السلطة ان تسير سيراً معتدلا دون شطط .

اشار الصديق اليافي في خطابه الى الدعايات الفاسدة التي نحاربها في اوربا ، انا ما كنت اريد ان ادخل هذا الباب ولكن لا بأس من ان

ألم به الماماً بسيطاً فالقضية السورية قضية حق وعدل اريقت فيها الدماء قبل الحرب وبعد الحرب ولا يمكن لرجل مهما انحطت قيمته الاخلاقية ان يقبل المساومة عليها فلهذا حاربنا ونحارب كل دعاية يقصد منها المساومة على دماء ابناء البلاد. اراد اولئك الذين تعرفونهم ان ينزلوا هذه القضية من حالق مجدها الى موائد المصارف فهذا لا يكون ابدا وفينا عرق ينبض بالحياة وخير للقضية ان تموت فقيرة من ان تقوم على سواعد معدة للايجار ونحن نعلم من دخائل هذه الدسائس كثيراً فاسمحوا لي ان لا اتوسع الآن في شرحها .

انني قبل ان انجز كلامي اسمحوا لي بان اتكلم عن الوجهة الاخلاقية وهي قضية ملهمة لي من مقال الاستاذ السودا ، سألني سائل في باريس ماذا جنيتم من الانتداب ؟ وكان بودي ان اجيب محدثي جوابا يرضيه من احدى الجهات فخطرت لي الوجهة الاخلاقية قلت علني اعطيه جوابا يرضيه من هذه الجهة ولكنني مع الاسف لم اتمكن من ذلك ايضاً .

ان محبة الحكومات لا تقوم على المساومات والارهاب بل على العدل والمحبة والاعتراف بحق الامة ، فيا اخواني « متوجهاً نحو الصحافيين » ارفعوا صوتكم معنا لأن كثيراً من حكام لبنان اليوم ذاقوا في الدور السابق مرارة الارهاق فلماذا تركونا اليوم وحدنا اما نحن فماضون الى النهاية من جهادنا الوطني .

كلمة ختامية — انا كما قلت لكم ضيف نازل سأعود بعد اسابيع او أشهر الى اوربا لنواصل العمل الذي بدأنا به ويهمني ان نجتمع مراراً وان أذكر لكم ما عملنا وما سنعمل فان رأيتم تأييدنا وقد أيدتمونا تابعنا العمل بقوة هذا التأييد ثانية . وثقة هذه الامة قوتنا وايماننا الوطني يقودنا في جميع مراحل جهادنا .

الدستور صخرة النجاة

خطاب القاء السيد لطفي الحفار نائب دمشق في الجمعية التأسيسية في الجلسة التي عقدت بتاريخ ٧ آب ٩٢٨ بمناسبة المناقشة في بعض مواد الدستور وهذا نصه :

من محضر الجلسة

الحفار : (يرتقي المنبر) اضطرني خوض بعض الزملاء الافاضل في الاقليات الدينية ان اقول كلمة الفت انظارهم بها الى وجوب النظر اولا الى مشروع الدستور بصورة اجمالية والى واجبها بوضع الدستور .

يقولون : ان عظمة كل امة على مقدار مطامعها ، وأمتنا تطمع كثيراً على مقدار ما تشعر في نفسها من العظمة وعلى هذه القاعدة تتلقى نقد بعض الناقدين المخلصين لمواد دستورنا الذي نستعد للمناقشة فيه ، فاذا انتقد بعض المخلصين الغيورين هذا الدستور لأنهم لا يرون فيه كل ما يطلب ويراد فليس معنى ذلك غمط حق الدستور وحق الذين يشتغلون في عمله قدر جهدهم وطاقتهم ليأتي كاملا تاما وليس معنى ذلك ان هذا الدستور الذي اجتمعت لأجله هذه الجمعية التأسيسية المباركة بعد طول الجهاد والشقاء والتضحية ومعاناة انواع البلاء انه ليس بالامر الجليل والحادث الخطير .

نعم انه لأمر جليل ان تكون الامة هي المرجع الاعلى للسلطة التشريعية والتنفيذية ، وانه لحادث خطير ان يقرر هذا الدستور استقلال البلاد وسيادتها وان لا يقر ما حل بها من التجزئة والانقسام في مختلف اقسامها ونواحيها تحقيقاً لوحدتها .

وانه لعمل كبير ستتمتع به هذه الامة التي نكبت في حريتها واستقلالها وفي جميع مظاهر الحياة الطيبة ان يقر مجلسكم الموقر ان الوزراء يتحملون بالتضامن تجاه المجلس النيابي تبعة سياسة الحكومة العامة ويتحملون على الانفراد تبعة اعمال وزارتهم ، ويعد مجلس الوزراء بيان خطة الحكومة ويعرضه الرئيس او وزير يقوم مقامه على مجلس النواب ويكون بذلك المرجع الاعلى للامة وبحسب نصوص هذا الدستور الذي يقدس سلطتها تقديساً لا يشوبه بعض ما لا يتفق مع مطامع الامة .

ويكفي هذا الدستور عظمة ان حكم الامة هو الحكم النافذ وان كلمتها هي المطاعة ويكفيه نفعاً ان تقيم الامة الرجال الصالحين لادارة شئونها ومصالحها من أبنائها النابغين ممن تختارهم وممن تتوسم فيهم الكفاءة والاخلاص . وانها تحترم حقوق المواطنين على السواء الاكثرية منهم والاقليات بصورة خاصة .

الامم التي تفهم معنى الحياة العامة تدعو دستورها صخرة النجاة . بل انه الصخرة التي ترتطم عليها أنواع الاعاصير والرياح الهابة لمقاومة اماني الامة وتحقيق رغائبها .

والامة اليوم تقابل هذا الوليد السعيد الطالع الغر الجبين بالعناية والاهتمام اللائق ، وهي موقنة بأنه سينمو غداً بين يدي الامناء المخلصين

من النواب الذين ستختارهم للقيام على المحافظة عليه بما يجب حتى يتمثل للامة كاملا قويا .

فالامم تخلق القوانين والدساتير بقوة ارادتها وصحة عزيمتها وما تحكمت قط نصوص القانون بارادة الامة ، ولكن ارادتها تتحكم بالقوانين فتكيفها بحسب مصلحتها ورغائبها وحاجاتها القومية والوطنية .

فالدستور اذا كان رسول الخير والامان لامتنا والمحقق لسيادتها واستقلالها ووحدتها فانه يذكرنا في هذه الساعة بجهود العاملين المخلصين الذي ضحوا كثيراً براحتهم واضعين نصب أعينهم حرية بلادهم . وأرى الواجب يدعوني لارسال تحية الاحترام والاعجاب الى جميع الذين اشتركوا في الجهود العظيمة التي بذلت في هذا السبيل الى الحاضرين منهم والغائبين والشهداء الخالدين ، والى الذين يحنون الى العودة لبلادهم ليروا ثمرة اتعابهم ونتيجة جهودهم الطيبة ! .

ويسرني أخيراً ان أرى روح التجرد والاخلاص سائدة في جو هذا المجلس المناقشة في مواد الدستور مناقشة بعيدة عن الشبهات والاغراض ليصل الى الغاية التي تصبو اليها جمعيتنا ، فان ما نعالجه الآن ليس بالامر الذي يجوز فيه تحكم الهوى والغرض فالساعة خطيرة والامر جلل ومسؤوليتنا عظيمة جداً ومستقبل الامة بين أيديكم ايها الزملاء الافاضل فيجب علينا العمل في سبيل اقرار هذا الدستور بجد واخلاص ، فالمصلحة العامة هدفنا ، وخدمة الامة من اسمى غاياتنا (تصفيق) .

رد طلب حذف المواد الست

الخطاب الذي القاه السيد لطفي الحفار نائب دمشق بجلسة الجمعية التأسيسية بتاريخ ٩ آب ١٩٢٨ جوابا على خطاب المسيو موغرا سكرتير المفوض السامي الذي طلب حذف المواد الست من صلب الدستور السوري الذي كانت تضعه الجمعية التأسيسية وكان هذا الخطاب الاول الذي القي لاجل رد هذا الطلب الجائر ، وهذا نصه مأخوذاً من محضر جلسات الجمعية التأسيسية :

الحفار مرتجلا : سادتي واخواني زملائي الأفاضل :

انها لساعة دقيقة نبحث فيها في مستقبل بلادنا وفي اقرار دستورنا ، اننا هنا قد اجتمعنا ، وقد دعينا وانتخبتنا هذه الامة لأجل ان نبحث في وضع دستورها وفي تعيين مصيرها ، واقرار سيادتها وحريتها واستقلالها ، ولا بدّ لي من كلمة أقولها عن بلادنا السورية ، نحن نعلم انها بلاد ضعيفة ، بلاد فقيرة قد عانت المصائب والشدائد في سبيل الحصول على حقوقها واستقلالها وحريتها ، وبلادنا : هذه البلاد التي أقر بضعفها والتي تحملت المصائب والشدائد بسبب ما عانته طويلا لأجل الوصول الى هذا اليوم وانتخاب جمعيتها التأسيسية انتخابا حراً ، ولقد بذلت التضحيات والجهود العظيمة وسعت الامة طويلا ، الى ان أتى الوقت الذي قام به عميد فرانسا وطلب الى الامة السورية المحترمة انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستورها بملء حريتها ، فجرت هذه الانتخابات في طول البلاد وعرضها ، وأرسلت هذه الجمعية للنظر في مستقبل هذه البلاد ، ولقد

قام فخامة العميد في هذه القاعة وأعلن ان الجمعية حرة في وضع دستورها ، وان ليس هناك دستور موضوع يملى عليها . ونحن نعلم ان الدستور هو مجموعة أماني الامة ، وانه الضامن لحقوق هذه الامة التي ثارت وضحت وبذلت في سبيله كل عزيز وغال ، وليس بالامر السهل ولا بالاعوبة التي يكفي فيها القول بان الدستور يجب ان تترك فيه بعض المواد الى فرصة اخرى ، وربما تكون هذه المواد هي روح هذا الدستور .

ثقوا ايها الاخوان انني سأبحث بكل هدوء وسأحكم عقلي قبل ان أحكم عاطفتي ، انا اعلم ان بلادنا نكبت وان بلادنا الفقيرة الضعيفة تحتاج الى الهدوء والى السكينة والاستقرار ، وهي تسعى كثيراً لان تتخلص من هذه الفوضى الضاربة اطنابها في ادارتها وفي ماليتها وفي حكومتها وكل شيء من امورها الحيوية يسري لا على قانون ولا نظام ، هذه امور لا تؤمن منفعة البلاد (تصفيق) . هذه قضية انا اقدرها كثيراً ، واعلم ان بلادنا في أشد الحاجة الى حياة الهدوء والاطمئنان والى حياة السلام ، الى الحياة القانونية ، ويعلم الله انني اقول عن نفسي ، واعتقد ان كثيراً من زملائي يشاركونني هذه العقيدة ، على اننا نريد ان ننجح في سياسة التفاهم والتعاون النزيه الذي دخلنا الانتخابات على أساسها على شرط ان لا يتصادم ذلك مع رغائب الامة وأمانيها ، وانا اعتقد ان سياسة التعاون والتفاهم النزيه لا تصادم رغائب الامة ابداً اذا حسنت النيات ، وجل ما نريده ، ان يترك امر دستورنا حراً دون تدخل او تأثير .

هذا الدستور الذي نحن وضعناه ، ولا يمكن ان تدعى جمعية تأسيسية في كل ساعة ودقيقة للنظر فيه ، أفلا تسمح لنا القوة ، الا تسمح لنا هذه الدولة ، دولة فرنسة القوية ، ان تقول انها قد

جاءت الى هذه البلاد تعلن فيها تلك المباديء الحرة ، كما ارسلت الى انحاء العالم مباديء ثورتها ، مباديء حريتها واستقلالها ، نحن قد تعلمنا من ثورة فرانسا ومن خطباء فرانسا ان الامة التي لا تحافظ على حريتها واستقلالها امة لا تستحق الحياة ، فعلى هذا المبدأ ، مبدأ التفاهم والمحافظة على حقوق البلاد اتينا الى قاعة هذا المجلس ، على ان لا يصادم ذلك هذه الحقوق المقدسة ، فهل نلام اذا وضعنا في دستورنا مادة تنص على تحقيق وحدتنا ، هذه الوحدة التي ارسلتنا امتنا الى هذا المجلس لتحقيقها واقرارها ، فهل يكون من وضع هذه المادة اخلال بالعهود الدولية ، هذه مسألة نحن نعلم انها موافقة للمنطق والحق ، نحن عقلاء ونفهم ما نقول وما نعمل ، ان هذه الامة التي انتخبتنا ، والتي قاست كثيراً والتي ارهقت طويلا ، ما زالت تسير الى الوراء في حياتها الاقتصادية من جراء هذه التجزئة والتقسيم .

قد وضعت اماني الامة حجة بيد الجمعية التأسيسية المشروعة للمطالبة بها وتحقيقها ، فلا ادري اي خطر من وضع هذه المادة ؟

كما يعترضون على مواد اخرى تنص على ان الجيش الذي سينشأ بموجب قانون خاص يحدد امنية من اماني هذه البلاد في حقوق السيادة والاستقلال كحقوق الامم الحرة المستقلة . وهذا لا يفيد اننا سننشيء جيشاً لجباً يقاوم ويحارب ، لا ليس عندنا مال يساعدنا على ذلك وهذا العمل يحتاج الى زمن طويل ، فلا يجب ان يفهم من هذه المادة اننا سننشيء جيشاً لجباً واننا سنقاوم وان رئيس الجمهورية سيعلن الادارة العرفية المعترض عليها ، وانه سيتنكر لفرنسا معتداً بهذه القوة . ويطلبون ان نؤجل البحث في هذه المواد الى الاتفاقات التي ستعقد مع الدولة الافرنسية

كما قال حضرة السكرتير العام : نحن لسنا بالمتهورين قط يتهموننا بأننا مفرطون واننا نسوق البلاد الى الويلات ، فعلم الله اننا لسنا كذلك بل اننا صريحون، اننا صادقون في العمل مخلصون لبلادنا (تصفيق) لقد جربت السياسة هنا زمناً طويلا سياسة الارهاب والارهاق ، سياسة الاستسلام المطلق للقوة ولكنها لم تأت بنتيجة غير الويل والدمار على هذه البلاد وعلى الحكومة الافرنسية نفسها (تصفيق) . نحن نضن بسمعة فرانسا الحرة الكريمة التي نريد لها مركزاً لائقاً في هـــذا الشرق الادنى ولا يكون لها هذا المركز اللائق والمركز الأدبي الا حينما تتفق مع الكثرة العامة في هذه البلاد التي تريد ان تفوز بحريتها واستقلالها ووحدتها وتساعدها لتحقيق هذه الاماني الغالية .

ثقوا ايها السادة اننا قد اتينا الى هنا بروح الاخلاص والعقل رائدنا ، واني اتكلم كما قلت سابقاً ليس بتأثير عاطفتي قط بل اتكلم بعقلي قبل كل شيء . ولكننا نحن نواب الامة الاباة الذين نمثل ارادتها والامناء على مصالحها لا يمكننا ان نتنازل قط عن شيء من حقوقها او من مظاهر سيادتها ووحدتها (تصفيق) . يقول رئيس الوزراء انه ماذا يضرنا اذا ارجأنا البحث في هذه المواد للمعاهدة ، فلعمري ماذا تكون قيمة هذا الدستور اذا كان بدون هذه المواد وأظن انه يكون كالهيكل العظمي لا لحم ولا دم (تصفيق حاد) .

الجابري (مقاطعاً) انه لا يعرف هذا (ويخاطب رئيس الحكومة) اتعرفها ؟ قل لي اتعرفها ؟ الحفار ! متابعاً : هذا الدستور الذي يحقق رغائب الامة وأمانيها ماذا يضير القوة وهل يغير الحالة الفعلية الراهنة الآن

القائمة اذا وضعنا فيه امانينا وكانت حجة بأيدينا لتحقيقها بواسطة الحكومة المشروعة الدستورية التي ستنشأ عن المجلس النيابي المقبل . هذا كل ما نريده ايها الاخوان فلا ارى فيه شيئاً من التهور ولا من الافراط . وهذا حق من حقوق هذه البلاد ومن واجبات فرانسا التي اتت لمساعدتنا في هذه البلاد والأخذ بيد هذه الامة الى ان تصل الى مستوى الامم الراقية المستقلة ، ليس من مصلحتها ان تسلب منا اعز امانينا ، ولا يوجد من وراء ذلك اقل خطر . كما انه ليس من قوة تستطيع ان تسلب هذا الحق منا .

ولا يوجد ادنى مانع من اثبات المواد المذكورة بل لابد من اثباتها ، كما انني اعلن باسمي وباسم كثير من زملائي ، وستسمعون الآن آراءهم ، اننا لا نقبل قط دستوراً خالياً من هذه المواد مهما كلفنا الأمر (تصفيق) .

بعد اغلاق الجمعية التأسيسية

القي في اجتماع وطني كبير قاومت الحكومة عقده بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٢٨ بعد منع اجتماعات الجمعية التأسيسية.

خطاب الاستاذ لطفي بك الحفار نائب دمشق

سادتي وإخواني :

حينما أقف الآن لالقي كلمتي هذه لتعترضني الذكرى والذكريات التاريخية مملوءة بالعبر حرية بالدرس والنظر ، وأي ذكرى اعظم من ان ارى موقفي هذا أشبه ما يكون بموقف وقفته في هذه الحديقة قبل عشرين عاما أحيي فيه الحرية والاستقلال والخلاص من الظلم والاستبداد .

عام ١٩٠٨ حينما أعلن الدستور العثماني وبعد ان قامت جمعية الاتحاد والترقي بحفلتها أعلنت (جمعية النهضة العربية) نفسها في اليوم التالي وكانت تشتغل في الخفاء ايام عبد الحميد بالدعوة الى الحرية ومباديء القومية والسيادة قامت جمعيتنا بحفلتها وكنت من خطبائها مع فريق من اعضائها الذين استشهدوا على اعواد مشانق الطاغية جمال في سبيل مبادئهم امثال المرحومين سليم بك الجزائري ، وأسعد بك الطرابلسي ، والامير عارف الشهابي ، والاديب الكبير جورج حداد وغيرهم وبعضهم لا يزال حياً عاملا الى الآن بقوة المباديء التي تغذى بلبانها منذ كان تلميذاً على مقاعد الدرس .

بعد عشرين عاما أقف ايها السادة مثل موقفي السابق أنشد الحرية

والاستقلال واذكر دستور البلاد وقد كادت تقضي عليه الدسائس وهو لا يزال وليداً .

اننا نجتمع هنا لأجل هذا الدستور والبحث في وسائل حياته وانتعاشه وقد بذلت البلاد في سبيله كثيراً من الجهود والضحايا طيلة هذه الاعوام التي مرت عليها ولما تزل في موقفها الا قليلا . والامم التي لا تعاني مثل ما عانينا لا تعرف قيمة الحرية ومعنى الحياة وعشرات السنين لا تستدعي اليأس والقنوط في حياة الامم والشعوب .

والعبرة ليست هنا ولكنها في أنفسنا وفي تربيتنا السياسية والاخلاقية وهذا ما يثير في نفسي الاسى والأسف وهذا ما أريد ان استعرضه الآن بقدر الامكان وأتساءل عن مدى تقدمنا ومبلغ ارتقائنا في هذه المدة من الزمن التي تكاد تبلغ ربع قرن وهو ليس بالزمن القليل .

وفي الحق ان هذه الحقبة من حياة أمتنا كانت مملوءة بالفتن والثورات ومختلف المؤامرات وكان هذا من أسباب التأخر والانحطاط في مقوماتنا وفي مظاهر حياتنا . ولا أنكر ان الامة ارتقت بقدر ما ساعدتها الظروف وادركت كثيراً من حقوقها وواجباتها وكنت أظن ان ما مر بها من الاحن والمحن والحوادث والفتن ، كان كافياً لأن تتطهر من اولئك الذين لا يلذهم الا وضع العقبات والعراقيل في طريقها وان تظهر على المستضعفين الذين يريدونها ذليلة مستعبدة تتقلب في حمأة الذل والهوان لكي يتمتعوا بشهواتهم واغراضهم ولو كان من وراء ذلك القضاء على الامة وعلى حقوقها وحياتها . ولكنها اذا كانت لم تتخلص من امثال هؤلاء فانها قد عرفت امرهم ووقفت ضد سعاياتهم ودسائسهم وقد آن لها بعد الزمن الطويل ان تكون صفاً واحداً على أعدائها الذين يكيدون لها وقد رأتهم في

الساعة التي تريد الامة ان تقرر حقها في الحرية والاستقلال وان تطالب بوحدتها المضاعة وتقرر دستورها كيف يتآمرون على حياتها النيابية وكيف يدسون ليفرقوا صفوف الامة ونوابها المتضامنين وكيف يقاومون نهضتها ونشاطها .

كانت الجمعية التأسيسية تعمل لوضع دستور البلاد الكافل لحريتها ووحدتها وكنا نحن نوابكم نشتغل الليل والنهار للقيام بواجبنا وايفاء حق الامانة التي وضعتموها في عنقنا وكان الذين لا يلذ لهم الا ان يروا هذه الامة تتخبط في الفوضى والظلام يتجمعون ليعرقلوا عمل نوابكم ويقضوا على دستوركم ولئن ظنوا انهم نجحوا فقطعوا الطريق على الجمعية التأسيسية وهزأوا بضحايا الامة الغالية التي بذلتها لترى نوابها الشرعيين يعملون لوضع دستورها وكان لدسائسهم وأعمالهم اثر غير قليل في هذا الموقف فانهم قد خسروا الدنيا والآخرة والامة عرفت أمرهم وأبى الله الا ان يفضحهم فضيحة ملؤها الشرور والاثم فانتبه من كان مأخوذاً بدعاياتهم الباطلة وعرف القاصي والداني مبلغ خيانتهم فانهزموا هزيمة شنعاء سيسجلها التاريخ عليهم بوزرها وعارها .

وها اننا نحن نوابكم نقدم بين ايديكم حسابنا ، ونستعرض امامكم اعمالنا ، وتعلمون اي موقف وقفنا يوم قامت المساعي الخطيرة لسلب روح الدستور وحياته في مواده الست وكيف صمدت الاكثرية الساحقة للحق والدفاع عنه بعد ان ارهقوها وأمعنوا في إغوائها . وترون اننا كنا أمناء شرفاء ولا فخر واننا لم نكن عباداً للمناصب والاموال ولم نكن نسير الا بما توحيه ضمائرنا وعقائدنا بما فيه مصلحة بلادنا فقد قالوا وكذبوا وادعوا بأننا استسلمنا ورضخنا دون حقوق بلادنا واننا

ساومنا وهاودنا وضحينا بحقوق البلاد وحريتها واستقلالها ووحدتها وقد خرج الدستور ورأيتموه ضامناً لحقوق الامة وصادقت عليه الجمعية التأسيسية بصورته الاجمالية وكنا حكماء عقلاء في وضعه وحرصنا ان لا يكون فيه افراط ولا تفريط لكي يكون نافذاً ولكي لا يتخذ حجة علينا في تقرير وضعية البلاد السياسية وحالتها الروحية والاجتماعية والاقتصادية. لم يفتنا ان ننظر الى جميع هذه القضايا بعين الحكمة والبصيرة لننجو ببلادنا من هذه الفوضى المتغلغلة المضطربة في جميع شئونها السياسية والمالية والادارية .

ولكن ماذنبنا نحن اذا صدمتنا الظروف القاهرة والقوة الغاشمة . وكان من اعظم اسباب هذه الصدمة دعايات عباد المناصب والعروش ضد البلاد وضد جمعيتها التأسيسية ونوابها ودستورها .

وفي مثل هذه الحالات الدقيقة علينا كلنا واجبات يجب ان نقوم بها فواجبكم ايها السادة الانتباه التام للحيلولة دون دعايات المغرضين وافتراء الكاذبين فلقد كفاهم تضليلا وايهاما وليشفقوا على امتهم وبلادهم من شرور أعمالهم اذا كان عندهم بقية من الضمير والوجدان . وليعلموا اننا في مفترق الطرق وان الامة في ادق مراحل حياتها ومتى يتكون هذا الرأي العام الذي يرى من واجبه ازدراء الخائنين ومقاطعتهم حتى لا يستطيع احدهم ان يمر في الاسواق او يجد من يقرأ عليه السلام، عندما يكون عندنا مثل هذه القوة التي تكون في الامم التي نضجت تربيتها السياسية حينئذ يكون كل منكم قام بواجبه وحينئذ لا يستطيع أحد ان يخرج على أمته وبلاده .

وواجبنا نحن ان نكون عند حسن ظنكم وموضع ثقتكم ولسوف

نكون في الآتي كما كنا في الماضي البعيد والقريب نحمل اعباء هذه المسؤولية العظيمة ونوفيها حقها ونقدر هذه الامانة الكبيرة ونؤديها حق ادائها وجبيننا ناصع ، ورأسنا مرتفع ، وضميرنا راض ، ذلك لأننا حينما نعمل لا يكون المصلحة الذاتية مخلص الى نفوسنا وحينما نفكر في قضيتنا لا نفكر بها الا عن طريق المصلحة العامة نزيهة بريئة من كل مطمع . هذا طريقنا نسترشد فيه عقائدنا الوطنية وأمانينا السامية والله مع المخلصين والسلام .

حديث عن مشروع عين الفيجة

نشرته جريدة (الشعب) بتاريخ ١٩
تشرين الاول ١٩٢٨

اذا صح لدمشق ان تفخر بوطنيتها الصادقة ؛ وانصرافها لمعالجة مسائلها السياسية بالحرص الشديد والاخلاص العميق فقد يحق لنا الفخار بانصراف ابنائها الى تحقيق الاستقلال الاقتصادي والعناية بشؤون البلد العمرانية والصحية ، انصرافا يضم الى مفاخرها الوطنيـــة ، مفخرة ومجداً من ألمع الصفحات وأنقاها .

والناس يعلمون ما هو مشروع عين الفيجة هذا الذي يعد بحق من مفاخر دمشق ، ويعد روح المشروع ومحور الحركة العاملة فيه معالي الاستاذ لطفي بك الحفار نائب دمشق في الجمعية التأسيسية ومن اقطاب الوطنيين البارزين ، والذي كان صاحب الفكرة الاولى لهذا المشروع العظيم . وقد ارتأينا ان نتحدث الى معاليه عن سير المشروع وأحواله فقصدنا اليه فتلقانا بما اشتهر عنه من جد وتقدير للوقت شأن الرجل الوطني العامل وجرى بيننا الحديث التالي :

س : كيف تجري الاعمال في مشروع عين الفيجة الآن ؟

ج : بعد ان وقفت اعمال المشروع بسبب الثورة وبسبب الاختلافات التي نشأت عن هذا التوقف وبسبب غلاء اسعار المواد المتفجرة بعد حصرها من قبل المفوضية العليا فقد عادت منـــذ بضعة اشهر بهمة

ونشاط وهي تسير الآن سيراً حسناً وتتقدم تقدماً مطرداً .

س : كم هو عدد الانفاق (التونيلات) التي يقوم المتعهد بحفرها وما تم منها الى الان ؟

ج : كان العمل يجري منذ شهر آذار الماضي في أربعين نفقاً من الفيجة حتى المهاجرين وكان العمال يشتغلون بحفرها بالوسائط اليدوية والوسائط الميكانيكية ليلا ونهاراً وقد تم منها الى الان مقدار اربعة عشر نفقاً واتصل قسم منها ببعضها ، وبعضها تم بناء داخله بالاسمنت (البتون آرمه) المشبك بالحديد بالقطع المقرر لهذه الانفاق عامة بعلو ١٨٥ سنتيما وعرض ١٢٩ وكلما انتهى حفر نفق من هذه الانفاق يباشر حالا ببنائه وانهائه ويبلغ طول الانفاق التي تم حفرها الى الان مقدار سبعة آلاف متر طولا ومعظمها حفرت بالوسائط اليدوية لأن طبقاتها الصخرية سهلة بخلاف الباقي الان فان طبقاته الصخرية صلبة قاسية ولا يمكن حفرها الا بالوسائط الميكانيكية ويوجد قنايات تصل بعض الانفاق ببعضها تم بناء ثلاث منها ويبلغ طولها مقدار سبعمائة متر وهي تبنى بسماكة ٤٠ سانتيما من (البتون ارمه) بمقطع الانفاق وبذلك تكون متينة جداً وتردم من جوانبها وأعلاها بالحجارة والتراب .

كما انه يوجد (سيفون) مزلق مائي كبير بين جبلين في أحد أودية دمر طوله خمسمائة متر بقطر سبعين سنتمتراً وهو يعد من الاعمال الفنية الهامة لوصل نفقين متقابلين في رؤوس الجبال .

س : كم هو عدد العمال الذين يقومون بمختلف الاعمال ؟

ج : يوجد الان نحو الف وخمسمائة عامل ونيف يقومون بالعمل على

طول الخط مع المهندسين والمعاونين والمراقبين والنظار والميكانيكيين يتناوبون العمل بالليل والنهار .

س : ما هي الوسائط الميكانيكية التي تساعد العمال على حفر الانفاق وما هي قوتها وعددها ؟

ج : يوجد خمس ماكينات تقوم بحفر الانفاق التي يتعذر حفرها بالوسائط العادية لأن طبقاتها الصخرية صلبة جداً وقوة هذه الماكينات تتراوح ما بين الثمانية عشر حصاناً والستة والعشرين حصاناً وهي تقوم بضغط الهواء في الحفر ولأجل تهوية الانفاق بعد انفجار الديناميت تستعمل قساطل حديدية ممدودة داخل الانفاق حتى يتمكن العمال من الدخول اليها واخراج الصخور المتفجرة بواسطة السكك الحديدية الضيقة (دقويل) التي تمدد ايضاً الى داخل الانفاق . وعمل هذه الماكينات يثقب الصخور الصلبة مما يوجب الدهشة والاعجاب بالنسبة للسرعة والقوة . كما ان وصل الانفاق بعضها مع بعض دون التواء او خطأ في الاتجاه والسمت والارتفاع والانخفاض مما يوجب الاعجاب .

س : ما هو مقدار الاعمال التي تتم في كل شهر وما هي قيمتها ؟

ج : يتم الان في كل شهر اعظم ما يمكن عمله بالنسبة لعمل هذا المشروع ولمقطع الانفاق سواء كان من جهة الحفر او من جهة البناء وتتراوح قيمة الاعمال التي تدفعها اللجنة الى المتعهد في كل شهر ما بين الخمسة والستة آلاف ليرة عثمانية ذهباً وربما تبلغ قيمة الاعمال في بعض الاشهر ثمانية آلاف ليرة ذهبية .

س : علمت بان لجنة المشروع طلبت من المفوضية العليا تنزيل اسعار المواد المفرقعة واعفاء المواد اللازمة لهذا المشروع من الرسوم الجمركية فبماذا أجيبت ؟

ج : نعم ان اللجنة ارسلت وفداً من اعضائها لمقابلة كاتم السر للاعمال الاقتصادية والادارية بالمفوضية العليا وبحث معه مطولا في الضرورة القصوى التي تضطر اللجنة الى طلب تنزيل اسعار المواد المتفجرة بعد حصرها لان اسعارها تصاعدت ثلاثة اضعاف بالنسبة لاسعار زمن الالتزام . وبعد ان برهنت له بالارقام المقدار العظيم الذي تضطر اللجنة الى دفعه فيما اذا بقيت الاسعار على حالتها الحاضرة وان هذا يحدث خللا في ميزانيتها وزيادة طائلة في اكلاف المشروع وبحث معه ايضاً في ضرورة اعفاء المواد اللازمة لهذا المشروع من الرسوم الجمركية حتى تتمكن اللجنة من اتمام عملها ولمساعدة هذا العمل الذي سيكون من اعظم الاعمال النافعة التي قامت بهذه البلاد ويكون اثره كبيراً على المدينة وعلى سكانها من الوجهة العمرانية والصحية والاقتصادية .

وبعد اتمام البحث وعدهم بمساعدته لاجابة طلبهم هذا وطلب اليهم ارسال كتابين الى المفوض السامي ببيان مقدار المواد المنفجرة وبيان المواد المختلفة وكمياتها التي تلزم لاتمام هذا المشروع . وقد ارسل الكتابان مع بيان المقادير والمواد حسب كشف الاشغال ولما تزل اللجنة تنتظر الجواب ونرجو ان يكون ايجابياً . وقد بينت اللجنة مقدار الحاجة الماسة الى مثل هذه المساعدة بعد ان طرأ على المشروع زيادة في النفقات بسبب تغيير الخطط ونفقات حفر الصخور الصلبة .

وبهذه المناسبة أرسلت المفوضية الافرنسية مفتشين ماليين وفنيين وفتشوا الاعمال والحسابات تفتيشاً دقيقاً وكان اعجابهم كبيراً بدقة الاعمال والحسابات وخاصة قلة النفقات العامة .

س : هل تم دفع القسط الثاني من المكتتبين بعد الانذار الاخير ؟

ج : دفع معظم المكتتبين هذا القسط ولم يتأخر الا قليل من الموزين الذين احترقت دورهم في الميدان وزقاق سيدي عامود والمارستان ايام الثورة . وبما ان الغاية الاولى من هذا العمل هو ان يكون جر المياه باموال الاهلين ويبقى لهم ملكا أبديا وبما ان اللجنة ترغب كثيراً في عدم اضرار احد من هؤلاء المكتتبين الذين دفعوا القسط الاول وتأخروا عن دفع القسط الثاني بسبب هدم دورهم وهذه الضائقة الاقتصادية العامة فاني ارجح كثيراً انها ستتخذ قراراً بامهالهم وقتاً آخر يستطيعون فيه القيام بدفع هذا القسط حتى لا يسقط حقهم من الاكتتاب ومن القسط الاول كما ينص على ذلك نظام المشروع . ومعذرتهم واضحة ولا بد من التنويه بان ما صرف على هذا المشروع الى الآن وهو يقارب الاربعين الف ليرة عثمانية ذهباً هو من اموال الأهلين وحدهم ولم تطلب اللجنة قسطي المالية الا منذ زمن لأنها لم تجد حاجة اليها الا من الان وصاعداً . واموال المكتتبين من الاهلين دفعت منذ سنة ١٩٢٥ ولكن الثورة التي حدثت في اوائل المباشرة بالمشروع كانت من اكبر العوامل لتأخر اتمامه وانفاذه .

س : ما هو الوقت الذي ينتهي فيه جر المياه الى خزان المهاجرين واتمام شبكة القساطل الداخلية ؟

ج : القياس الصحيح لهذا السؤال هو نفق المهاجرين ـ دمر . فانه اطول الانفاق وأصعبها وجميع الانفاق يكون العمل تاماً فيها قبل اتمامه فان طوله ١٨٨٠ متراً وصخوره صلبة والحفر فيه قائم من جهتي دمر والمهاجرين بواسطة آلتين كبيرتين والباقي منه الآن ١٥٠٠ متر يحفر في كل يوم في الليل والنهار من الجهتين مقدار أربعة امتار فاتمامه

يحتاج الى اربعة عشر شهراً على الاقل وبناؤه الى اربعة اشهر اخرى فتكون المدة اللازمة لانهاء العمل مقدار سنة ونصف او اكثر قليلا بحسب الطواريء التي لا تكون في الحسبان والشبكة الداخلية لتوزيع القساطل داخل المدينة مع تفرعاتها تطرح للالتزام قبل ان ينتهي العمل في الجبال بسنة فتتم الاعمال بوقت واحد . وهذا منتهى جهد المهندسين والعاملين بالوسائط الحديثة ولا يمكن الاسراع في العمل اكثر من ذلك مهما تنوعت الاساليب التي لجأ اليها المهندسون وقاموا بتجربتها كما ان الاعمال لا يمكن ان تتأخر اكثر من سنتين الا اذا طرأت موانع وعوائق غير منتظرة. ولقد أجبتك بالتفصيل السابق ليقف الناس على الحقيقة الواضحة المؤيدة بالارقام ولأقطع اقوال المتشائمين الذين يشيعون بان هذا المشروع سوف لا ينتهي قبل سنين متطاولة تثبيطاً للعزائم ولعرقلة امثال هذه المشاريع النافعة .

ويظهر أنه لا يكفينا ما تقوم به الشركات الأجنبية ودعاتهم من الاشاعات السيئة ضد هذا المشروع حتى نسمع مثل هذه الاقوال من بعض مدعي الوطنية ! .

وعلى الاهلين والمكتتبين ان يزوروا الاشغال القائمة في الجبال ليروا باعينهم عملا يعد من اعظم الاعمال الفنية الكبيرة التي تقوم في بلاد العالم الآن وعلى ايدي وطنيين سوريين . وقد شهد بذلك المهندسون الاجانب الذين قدموا من مختلف الجهات بصورة خاصة لمشاهدة هذه الاعمال وأعجبوا بها وسروا لتقدمها وشهدوا بتفوقها . وسيكون هذا المشروع قدوة صالحة للمشاريع النافعة ومفخرة لدمشق لانه قام بهمة الاهلين وباموالهم وجهود رجالهم فهو وطني بحت .

التقرير الاقتصادي للمؤتمر الصناعي التجاري

وضعه نائب رئيس الغرفة التجارية بدمشق معالي لطفي بك الحفار وقدمه لاعضاء المؤتمر

التنظيم المسلكي للانتاج

لقد مرَّ على بلادنا السورية عهد طويل في القرن الماضي كانت فيه عالة على الغرب في جميع احتياجاتها ومرافق حياتها ولقد ساد الجهل والكسل جميع الاوساط الصناعية والتجارية والزراعية حتى تأخرت تأخراً مريعاً يكاد يجعلها في حكم العدم .

ولكن الحركة التجارية التي كانت منتعشة قليلا ايام الحكومة التركية بالنظر لاتصال البلاد مع بعضها بعضاً اتصالا اقتصاديا سهلا لا أثر فيه للحواجز الجمركية او لصعوبات الانتقال كما هو الشأن الآن كان من شأنها توفير اسباب الرخاء والربح بقدر الامكان لقسم كبير من العمال وأرباب الصناعات والتجار والمستوردين والمصدرين بين سوريا والعراق والحجاز واليمن ونجد والاناضول والروملي وكانت هذه البلاد متصلة مع بعضها اتصالا وثيقاً يرضي القانعين والعاملين وكانت الحركة التجارية في البلاد السورية حسنة جداً بالنسبة للحالة الحاضرة وقد تبدلت الان بالتقسيمات السياسية التي أعقبت الحرب العامة وكان من نتائجها هذه الحواجز الجمركية في شرق البلاد وجنوبها وشمالها فقضت على هذا النشاط التجاري وفقدت البلاد مركزها الذي كانت تتمتع به . لذلك شعرت بالحاجة الشديدة في هذه السنين المتأخرة الاستعاضة عما فقدته من

الاعمال التجارية الى تحسين صناعاتها المتأخرة وتأسيسها على الاصول الحديثة .

الصناعة الوطنية ارتقت ارتقاء حسناً في بضع سنين يستوقف النظر ويستوجب الاعجاب والاكبار ولكن هذه الجهود التي تبذل من أربابها متفرقة يجب أن تتحد وتتفق وتتوجه للتنظيم العام . اذ لا يمكن لصناعتنا على اختلاف أنواعها أن ترتقي ارتقاءها المرغوب وتسد حاجة المستهلكين وتشعرهم بالحاجة اليها حاجة اقتصادية سواء كان من حيث المتانة والجمال والاتقان وملاءمة أسعارها بالنسبة للوسط وللثروة العامة وللاصناف التي تزاحمها من المصنوعات الأجنبية الا اذا توفرت الاسباب الفنية والعملية والمالية بحسب حاجاتنا المحلية وبحسب استعدادنا وكفاءتنا .

لقد اجتمعنا في هذا المؤتمر الصناعي لاول مرة في تاريخ هذه البلاد للبحث في هذه الاسباب ودرسها درساً عملياً واقتصاديا وإني سأبدأ في درسها مسترعياً انتباهكم واهتمامكم لنكون واقفين على الاسباب والنتائج التي نسعى كلنا لمعرفتها والمطالبة بها والعمل لتحقيقها .

تأسيس الاعمال الصناعية على الاصول الحديثة

بلاد الشام مشهورة بصناعاتها منذ زمن طويل ولقد برهنت في ماضيها على اتقان أعمالها الصناعية وتفوقها بها والتاريخ يحدثنا عن هذه الصناعات وأنواعها والنابغين في اتقانها فالنسيج على اختلاف أنواعه والحياكة الدقيقة الحريرية والقطنية والمقصبة والمذهبة والدباغة والنقش على الاخشاب الصلبة والنجارة للبناء وادوات الاستعمال وتنزيل الاصداف بها وتربية دود الحرير وصناعة النحاس القديم وآثارها الماثلة في المساجد وأبواب الخانات القديمة والقلاع والمدارس والمعابد والسرج والمصابيح

والصحاف والكؤوس وأواني القهوة والطعام وأجراس الكنائس والأواني والمصابيح الزجاجية التي كانوا يعدونها من خصائص الشام والوراقة والدهان والاصباغ والقيشاني والفخار والصياغة اليدوية الدقيقة لجميع أنواع المجوهرات والأواني الذهبية والفضية الى غير ذلك مما يطول بنا اذا أردنا سرده وعما كان له من الشأن والقيمة الصناعية الثمينة .

أبناء البلاد الذين هم سلائل اولئك الآباء الذين كانوا في ماضيهم مفخرة الشرق في الصناعات واتقانها هم الذين برهنوا في حاضرهم على استعدادهم الطبيعي الوراثي لاتقان الصناعات الحديثة بالرغم عن فقدان الوسائط الفنية وقلتها . والوراثة تأثير كبير في هذا الاستعداد وظهور الكفاءات والاتفاق في الاعمال يتجلى في المواهب التي تربطهم بالاجيال القديمة وللخصائص التي تورث عن الاباء والاجداد تأثير على هذه المواهب في نجاح الاعمال كما لا يخفى على احد .

وللحصول على النتيجة اللازمة من استخدام مواهب السوريين واستعدادهم الفائق في خدمة صناعتهم خدمة نافعة يجب علينا ان نفكر في العوامل التي توصلنا الى هذه الغاية السامية .

فما هي هذه الوسائط ؟ وما هي الطرق التي تؤدي بنا الى الحصول عليها وما هي عوامل النجاح والتنظيم ؟؟ .

هذه هي الاسئلة التي يجب علينا درسها درساً دقيقاً بالنسبة لحالتنا وحاجاتنا الاقليمية المحلية غير متأثرين بنظريات الاقتصاديين واقوالهم التي لا تتفق مع حاجاتنا وأوضاعنا . نعم يجب علينا ان ندرسها درساً عملياً يتلاءم مع حالتنا الاقتصادية الصناعية لنخرج منها بالنتيجة اللازمة.

ولنبدأ في درس السؤال الاول .

ما هي الوسائط التي يجب القيام بها لاستخدام مواهب السوريين ؟

بالرغم عن هذا الاستعداد الطبيعي لتلقف الصناعات على اختلاف أنواعها واستعداد السوريين للقيام بها . فان الحالة الحاضرة لا تقنع الذين يتطلبون الكمال والاتقان ويشعرون بالحاجة الشديدة لتأسيس صناعاتنا على الاصول الحديثة . واننا بعد قليل من التفكير نجد ان اصحاب الصناعات والعاملين يحتاجون قبل كل شيء الى المقدرة العلمية والمهارة الفنية ولا يمكن الحصول على هذا الا بواسطة مدرستين يجب ان يتأسسا في هذه البلاد التي نشعر بأشد الحاجة اليها وهما :

مدرسة الهندسة الميكانيكية ومدرسة الكيمياء الصناعية .

لقد غصت البلاد بالاطباء والمحامين والموظفين الاتكاليين والادباء النظريين وهي تبحث عن مهندس ميكانيكي وكيماوي صناعي فلا تجده فهلا يجب على الحكومة التي هي مسؤولة عن انعاش الروح الاقتصادية وازدهار الاعمال الصناعية ان تعمد الى تأسيس هاتين المدرستين .

لا شك ان تكوين الكفاءات الصناعية اللازمة لا يكون الا بوجود هاتين المدرستين وتأسيسها والعمل السريع لأجلها . عندنا الآن مدرستان صناعيتان في دمشق وحلب ولكنها مع الاسف الشديد في حكم العدم من الوجهة العلمية والفنية والعملية لا يعتمد عليها ولا يهتم بشأنها ولا يعنى بترقيتها ولا بد من بذل الجهود الكبيرة اذا أردنا تحويلها كما أشرنا آنفاً وأردنا ان نجعلها بحسب حاجتنا لتخريج رجال العمل الواقفين على الاصول الحديثة والعلوم الفنية الميكانيكية والكيماوية ولا بأس من بقائها في

عداد المدارس والورش الصناعية العادية التي سيأتي الكلام عنها . على ان تبدأ الحكومة في القريب العاجل بتأسيس هاتين المدرستين العليتين ومن بين تلامذتها ينتخب الذين يمتازون بكفاءتهم وحسن سلوكهم وجدهم ونشاطهم ليرسلوا الى اوربا للتخصص بمختلف الفروع الهندسية والكيمائية وكل قرش يصرف على هذه البعثات الصناعية والفنية يعود اضعافا مضاعفة على الثروة العامة التي سيكون أمثال هؤلاء مظهراً لنموها وعاملا قوياً من عوامل نهوضها وازدهارها . هذه بعض الوسائط التي يجب القيام بها لاستخدام مواهب السوريين .

بقي علينا البحث في السؤال الثاني وهو : ما هي الطرق التي تؤدي بنا الى الحصول عليها ؟

التعليم الصناعي الفني من واجب الحكومات وهي التي تقوم به في معظم البلاد الغربية وتنفق عليه من خزانتها بحسب حاجتها وهي التي تنشط العاملين والقائمين وترصد في ميزانيتها المبالغ الطائلة المساعدة والتخصص ولذلك لا بد من مطالبة الحكومة لوضع برنامج دقيق يتلاءم مع حاجة البلاد واستعدادها لتأسيس المدارس الصناعية والميكانيكية والهندسية وهذه المدارس هي الاسس المتينة لتأسيس صناعاتنا على قواعد متينة تعود عليها بالنجاح والرواج . ولعل تقرير هذه الحقيقة في هذا المؤتمر الصناعي الذي ضم خيرة الرجال الذين يشتغلون في الصناعة والاقتصاد يهيب بالحكومة الى تنكب هذه الطرق النظرية العقيمة ويلفت انظارها للاهتمام اللائق بالتعليم الصناعي الفني العملي المنتج لنحول دون تدفق المتعلمين النظريين الذين لا يجدون لهم عملا الا طلب الوظائف الحكومية الى وجود طبقة من المتعلمين العمليين للقيام بالاعمال الحرة في الصناعة والتجارة .

ولا شك ان الشركات المساهمة هي التي تستطيع القيام بتأسيس المعامل الحديثة وتنهض بالصناعة الى المستوى اللائق وجهود الافراد تنصرف الى عمل محدود لا يمكن ان تقوم بما تقوم به الجماعات .

نحن لا ننكر جهود كثير من الافراد في اعمالهم وصناعاتهم وتقدمهم بها تقدماً يستوجب الاعجاب والشكر . والفرد اذا قام باي عمل من الاعمال يضاعف جهوده ويشعر بالغنم والغرم وحده ولذلك لا يفتأ عن العمل والتفكير لنجاحه وتقدمه . وعندنا كثير من هؤلاء الافراد الذين قاموا باعمال جيدة لا بأس بها . ولكن هذا لا يكفي لتأسيس الاعمال والصناعات الكبيرة . ولا بد من إنماء روح الشركات وتوليد الثقة بالنفوس والاعتماد على المخلصين الامناء للقيام بالاعمال المشتركة وأفضل انواع هذه الاعمال هي الشركات المساهمة التي يمكن بواسطتها التعاون لترقية كثير من الاعمال وتقوية احداث الثروة ولولاها لما أمكن اختراق الجبال وتذليل البحار واستخدام المواد الطبيعية وتشييد المعامل الضخمة . ومن فوائدها جمع المال الكثير من القوى المالية القليلة وصراحة أعمالها ونشر خسائرها وأرباحها وتضامن المساهمين بشكل لا يؤثر على أحدهم وقوتها في العمل وإقدامها على المشاريع الكبرى وإدارتها بواسطة الرجال القديرين وتحسين العلاقات بين العمال والمديرين .

ولم يقم عمل كبير من الاعمال التي نشاهد آثارها من سكك حديد وترام وكهرباء وطيارات وسيارات ومدن سابحة في البحار الا بقوة الشركات المساهمة حتى انه يمكننا ان نقول انه لا يوجد عمل من الاعمال في البلاد الغربية الا وهو قائم على هذا الاساس حتى

صناعة الفنادق والقهاوي . ولكننا نحن لم نخط بعد الخطوات الاولى في هذا السبيل .

هذه الشركات المساهمة تجد من نفسها حاجة وقوة الى ايفاد من تعتمد عليه وتثق بجده ونشاطه الى التعلم والتخصص بمختلف الفروع الصناعية والهندسية والميكانيكية التي تحتاجها .

وهذا معمل الجوخ الوطني الذي تأسس حديثاً في دمشق على أحدث الاصول الفنية وأفضل الادوات الميكانيكية لم يستطع أن يقوم به فرد ولن يستطيع مهما اوتي من القوة المالية ، ولولا تضافر الأيدي الغيورة وتضامنها للقيام به لما أمكن ابرازه وإخراجه كما انه لولا تخصص مديره زمناً طويلا في العمل الصناعي الفني في المانيا لما استطاع ان ينهض به وان يقوم بادارته أحسن قيام وهو الدليل البارز على فائدة الشركات المساهمة ومقدرتها لارسال الذين يشعرون بالميل والاستعداد للتعلم الصناعي ونجاحهم فيه نجاحاً باهراً .

ومما تقدم يظهر لنا جلياً أن الحكومة اولا والشركات المساهمة ثانياً هما طريقان من الطرق الموصلة الى هذه النتيجة التي نبحث من أجلها . وهذا هو الجواب على السؤال الثاني الذي تقدم بحثنا .

بقي علينا البحث في السؤال الثالث وهو : ما هي عوامل النجاح والتنظيم؟

الجواب على هذا السؤال يتعلق بالبحث الثالث من أبحاث المؤتمر الصناعي وهو تنظيم الانتاج الفني الصناعي . وهذا التنظيم يتناول مواضيع شتى يجب علينا البحث بها واقرار ما نجده ضروريا لنا منها :

اولا : انشاء المدارس الميكانيكية والهندسية وهذه تعد من اكبر عوامل النجاح والتنظيم وقد تقدم القول عنها وسيأتي الكلام على وجوب

تأسيس وتنشيط المدارس والورش الصناعية بحسب حاجاتنا المحلية .

ثانياً : انشاء الشركات المساهمة وهذه من واجبات الامة وقد تقدم القول ايضاً في حاجتنا الشديدة اليها والفوائد التي تعود على الامة منها .

ثالثاً : انشاء المصارف الصناعية واني سأجتهد في البحث عنها وفي كيفية انشائها بصورة موجزة كي لا يطول بنا القول كثيراً .

المصارف الصناعية

لا بد للامة التي تريد ان تقوم باعمال صناعية منتجة من مصارف خاصة لصناعتها تؤسس بحسب حاجتها ولمساعدتها للقيام باعمالها وأهم ما يسترعي النظر في تأسيس هذه المصارف الصناعية ملاحظة الاعتبارات الآتية :

أ — تشجيع المصانع الميكانيكية التي تنشأ على الاصول الحديثة .

ب — مساعدة الشركات الصناعية المساهمة بتسهيل الاقراض لها والاستدانة أكثر من غيرها ونظام الشركات المساهمة يساعد على اعتمادها والثقة بها بواسطة نشر حساباتها وتقاريرها السنوية .

ج — الاقراض لمدة قصيرة ومتوسطة وطويلة الاجل بحسب طبيعة العمل الصناعي فالاقراض الذي يكون لمدة قصيرة هو الذي يستعمل لادارة العمل كشراء المواد الخام وتأمين سير الاشغال والاقراض لمدة متوسطة هو الذي يستعمل لاجراء الاصلاحات ومشترى الادوات الصناعية ، والاقراض لمدة طويلة هو الذي يستعمل لتوسيع دائرة العمل لأجل زيادة الانتاج ومضاعفته بانشاءات يحتاجها بعد ثبوت ضرورتها .

هذه هي الاعتبارات التي يجب ملاحظتها في قانون المصرف الصناعي .

ونحن نعلم انه يوجد لجنة مؤلفة للبحث في وضع نظام هذا المصرف ونرجو ان تأخذ بعين الجد والاهتمام هذه الملاحظات وغيرها مما لا يتسع بنا المجال الآن لدرسها والبحث بها كما انه لا بد من الاشارة الى وجوب تأييد هذا المصرف الصناعي والاقبال على مشترى أسهمه حين عرضها لأنه أداة عظيمة من أدوات النجاح والتنظيم كما انه من واجب الحكومة مساعدته وتأييده بالاشتراك بقسم كبير من أسهمه لأجل ضمان نجاح تأسيسه وحسن سيره .

وربما يستغرب البعض دعوة الحكومة للقيام بمثل هذه الاعمال ومساعدتها بتأثير نظرية بعض الاقتصاديين القديمة القائلة بضرورة ابتعاد الحكومات عن مثل هذه الاعمال ولكن هذه النظرية قد تبدلت بعد الحرب العامة وحل محلها نظرية تناقضها تماما اذ قضت الضرورة ان تشترك الحكومات بتشجيع الصناعات واصدارها وتنشيط المعامل وأصحابها وأحزاب العمال تدعو الى تأميم بعض الصناعات واستيلاء الحكومة عليها ولكن الاقتصاديين يقولون ان نجاح الاعمال الكبيرة اضمن بواسطة الشركات من عمل الحكومات ؛ وقامت الحكومات ايضاً بانشاء المصارف لتساعد على عودة الحياة الاقتصادية الى ما كانت عليه قبل الحرب العامة وكان من نتائج ذلك النجاح العام لجميع الاعمال التي كانت الحكومة مؤيدة لها فقد خصصت المبالغ الطائلة لتشجيع الاصدار ومساعدة أرباب الاعمال وهذه انكلترا التي يعرف شعبها بالاعتماد على النفس والاستقلال في العمل فقد خصصت حكومته مقدار ستة وعشرون مليوناً من الجنيهات لمساعدة تجارة الصادرات ورواج مصنوعاتها في الخارج وانكلترا ملآى

بالمئات من كبار الاغنياء الذين يقومون بالاعمال العظيمة ويديرون الثروات الطائلة .

وهذه الحكومة الفرنسوية التي لم تقبل مبدئياً فكرة ارصاد الاموال اللازمة لتشجيع الاعمال الصناعية واصدارها ولكنها بعد بحث طويل قررت انشاء بنك التسليف الصناعي ليكون الغرض منه (عقد القروض التي يكون من شأنها تهيئة وتحسين الاعمال والمعدات الصناعية . وانشاء الاعمال الصناعية واستغلال براءات الاكتشافات الصناعية) على ان تكون هذه القروض لمدة سنة على الاقل وخمس وعشرون سنة على الاكثر بضمانات عقارية وعينية او برهن المعمل او بعض أدواته الكبيرة ومنشآته .

وكذلك قامت اليابان قبل جميع الحكومات الغربية بتأسيس المصارف الصناعية المتنوعة وفتحت لها فروعا عديدة في الاقاليم الصناعية وقامت هذه المصارف بأعظم الخدم لانشاء الصناعات ومساعدتها وتوسيعها ويمتاز نظام المصارف الصناعية اليابانية بسهولتها ومرونتها وبالاعتماد على الثقة والضمانات الشخصية وكأنهم احتفظوا بعاداتهم الشرقية باحترام الوعود والوفاء بالتعهدات في آجالها .

وكذلك قامت الحكومات الالمانية والبلجيكية واليونانية والايطالية وغيرهم بانشاء المصارف الصناعية ووضع القوانين التي تساعد التسليف والاقراض لارباب الصناعات لترقية أعمالهم وتنشيطها وايطاليا وضعت قوانين خاصة لضمان قيمة الاصدارات مقابل رسوم بسيطة على البضائع المصدرة لتشجيع المصدرين على العمل وقد كان من نتائج هذا توسع حركة الاصدار توسعاً عاد عليها باعظم الفوائد ، ولا يمكننا ان نتوسع

في هذا الموضوع اكثر مما تقدم كي لا يطول بنا القول كثيراً .

واذا كان هذا شأن الحكومات الغربية الغنية التي تأسست فيها الصناعات العظيمة منذ زمن طويل ونجحت نجاحاً باهراً فماذا نقول نحن ولا نزال في ابتداء العمل وحالنا على ما هي عليه من الفقر والضعف .

لا مشاحة في ان الواجب يتقاضى الحكومة في بلادنا ان تقوم بالقسط الاوفر سواء كان بتأسيس المصارف الصناعية او بالاشتراك بانشاء المعامل الحديثة والقيام بالمشاريع العمرانية والاقتصادية وهذه حاجة محلية تدعو اليها حالتنا الحاضرة وعدم اعتيادنا على القيام بالاعمال المشتركة ولقد تقدم القول ان قيام الحكومات بمثل هذه الاعمال ومساعدتها لها مساعدة فعلية لم يعد امراً مستغرباً بعد الحرب العامة لأنها وجدت نفسها مضطرة لمساعدة أبناء بلادها لانهاض صناعتهم وتنشيط اصدارها للخارج . والنظريات الاقتصادية تختلف باختلاف كل امة كما انها تختلف باختلاف الزمان والمكان والحكومات أقدر الجميع على مساعدة الشركات الصناعية والمشاريع الاقتصادية . ذلك لأنها تستطيع ان تستخدم قسما من أموالها الاحتياطية والمخزونة للاشتراك بهذه الاعمال المنتجة وبذلك تؤمن ربحاً محققاً في استخدام هذه الاموال اكثر من الفائدة البسيطة التي تأخذها من المصارف المودعة فيها .

ولأنها باشتراكها تساعد كثيراً على ابراز هذه الاعمال الى حيز الوجود بالسرعة المطلوبة وتكون منشطاً للآخرين في الاشتراك فيها وفي تحقيق هذه الاعمال الصناعية تساعد الطبقة المتعلمة التي تتهافت على أبواب الحكومة للاستخدام وطلب الوظائف لايجاد أعمال نافعة حرة لهم ينصرفون لخدمتها والاستفادة منها وبذلك تدفع هذا الخطر الذي يتراءى

لنا في حياة الامة السورية الاجتماعية .

وفوق كل ذلك فان الحكومة تجني فوائد مادية تعود على خزائنها ومواردها بالربح والزيادة بالنظر لقدرة الشركات الصناعية والاعمال الاقتصادية الكبرى على دفع الضرائب والرسوم وازدياد حركة الاصدار والعمل . وموارد الخزينة مرتبطة بنجاح الاعمال الاقتصادية ، وازدهار الثروة العامة ونشاط رجال المال والاعمال .

وأخلاق أهالي البلاد الآن ونفسيتهم الضعيفة التي لا تثق بالاعمال المشتركة تقضي على الحكومة ان تقوم بقسطها من الاشتراك والمساعدات لانشاء الشركات وتقوية الصناعات .

رابعاً : الدرس الفني والاقتصادي :

لا يجوز الاقدام على اي عمل من الاعمال الصناعية الا بعد درسه درساً دقيقاً من الوجهتين الفنية والاقتصادية . اما الوجهة الفنية فيقتضي درسها بواسطة الاخصائيين الذين درسوا موضوع العمل درساً فنياً وعملياً وقاموا بتأسيس أمثاله في البلاد الاخرى . ومثل هذا الدرس يحتاج في الاوقات الحاضرة الى استخدام الخبراء الأجانب الذين قاموا بمثل هذه الاعمال التي يكلفون للبحث عنها وتقديم التقارير الفنية بشأنها من جميع جهاتها سواء كان من جهة العمل نفسه والآلات والادوات التي يتطلبها والمواد الخام التي يتألف منها ووجودها في البلاد او وجود اكثرها ونسبة ذلك للعمل نفسه ولمصاريفه وكلفه وبعد استيفاء الدرس الفني والوثوق من صحته يجب درس العمل من وجهته الاقتصادية لوضع أسسه المالية على قواعد راسخة لا يتعرض العمل او المشروع من جراء

خطئها او ضعفها للفشل والحبوط . وكل عمل صناعي او مشروع اقتصادي ضمن درسه من هاتين الوجهتين درساً مستوفياً كان نصيبه النجاح ، ومثل هذا العمل يجب ان تشترك فيه الحكومة والأمة لتأليف هيئات خبيرة تضم رجال العمل والمال والتفكير الصحيح لتقوم بدرس ما تحتاجه البلاد قبل كل شيء في اعمالها الصناعية ، ومن واجبها ان تلاحظ قبل كل شيء قوة الاستهلاك في البلاد نفسها وحاجتها للمنتوجات التي يراد انشائها اذ لا يجوز لنا الآن ان نفكر في الاصدار قبل ان نقوم بتسديد ما تتطلبه البلاد نفسها مما هي في أشد الحاجة الى استهلاكه واستيراده من الخارج . وأما الصناعات التي اتقنت وفاضت عن حاجة البلاد كصناعة الحلويات والسكاكر الوطنية فهذه لا بد لها من التفكير بكل ما يعود عليها بسرعة الانتشار وضمان اصدارها في اتقانها والابتعاد عن غشها او التساهل في ادخال المواد التي تفسدها .

خامساً : الابتعاد عن الغش في العمل :

صناعاتنا الحديثة من النسيج على اختلاف أنواعه ومن السكاكر الوطنية وتجفيف الفواكه وعمل الأواني النحاسية والنجارة وغيرها تحتاج وهي في بدء نهضتها الى الصدق في العمل والابتعاد عن غشها او التساهل في ادخال المواد التي تضرها في النسج والتلوين .

فالحرير النباتي مثلا يجب ان لا يدخل منه أقل كمية في منسوجات الحرير الطبيعي . ويجوز ان ينسج هذا مستقلا مع معرفته والاعلان عنه وسيكون لصناعة الحرير النباتي مستقبل صناعي كبير يجب علينا الاهتمام بدرسه ومعرفة تطوراته ؛ وهذه صناعة السكاكر الوطنية التي لاقت رواجا عاما بالنظر لاتقانها وقد حلّت محل السكاكر الاجنبية

وأصبح الجميع من وطنيين وأجانب يفضلونها عليها لذلك يجب على أربابها مضاعفة الجهود لاتقانها وتحسينها وعلى الأخص فيما يصدّر منها للخارج وأقل تساهل في العمل او غش فيه يعرضها للتأخر والانحطاط .

هذه مسألة هامة من واجبات اصحاب الاعمال الانتباه لها ورقابتها مراقبة دقيقة ، وضمان هذه القضية من واجبات النقابات الصناعية التي سنتكلم عنها .

ولا بد من البحث هنا قليلا في مسألة أخلاقية لها علاقة كبرى في تنظيم منتوجاتنا الصناعية واتقانها وهي مع ملاحظة ما تقدم من الصدق في العمل وعدم غشه ضرورة الثبات والجد فيه والمثابرة على التحسين والاتقان والسير مع الزمن في التطورات الصناعية المختلفة ، وعدم استعجال الزمن في الحصول على الارباح السريعة التي لا تلبث ان تنهار .

نجاح الصناعات الاوربية له علاقة كبيرة بهذه الناحية الاخلاقية بالرغم عن توفر الاسباب المادية والفنية فان تأسيس الصناعات على أسس ثابتة وحلولها محل غيرها لا يكون الا اذا تخلق أربابها بخلق الجد والثبات والتخصص في العمل والمثابرة على اتقانه والأدوات المادية والعلمية يعوزها اداة أخلاقية متينة يجب ان نقتبسها عن رجال الاعمال في الديار الغربية .

سادساً : تمرن العمال ورؤساء العمل وتأمينهم ضد الحوادث المضرة .

تعاقب الايدي المختلفة على العمل الصناعي وعدم خبرة القائمين به واختلاف العمال وعدم الصبر والثبات على الجد والدأب في مزاولة الاعمال الصناعية مزاولة طويلة .

كل ذلك من الاسباب التي تعود على الصناعة بالضرر الكبير ولاجل

تلافي هذه الحالة التي كثيراً ماتكون سبب تأخر وانحطاط الصناعة يجب الالتجاء الى الطرق الآتية :

أ — عقد اتفاقات مع العمال المداومة على العمل مدة لا تقل عن خمس سنين تبتدأ فيها زيادة الاجور من السنة الثانية بنسبة عادلة ويكون واسطة هذه الاتفاقات النقابات الصناعية .

ب — انصاف العمال في معاملتهم وتنظيم رواتبهم وتحسينها بحسب تقدمهم في العمل وتحبيب العمل اليهم بحسن المعاملة ومشاركتهم في بعض الارباح تشجيعاً لهم .

ج — الاجتهاد في تأسيس المعامل الصناعية في أماكن صحية جميلة تحيط بها الحدائق وتتعرض نوافذها للشمس والهواء لتجديد النشاط في نفوس العمال .

د — حماية اليد العاملة في تقدير المكافآت التي يجب دفعها الى العمال حين مرضهم او مرض أحد افراد عائلتهم او ضمان هذا التطبيب والمداواة ، وضمان إعاشتهم فيما اذا طرأ على أحدهم حادث صحي او مرض مزمن او تعطيل عضو من أعضائه بسبب العمل نفسه .

هـ — التأمين على حياة العمال باقتطاع قسم من رواتبهم يتناسب مع قيمتها وقيمة التأمين او ايجاد صناديق التوفير بحسب الاصول المعروفة عنها وهي ضامنة لهذه الغاية وتنظيم هذه الصناديق يكون بمساهمة أصحاب الاعمال لامداد هذه الصناديق بقسم من الارباح ويكون ذلك أساساً للوفر الذي يعتمد في توزيعه عند حدوث النوائب على ان يصرف منه سنوياً بنسبة دخله على معالجة مرضى العمال مجاناً ودفن موتاهم ومساعدة أهليهم ايام مرضهم وتعيين رواتب صغيرة الى عجزتهم وشيوخهم

وتخصيص حصة صغيرة الى عائلاتهم العاجزة عن تحصيل رزقها الضروري بعد وفاتهم على ان يكون مقدار هذه الحصص تابعاً لتزايد او نقص مدخول هذا الوفر .

وأحسن طريقة سهلت جمع هذا الوفر هو ما اتخذته الحكومة البلجيكية المعروف عندهم باسم :

التأمين العام الحر المعزّز بامداد الحكومة

قوامه ان تقوم الحكومة بتشويق العمال وصغار الفلاحين والمستخدمين على تسليف حصة من دخلهم لايام عجزهم فما جمع من أموالهم لهذا الغرض أضافت اليه الحكومة من عندها ستين في المئة ، وكثيراً ما تضيف اليه علاوات أخرى بحيث تبلغ الزيادة الثمانين في المئة حتى المئة في المئة ولهذه الطريقة مزية تعويد العامل على الاعتماد على أنفسهم وإعطائهم حرية الانتماء الى مثل هذه المشاريع النافعة .

تمرين رؤساء العمال

رؤساء العمال يجب ان يكون تمرينهم بواسطة المدارس الصناعية وخريجو هذه المدارس هم رؤساء العمل الممرنون الذين يصلحون لان يقوموا بمراقبة العمال لاجادة العمل ولذلك يجب الاهتمام بانشاء هذه المدارس والورش الصناعية التي يجب ان تكون بحسب حاجة البلاد الضرورية للصناعات الرائجة والتي تستدعي الحاجة لانشائها وترقيتها على ان تكون ادارة هذه المدارس ومراقبتها منوطة بادارة واحدة بالاتفاق مع الغرف التجارية واشرافها .

والمفهوم ان هذه المدارس والورش الصناعية هي غير مدرستي الهندسة الميكانيكية والكيمياء الصناعية اللتين تقدم الكلام عنها وافتراح تأسيسها .

وهذه المدارس والورش الصناعية التي يجب أن تغذيها الحكومة من ميزانيتها يجب انتشارها في جميع المدن السورية والاماكن الصناعية وعلى الحكومة ان تقوم بدراسة برامجها بواسطة الخبراء وأصحاب الاعمال ، لتلائم حاجة الصناعات وتطورها ، ولا شك ان هذه المدارس والورش الصناعية اذا عني بها وبادارتها وبوضع برامجها العناية اللازمة عادت على البلاد وعلى أبنائها باعظم الفوائد وأنفع النتائج .

الخلاصة :

يظهر لنا جلياً من هذا الدرس الموجز الذي تقدم معنا ان تأسيس صناعاتنا على الاصول الحديثة والوسائط التي يجب اتخاذها لاستخدام مواهب السوريين واستعدادهم والطرق التي تؤدي بصناعتنا للحصول على أعظم الفوائد هي منحصرة بواجبات موزعة على الحكومة بصفتها قائمة باسم الشعب ولخدمته ومسؤولة عن تقدمه ورقيه ، وواجبات اصحاب الاعمال أنفسهم ، وواجبات على الامة بصفتها أمة تريد الحياة وتسعى لان تتمتع باعظم قسط من وسائط الرقي والنجاح .

الواجبات التي على الحكومة

اولا — انشاء مدرستي الهندسة الميكانيكية والكيمياء الصناعية او جعلها مدرسة واحدة .

ثانيا — المساعدة والاهتمام بانشاء المصرف الصناعي .

ثالثا — مساعدة الدروس الفنية والاقتصادية للمشاريع الصناعية .

رابعا — انشاء المدارس والورش الصناعية في جميع المدن السورية لتخريج رؤساء العمال .

خامساً — وضع التعريفة الجمركية حسب قرار هذا المؤتمر المفصل .

سادسا — وضع قانون تشويق الصنائع وانفاذه بحسب مقترحات هذا المؤتمر ايضاً .

واجبات أصحاب الاعمال

اولا — الاعتماد في ترقية الصناعات الوطنية على شركات «المساهمة» ووجوب الاقبال على تأييد هذه الشركات .

ثانيا — ايفاد من تثق به هذه الشركات المساهمة الى اوربا للتخصص في الاعمال الصناعية القائمة بها .

ثالثا — الدرس الفني والاقتصادي قبل الاقدام على أي عمل من الاعمال الصناعية .

رابعا — الصدق في العمل وعدم الغش والتهاون في ادخال المواد الضارة والتخلق بخلق الثبات والجد لاتقان العمل .

خامسا — التعاقد مع العمال لمدد طويلة وضمان راحتهم وصحتهم وحماية اليد العاملة والتأمين على ما يصيبها أثناء قيامها في العمل .

واجبات الامة

الاقبال على المصنوعات الوطنية وترويجها وعدم استعمال ما يقابلها من المصنوعات الاجنبية .

في ٥ ايلول ١٩٢٩

الخطاب الختامي للمؤتمر الصناعي التجاري

نشر بجريدة (القبس) بتاريخ ١٥
ايلول ١٩٢٩

خطاب النائب المحترم لطفي بك الحفار

يرى القارىء في مكان آخر من هذا العدد تفاصيل الجلسة الختامية للمؤتمر الصناعي الاقتصادي الذي أسفرت جلساته الست المتوالية خلال ثلاثة ايام عن وضع تقرير مسهب جمع في صفحاته جميع ما ينهض بالصناعة والتجارة في سورية ولبنان. وقد انفض المؤتمر بعد ان انتخب له لجنة تنفيذية تأخذ على نفسها العمل على انفاذ مقررات المؤتمر بالطرق الرسمية والاقتصادية ونشكر أعضاء المؤتمر الذين وفدوا من بلادهم البعيدة والقريبة يدفعهم شعور الاخلاص لبلادهم وان الشكر مضاعفاً نسديه الى حضرة النائب المحترم لطفي بك الحفار الذي قال عنه اخوانه في المؤتمر إنه كان روح هذه الحركة الاقتصادية وتقريره الممتع كان الاساس الذي بنيت عليه قرارات المؤتمر، وكانت جهوده التي بذلها عن سخاء ووطنية خالصة العامل البارز في اجتماع المؤتمر ونتائجه الطيبة وقد أحسن رجال المؤتمر كل الاحسان الى هذه النهضة الصناعية في انتخاب لجنة تنفيذية تكون مسؤولة عن انفاذ القرارات. وانا لنغتبط برئاسة اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر الى نائب طرابلس ورئيس غرفتها التجارية

رشاد بك اديب وهذا مما يسهل للجنة كل عمل . اما نائب الرئيسين اي رئيس المؤتمر ورئيس اللجنة لطفي بك الحفار فان في خطابه هذا الذي نزين به جريدة « القبس » اليوم ما يكفي الكاتب والقارىء ليدركا أي دماغ اقتصادي هذا الذي يحمله لطفي بك . واليك نص خطابه الذي ألقاه في جلسة المؤتمر الختامية قال :

سادتي وإخواني :

لا بد لي من تكرار الشكر والاعجاب بكم وأنا القي كلمتي هذه ، اختم بها اعمال هذا المؤتمر الصناعي الاقتصادي .

وكيف لا أكون شاكراً ومعجباً وقد أبان كل واحد من اعضاء هذا المؤتمر عن مبلغ اهتمامه وغيرته ببحث القضايا الصناعية والاقتصادية التي اجتمعنا لأجلها وظهر كل منكم ايها الاخوان الاعزاء بمقدرته وكفاءته التي تستوجب الاعجاب والاكبار سواء كان من ناحية التفكير الناضج او العمل المنظم فقد وصفتم الادواء في بضعة ايام اجتمعتم في صباحها ومسائها ووضعتم لها الادوية الناجعة وأدليتم بالحجج المقنعة والآراء النافعة .

لقد قمتم بواجبكم في تعيين المسؤوليات والواجبات التي تلقى على أصحاب الصناعات والواجبات التي تلقى على الامة .

انهاض الصناعات الوطنية ووضعها على الاسس الحديثة لا يكون الا اذا قام كل من هذه الطبقات الثلاث بالواجبات التي قررها مؤتمرنا هذا .

قام هذا المؤتمر الذي يعدّ حدثاً عظيما في حياة السوريين واللبنانيين باعظم الخدم وأنفعها فقد ضم تقريره جميع ما تتطلبه البلاد من أبنائها ورجالها الذين يفكرون بشؤونها الاقتصادية والصناعية من بحث وتفكير

فيما يعود على صناعاتها واقتصادياتها بالنجاح والرواج وإنارة الطريق المستقيم للعمل المنتج ولقد أدّى فوق خدمته الصناعية والاقتصادية خدمة كبيرة للبلاد من الوجهة الاخلاقية والادبية فكان مثال التضامن والاخلاص والاهتمام والاتفاق فيما يعود على البلاد بالفائدة المطلوبة وأظهر لنا ان البلاد السورية واللبنانية مرتبطة مع بعضها بروابط اجتماعية وقومية واقتصادية ووطنية لا انفصام لها فما يشكو منه ابن الساحل يتألم لأجله ابن الداخل وما يشعر به ابن الشمال يشعر به ايضاً ابن الجنوب حلقات مرتبطة مع بعضها بعضاً لا تدري أولها من آخرها ومتى كان أبناء البيت الواحد والارض الواحدة لا يتقاسمون السراء والضراء ولا يتأثرون لما يقع في أنفسهم من خير أو شر ؟

تبادل الآراء واجتماع الرجال الذين يهتمون بشؤون بلادهم يأتي بأطيب الثمرات وأنفع النتائج وإنا لنرجو ان نواصل عقد مثل هذه الاجتماعات والمؤتمرات بحسب الحاجة التي تدعو اليها حالتنا الاقتصادية والصناعية لنضع حداً لهذا التدهور المالي الذي سيؤدي الى اسوإ الحالات اذا لم نتداركه باقوى المقومات وأقوم السبل واذا لم نقم بوضع الاسس العلمية والاقتصادية للوصول الى النتيجة المطلوبة واحلال صناعاتنا الوطنية محل هذا السيل الجارف من المصنوعات والمنتوجات الاجنبية .

لا سبيل الى نجاة البلاد من هذا التيار الا بازدهار صناعتها واستخراج كنوزها الزراعية وها ان بوادر النهضة الصناعية الحديثة تبشر بالتقدم والارتقاء .

وكل منا يسعى لوضعها على أسس ثابتة نصل بواسطتها الى الغاية المطلوبة وما على إخواننا المزارعين الا ان يسعوا ويعملوا للاهتداء الى افضل

الطرق التي توصلهم الى استخراج الكنوز المدفونة في هذه السهول الشاسعة والانهار المتدفقة التي تنساب بين هذه الفيافي والقفار بلا أدنى فائدة فما عليهم الا ان يبحثوا ويطالبوا في ايجاد الطرق المثمرة ووضع حد لهذه الفوضى فما ضاع حق ووراءه مطالب .

وعلينا نحن قبل كل شيء ان نسعى بواسطة لجنتنا التنفيذية لهذا المؤتمر لوضع مقرراتنا ومقترحاتنا موضع الاجراء والتنفيذ وأملنا كبير جداً في الحصول عليها بالسرعة المطلوبة . وهم يقولون ويعلنون ويدّعون انهم يريدون ان ينهجوا نهجاً اقتصاديا نافعاً وهذه أساليب هذا النهج الاقتصادي وهذه أمراضنا الاقتصادية نطالبهم بمعالجتها في اجتماعنا هذا وهذه طرق المعالجة واضحة جلية فما عليهم الا ان يجيبوا دعوتنا وان ينفذوا مقرراتنا ان كانوا صادقين .

حديث عن ادارة الجمارك

هذا الحديث نشرته جريدة (القبس) في العدد ١٩٩ و ٢٠٠ بتاريخ ١١ و ١٣ تشرين الاول ١٩٢٩

واردات الجمارك وأساليب توزيعها
حجتان دامغتان لا سبيل لردهما
إما بنسبة الضرائب او عدد النفوس

حديث حضرة صاحب المعالي الاستاذ لطفي بك الحفار

نسبة الضرائب

من القواعد الاساسية التي بنيت عليها اصول الجباية ان تتفق الضرائب مع ثروة الشعب العامة ومقدرة المكلفين وعلى حسب هذه الثروة والمقدرة تضع حكومات العالم أجمع موازنة دخلها وخرجها. ومن القواعد الاقتصادية في اصول الجباية القاعدة المعروفة وهي : « المبدأ العام الذي لا ينبغي لمتشرع ان يحيد عنه هو ان جميع الاهلين بلا استثناء يتعين عليهم تقاسم ما تقتضيه النفقات العامة كل على قدر جهده وبنسبة كسبه وهذا هو مبدأ الجباية الصحيح ». والقاعدة الاخرى التي تقول : « يتعين على الحكومة ان تكون شديدة الرصانة دقيقة الحكمة في تقويم دخلها من الضرائب المنوعة بنسبة تتفق مع الثروة العامة

ويجعل بها تخمين الاقل دون الاكثر ». ومن هنا يظهر ان الضرائب مقياسها ثروة الشعب ومقدرته على الدفع فالاقتراح لتوزيع الحصص الجمركية بنسبة الضرائب التي تدل على مقدار الثروة العامة اقتراح يتفق مع أحدث القواعد الاقتصادية التي تعتبر ان الضريبة علامة الغنى وكل بلد تكثر قابلية أهله لدفع الضرائب يكون غناه أوفر ؛ والغنى يتطلب البذخ والترف وكل أمة من أمم الحضارة تصرف بنسبة ثروتها العامة . ولقد قرر مؤتمر لوزان الذي ضم أقدر الرجال الماليين والاقتصاديين ان توزع ديون الدولة العثمانية على البلاد المنفصلة عنها بنسبة مداخيل حكوماتها في السنين التي تقدمت الحرب واذا كانت الديون التي على البلاد وزعت على هذه النسبة فما أحرانا ان نتخذ هذه القاعدة مقياساً للواردات من مكوس وغيرها ومقياساً لتوزيعها وحينئذ يكون الغنم والغرم على السواء ويكون قد استوفى كل من الفريقين « سورية ولبنان » حقه بدون اجحاف او اكراه .

توزيع الواردات الجمركية بنسبة عدد النفوس

ظهر مما تقدم ان توزيع الحصص الجمركية بنسبة الضرائب اساس صالح لا يمكن الاعتراض عليه ويوجد أساس آخر يعمل به في مثل هذه الحالات في بعض المدن الاوربية والافريقية ففي الجزائر توزع رسوم الدخولية البحرية بين الساحل والداخل بنسبة عدد النفوس وبعض البلاد التي تشبه حالتها حالتنا ايضاً والتي ترى ضرراً من وضع الحواجز الجمركية بينها وبين جاراتها توزعها على هذا الاساس ، غير ان اخواننا اللبنانيين يدّعون ان لبنان يستهلك من الكماليات اكثر مما

تستهلك سورية وتجيبهم على هذا بحجتين لا سبيل للمماراة فيها اذا انصف القوم . الاولى : ان سكان مدينتي دمشق وحلب وحدهما بقطع النظر عن جميع المدن السورية الاخرى فيها من النفوس بمقدار نفوس جميع اللبنانيين ان لم يكن اكثر ولا نظن أحداً يستطيع انكار ما في هاتين المدينتين من الثروة والحضارة والمدنية . ولا شك ان سكان هاتين المدينتين يستطيعون الصرف والبذخ كما يستطيع سكان المدن اللبنانية فقط ! ..

ولا نريد ان نعرض هنا لحياة سكان القرى في الجبال وحالتهم !.. وعدا ذلك فان كثيراً من المواد الثمينة والكماليات التي تباع في اسواق مدينة بيروت يشتريها اغنياء وأبناء البلاد الداخلية أثناء سفرهم ورحلاتهم الصيفية والشتائية وعودتهم مصحوبين بالهدايا والتحف . اما الحجة الثانية : فاذا سلمنا جدلا ان لبنان يستهلك من المواد الثمينة والاشياء الكمالية اكثر مما يستهلك في الداخل وان توزيع الواردات الجمركية على نسبة النفوس فيه اجحاف بحقوق اللبنانيين وهم حسب الاحصاء الاخير ٧٥٠ الفاً ويوجد قسم من هؤلاء في بلاد المهجر فان العربان الرحل المنتشرين في بادية الشام من اطراف شرق الاردن جنوبا الى حدود الفرات وبادية العراق شمالا وشرقا وعددهم يربو على الخمسمائة الف يستهلكون من المواد الضرورية مثل السكر والرز والقهوة والمضام والخام فقط ما تربو قيمته على جميع ما يستهلكه اخواننا اللبنانيون من الحاجات الكمالية ولقد كان لبنان يصرف من المشروبات الروحية اكثر مما يصرف في سورية منذ بضع سنين اما الآن فانه يمكننا ان نقول والأسف ملء قلوبنا ان ما نراه من انتشار الحانات وأماكن اللهو والمراقص في حلب ودمشق يجعلنا نعتقد ان كفتي الميزان تعادلتا

في هذا الشأن ايضاً، ومن هذا البحث الدقيق الذي ساقنا اليه سؤالكم نخرج بنتيجة لا مجال للشك فيها هي ان الاساس الصالح الذي يجب ان يبنى عليه توزيع الحصص الجمركية إما نسبة الضرائب التي تستوفيها الحكومات او نسبة عدد النفوس . وهذا هو الحق والعدل في مثل هذه القضية الهامة التي يجب ان تبنى على أساس صحيح .

حقنا في ادارة الجمارك

وسألت معاليه ايضاح رأيه في طريقة ادارة الجمارك العامة وكيف يجب ان تكون وفي استثمار المفوضية العالية بواردات الجمارك وكتمانها عن أبناء البلاد والحكومات معاً فأجاب :

الواجب يقضي على الحكومات ان تطالب بحقها في الاشتراك بادارة الجمارك ومراقبة جبايتها والعمل على تنظيمها وما دام أبناء البلاد هم الذين يدفعون هذه الواردات من جيوبهم فيجب ان يكونوا على الاقل شركاء في الادارة والعمل وان لا يكونوا جهلاء في اعظم مورد وفي كيفية اتقانه وتوزيعه . كما ان الواجب يقضي على ادارة الجمارك العامة باستشارة أبناء البلاد ومشاركة الخبراء منهم حينما يعمدون لعقد الاتفاقات الجمركية مع البلاد المجاورة، وقد قرر المؤتمر الصناعي الاقتصادي الذي ضمّ خيرة رجال التجارة والصناعة من جميع البلاد السورية ساحلها وداخلها وجوب الاعتماد على آراء الخبراء من أبناء البلاد حينما تجري الابحاث لوضع الاتفاقات الجمركية بين البلاد السورية واللبنانية والبلاد المجاورة والممالك الاجنبية دفعاً للاضرار التي تنزل بالبلاد من جراء الاغلاط والخطيئات التي طالما شعرت البلاد باضرارها لعدم معرفة القائمين

بعقد هذه الاتفاقات باحوال البلاد التجارية والصناعية والزراعية معرفة تامة ينتبهون بواسطتها لما يجب ملاحظته وتقريره لمنفعة صادراتنا ومصنوعاتنا ومنتوجاتنا. وأظن ان صدور مثل هذا القرار من المؤتمر حجة كبيرة تدلنا على وجوب الاهتمام باشراك أبناء البلاد بمثل هذه الاعمال التي يعود عليهم خيرها وشرها ، وهم أدرى بها وبنتائجها .

وواردات الجمارك العامة ونفقاتها منذ سنة ١٩١٨ الى الآن لم تطلع عليها البلاد بصورة جلية ومفتش الجمارك العام هو الذي يدير هذه المؤسسة العظيمة بواسطة رجاله الافرنسيين وغيرهم من موظفي الطبقة الثانية والثالثة والبلاد تجهل الحقيقة عن أعظم ضريبة من الضرائب غير المباشرة التي يدفعها أبناؤها . وقد نشرت بعض الصحف منذ مدة صورة عن ميزانية سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ لواردات الجمارك ونفقاتها يظهر منها الغبن الذي يلحق بنا سواء كان بتحميلنا أعظم قسط من نفقات الثورة السورية او بالمبالغ التي حجزت لحساب ادارة الديون العامة بدون تحقيق ولا تمحيص او المبالغ التي أرصدت لاشتراك الدول في الساحل والداخل بالنفقات العسكرية ونفقات الادارة الملكية في المفوضية العليا ، والمصاريف الباهظة في باب المصروفات الادارية وغير ذلك. ويطول بنا البحث كثيراً اذا أردنا ايراد الارقام المذكورة ومناقشتها وعلى كل حال فاننا لا نزال غرباء عن أعظم مورد من مواردنا .

هل نسير للأمام

وسألت معاليه رأيه في الحالة الاقتصادية الحاضرة وهل هي سائرة الى الامام فأجاب :

لقد طرأ على البلاد السورية بساحلها وداخلها بعد الحرب العامة تطورات سياسية واقتصادية أثرت على حركتها التجارية ومقدراتها المالية تأثيراً كبيراً فقد منيت بخسارة الاوراق المالية التي كانت تختزن منها كميات كبيرة ومعظمها أصبح بعد الحرب العامة لا قيمة له والناس محتفظون بها على أمل استعاضة شيء من خسائرهم الفاحشة . وكان النزول الفجائي باسعار بضائع المانيفاتورة على اختلاف أصنافها خلال سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ وكان معظم تجارنا مرتبطين بكميات كبيرة مما سبب لهم خسائر لا قبل لهم باحتمالها . ثم طرحت الورقة السورية على أساس الفرنك الفرنسوي وتداولتها الايدي في جميع المدن وبدأت اسعارها بالتدني الى مقدار النصف وكان من نتائج ذلك تسرب قسم كبير من الذهب الموجود في البلاد الى البلاد الخارجية اما الخسائر فوقعت على أبناء البلاد ثم وضعت الحواجز الجمركية بين البلاد السورية واخواتها في شرقها وجنوبها وشمالها فضعفت حركة الاصدار وشلت ايدي التجار كل ذلك كان له أثره السيىء في الحالة الاقتصادية العامة ولذلك بدأت تشعر بالحاجة الى الخروج من هذا المأزق للاستعاضة عن خسائرها المالية واستعادة مركزها التجاري فلم تجد غير العمل على احياء الصناعة الوطنية وتأسيسها على الاصول الحديثة لتسد حاجة المستهلكين وتضع حداً لتيار الواردات الاجنبية الجارف فبدأت منذ بضع سنين بالعمل في هذه السبيل بهمة ونشاط وبقوة استعدادها الطبيعي وكفاءتها وذكائها ولا شك ان نتيجة هذه الجهود التي بذلتها في هذه المدة الوجيزة تبشر بمستقبل باهر وتقدم سريع وهذا المعرض الصناعي أعظم دليل على قوة عملها

والأمل الكبير في مستقبلها الذي سيكون عظيما برغم ما انتاب البلاد من الخسائر والمصائب لتلافيها واستعادة مكانتها الاقتصاديةوالتجارية باتخاذ الاسباب العلمية والعملية . ولأجل الاستفادة من خيرات البلاد الطبيعية ولا بد من العمل المنظم لتأسيس اعمال الري الكبيرة لتتضافر القوى جميعها لتقدم البلاد الاقتصادي من الوجهتين الصناعية والزراعية .

احياء الصنائع الشرقية

نشر في جريدة (القبس) بتاريخ ١٤
تشرين الاول ١٩٢٩

حديث حضرة صاحب المعالي الاستاذ لطفي بك الحفار

وسألت معاليه عما اذا كان المؤتمر الصناعي الاقتصادي فكر في احياء بعض الصنائع النفيسة التي دب اليها الانقراض فأجاب :

لم يشأ رجال المؤتمر ان يتوسعوا في أبحاثه ومطالبه وانما أرادوا ان يبحثوا فيما تمس الحاجة اليه الآن لنهوض صناعتنا وتأسيسها على أحدث الاساليب العلمية والعملية . ولذلك لم يتطرقوا الى بحث بعض الصنائع النفيسة التي يوجد عندنا منها انواع قيمة وصناع مهرة قادرون لا يجدون شيئاً من التشجيع والتنشيط الذي يجب ان يلاقيه أمثالهم . والسبب الرئيسي في ذلك عدم توفر الثروات الطائلة لدى الافراد الذين يقدرون مثل هذه النفائس ويدفعون أثمانها . مثال ذلك صناعة النحت الدقيق (الموزاييك) للرخام الملون وقد عرض منها في المعرض الصناعي نماذج تعد أتقن وأجمل ما يصنع من انواعها ويوجد في البلاد وعلى الاخص في دمشق عدد من هؤلاء النحاتين الفنانين كادوا يتركون صناعتهم بعد اتمام الاعمال التي قاموا بها في الجامع الاموي وهي تعد من مفاخر صناعة (الموزاييك) الباهرة . ولقد رأيت عند بعض هؤلاء

الفنانين قطعاً كاملة لرصف الدور والجدران وبرك الماء وهي آية من آيات الاتقان والجمال ولا يوجد من يتقدم لشرائها واقتنائها من أهالي البلاد مع الأسف الشديد !

وكذلك صناعة الدهان الشرقي وهي محصورة في أسرة واحدة في دمشق الآن والواجب يقضي على الحكومة ان تعطي لافراد هذه العائلة مشاهرات تشجعهم على تعليم صناعتهم النفيسة التي يخشى ان تنقرض بانقراضهم كما حصل في صناعة القيشاني في دمشق وقد كانت محصورة بافراد يحرصون على عدم تعليمها لأحد . ولم يكن احد يهتم بمثل هذه الصناعات فانقرضت بانقراضهم ولم تستطع المعامل الاوربية على تقدمها في صناعة البلاط من إجادة تقليد هذه الصناعة الشرقية النفيسة .

وهذا الفنان القدير (عبده النحات) فان صناعاته في النقش الخشبي آية من آيات الفن الدقيق والجمال الرائع وهو يشتغل قطعه الجميلة بصبر عجيب وذوق فريد ولا يجد من الاقبال على مشترى مصنوعاته الا القليل من اهل البلاد ومعظم قطعه النفيسة ومصنوعاته النادرة كالتي عرضها في المعرض الصناعي يشتريها الاجنبي وتخسرها البلاد وله ولد يحذو حذو والده ويعمل مثله . فهلا يجب علينا تقديره وتشجيعه ؟ وهذا الفنان محمد علي الخياط العبقري في صناعة النقوش الخشبية والزخارف الشرقية ولا يكاد يعرفه الا القليل وجميع مصنوعاته النفيسة ترسل الى اوربا واميركا ؛ وقد كان له آثار في مصر وبيروت في قصور الاثرياء الذين عرفوا موهبة هذا الرجل وفنه العظيم وكذلك حكومة لبنان التي ترجوه دائماً ليعمل في سراي (بيت الدين) لتجديد زخارفه ونقوشه وهو يقوم بهذا العمل منذ حين . وأما في دمشق وأبناء هذه

المدينة فانهم لا يعرفون عنه شيئاً مع الأسف الشديد . ولا يقدّرون فنه ومواهبه .

ان علماء الاقتصاد يعتبرون هذه البدائع الفنية رؤوس اموال يجب الاحتفاظ بها . يقول مسيو بول لروا « الطرق الفنية تبقى أبد الدهر احدى مزايا العالم القديم على العالم الجديد فمن العبث اذاً ان يجادل مجادل في كونها رأس مال من انفس ماتقتنيه الانسانية » . ولا شك ان الحكومة مسؤولة عن هذه الصنائع النفيسة ومن واجبها القيام بتشجيعها وتعليمها للآخرين بدفع المشاهرات الكافية لاربابها .

نتائج المؤتمر الصناعي الاقتصادي

وسألت معاليه عن نتائج انعقاد المؤتمر الصناعي الاقتصادي فأجاب :

اقل ما يقال في هذا الباب هو ان اجتماع رجال التجارة والصناعة من جميع المدن السورية ساحلها وداخلها وبحثهم الشؤون الاقتصادية والصناعية يدل على شعور الجميع بضرورة الوحدة الاقتصادية على الاقل . والعمل لتوحيد الجهود والتفكير للخلاص من هذا الضيق العام وان البلاد السورية واللبنانية على السواء في السراء والضراء . ولقد كان من نتائج انعقاد هذا المؤتمر تصوير حالتنا الصناعية والاقتصادية تصويراً صادقا ودرسها درساً مدققاً ومعرفة الواجبات الملقاة على عاتق الحكومة وعلى أرباب الصناعات والامة نفسها .

ولقد كانت روح الاخلاص والجد سائدة بين رجال المؤتمر وهذه ميزة اخلاقية تجلت بأبهى مظاهرها في اجتماعات المؤتمر تدل على نضوج

الامة من ناحية تفكيرها وعملها المشترك وهي حديثة عهد بمثل هـذه المؤتمرات والاجتماعات .

ولقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية للمطالبة بوضع مقرراتـه موضع العمل وتنفيذها بالسرعة الممكنة وستتابع هذه اللجنة جهودها لتحقيق الغاية المتوخاة ...

مستقبل البلاد الصناعي

وسألت معاليه رأيه في مستقبل البلاد الصناعي فأجاب :

البلاد السورية معروفة منذ القديم بصناعاتها الجيدة وأبناؤها سلائل اولئك الآباء الذين كانوا مفخرة الشرق في مختلف الصناعات فاذا تهيأت لها الوسائل الفنية ، واذا قامت الحكومة باخلاص لمساعدة هذه النهضة الصناعية ووضعت مقترحات المؤتمر الصناعي الاقتصادي قاعـدة للعمل فسيكون مستقبل البلاد الصناعي باهراً جداً . وكفاءة السوري للاعمال الصناعية اعظم ضامن لهذا المستقبل .

الاضطراب السياسي وأثره في الصناعة والتجارة

وسألت معاليه رأيه في علاقة الحالة الاقتصادية والصناعية بالشؤون السياسية الحاضرة فأطرق ملياً ثم قال :

والخروج من فوضى الحكومات الموقتة شرط أساسي من شروط نجاح الحياة الاقتصادية والاعمال الصناعية فاذا لم تصل البلاد الى ما تصبو اليه وما تطالب به من التمتع بالحياة النيابية والاستقرار السياسي واستعمال

حقها في الحياة واحترام سيادتها واستقلالها فلا سبيل الى خلاصها من هذه الأزمات الاقتصادية ولا مجال لاقبال أصحاب رؤوس الاموال من وطنيين وأجانب لاستثمار أموالهم في مختلف فروع العمل وعلى الاخص في الاعمال الصناعية والزراعية التي يتوقف عليها نجاح البلاد وخلاصها من هذا الضيق الشامل .

دعايتنا الخارجية . ضعفها

الخطاب الذي القي في حفلة الشاي التي اقيمت للسيو
(وليم مرنان) صاحب جورنال دوجنيف في ١٠ -
١١ - ١٩٢٩ في دار المرحوم فوزي الغزي

سادتي :

سيدي الصحافي الكبير :

أرى الواجب يدعوني لان أقف الآن ، وبين هؤلاء الاخوان الذين هم نخبة صالحة من هذا البلد الطيب لأحييكم وأرحب بكم باسم مدينة دمشق ، وباسم اخواني رجال الكتلة الوطنية .

وانا لنتهز هذه الفرصة لنتحدث اليكم قليلا ، ونكرم فيكم العلم والادب ، ونصرة الحق ، والاخذ بيد الشعوب الضعيفة .

نحن لا نطلب منكم الا ان تنشروا في صحيفتكم الراقية ، ما رأيتموه ، وما شعرتم به في رحلتكم ومحادثاتكم عن بلادنا التي أرهقتها التجارب وأمضها هذا التردد ، فنحن ننظر اليكم كرسول امين ينشر حقيقة القضية السورية في هذا الوسط الراعب الذي تصدر فيه صحيفتكم الكبيرة ، والتي لها مكانتها بين رجال عصبة الامم أنفسهم .

واسمحوا لي ان أسمي الوسط الذي تصدر فيه جريدتكم بالوسط الراعب ، فقضايا الامم الضعيفة تعرض للتقرير والتمحيص دون ان تجد في كثير من الاحيان من يأخذ بيدها او يدافع عنها بل ربما قام في

وجهها من يسعى للتضليل والبهتان ، او من يعمل لطمس الحقيقة الناصعة البريئة ، ولقد سمعنا في هذا العام والذي قبله ، من اعضاء لجنة الانتدابات الذين ننتظر منهم العدل والانصاف ما يشعرنا بخيبة الامل ويبعث في نفوسنا اليأس والألم ، فلقد كانت أجوبتهم لتقارير رجال الوفد السوري العامل ، ولاصحاب العرائض التي وصلت اليهم تدل على مقاومة الذين يتقدمون بشكاواهم ، ويعلقون الآمال على انصافهم والأخذ بيدهم مقاومة عنيفة لا تدع في نفوسهم اقل امل لقرع بابهم مرة اخرى .

ولا ندري ماذا تكون نتائج هذا اليأس والألم اذا سطا على نفوس المتظلمين والشاكين من انصاف قاضيهم الذي يتقدم للحكم باسم الامم ، ليأخذ بيد المظلوم البريء ، ولا تجد منه الا النكاية والامعان في مساعدة القوة وطغيانها .

ولكن اليأس لا يجد الى نفوسنا سبيلا ، لأن ايماننا قوي في صواب قضيتنا ، وكونها قضية حق وعدل ، وما هي الا قضية امة تريد ان تتمتع بحقها في الحياة ، وسيادتها في ادارة بلادها ، وهي تعتقد انها قادرة على تحمل هذه العبء اذا أفسحت لها القوة الطريق لتظهر مواهبها وكفاءتها .

يصور بعضهم هذا الشعب الذي يعمل بقوة ايمانه الوطني للوصول الى أهدافه وأغراضه النبيلة بصورة المتمرد الذي لا يعترف بشيء من العهود والواجبات ، ويلوحون بالمعاهدات الدولية تارة ، وبالحق العام تارة اخرى ، ويقولون اننا ننكرها ولا نعترف بها ، ونحن نقول لهم :

اننا لا نعتدي على هذا الحق العام ، واننا نريد ان نحدد هذه العلاقات والواجبات القائمة بيننا وبينكم تحديداً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ، بمعاهدة تعقد فيما بيننا وبينكم على تبادل المصالح وتصان فيها السيادة القومية ، ليعرف كل منا حده فيقف عنده . وأما ان نكون آلات صماء تدار بايدي رجالكم الذين يتحكمون في كل امر من امور ادارتنا وأموالنا وجمارکنا وحقوقنا ، ويتداخلون في كل شأن من شؤوننا بحجة هذه التعهدات ، او هذا الحق العام الذي تفسره القوة بحسب أغراضها وغاياتها ، فهذا ما لا يقره لكم أحد ، ولا يستطيع ان يوافقكم عليه من يفهم معنى الحياة او معنى الحق العام .

فكن انت يا سيدي الرسول الامين الذي يوصل صدى هذا الالم الكامن في نفوسنا وصوت هذه العقيدة الوطنية التي نجاهد في سبيلها ، الى نوادي جنيف ، والى رجال عصبة الامم ، والى أحرار فرانسا الذين نعلق على نصرتهم للحق واحترامهم لحرية الشعوب الضعيفة أطيب الآمال .

لقد طال عهد الدرس والبحث ، وسئمت النفوس هذه التجارب والاساليب العقيمة ، والامة ساكنة هادئة لا لضعف او وهن او فتور وكسل ، بل تمهيداً للعمل المنتج ، وانتظاراً لعودة المفوض السامي ، الذي نعتقد باستعداده الطيب ، ولكن اذا لم يرافق هذا الهدوء والانتظار عمل حاسم ، ونتيجة طيبة تتفق مع ما تصبو اليه هذه البلاد من تحقيق أمانيها وآمالها ، فكم يكون وقع هذه الصدمة عنيفاً ومؤلماً بينما الشعوب التي تجاورنا في مصر والعراق وغيرها تسير نحو تحقيق غايات استقلالها وسيادتها سيراً منظماً ، وتقطع شوطاً بعيداً .

هذا بعض ما في نفوسنا من الآلام والآمال ، نرددها امامك الآن ، لتكون واثقاً بانها آمال أمة تبذل أعز مالديها في سبيلها ، ولا يمكن ان تنتهي بغير تحقيقها . وما يلوحون به من الاعمال الاقتصادية التي لا نعتقد بنجاحها اذا لم يتقدمها وصول البلاد الى التمتع بسيادتها واستقلالها لا يكون له أدنى صدى في نفوسنا ، ولا يمكن ان يكون هنالك استقرار سياسي تطمئن اليه البلاد دون هذا .

واذا كانت وسائل دعايتنا محدودة الآن لايقاف الرأي العام الاوربي على حقيقة قضيتنا الحقة ، فاننا نعلق املا كبيراً على امثالك الذين يحرصون على خدمة الحقيقة ونشرها ، وسوف لا تنسى هذه البلاد التي كانت مبعث الحضارة والنور فضل العاملين لخدمتها ونصرة قضيتها .

وقد أحرجنا فخرجنا الى القتال في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ بعد انتظار طويل على أمل افهام الافرنسيين حرص البلاد في جميع طبقاتها على تحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال . ولكننا بعد طول الانتظار لم نر غير الوعود العرقوبية والدعوة الى انتظار درس مفوض بعد آخر فخرجت البلاد بعد هذا الاحراج الى المطالبة بحقوقها بقوة السلاح واندلعت نيران الثورة السورية في السهل والجبل وفي شرق البلاد وشمالها وجنوبها بذلت فيها البلاد أزكى دماء أبنائها وشهدائها . ونخشى ان يتسرب اليأس الى النفوس وتعود سيرتها الاولى وهي تردد قول شاعرها :

اذا لم يكن غير الأسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها

هذا رأينا الصريح

نشر في جريدة البرق البيروتية بتاريخ
١٢ آذار ١٩٣٠

علمنا بمزيد الأسف من اخبار دمشق ان الحكومة السورية الموقتة قد قررت اتخاذ الاحتكار مبدأ لاستثمار مورد التبغ باكثرية الاصوات ، وان المخالفين لهذا الرأي الفاسد الجاني ، هم وزراء الزراعة والمعارف والعدلية الكرام ، اما رأي الامة السورية الصحيح فهو الذي ادلى به الوطني الكبير والاقتصادي المدقق معالي لطفي بك الحفار نائب دمشق ورئيس غرفة تجارتها لرصفيتنا القبس الزاهرة ونحن ننقله فيما يلي ليطلع عليه اللبنانيون وحكومتهم ولتعرف السلطة والبلاد ان سوريا لا تريد الا حرية التبغ ولكن بضعة افراد من ابنائها ارادوا حجب صوتها ، وراحوا يعربون عن غير رأيها ، وهم لا يمثلون الا انفسهم ، فسجلوا على ذواتهم صفحة سوداء ، وهم لا يستحقون بما اقدموا عليه من العبث بواجبهم وبأمنية بلادهم ان نذكر اسماءهم على صفحات هذه الجريدة .

اما لطفي بك الحفار فقد اعرب بصراحته ورصانته واعتداله عن رأي بلاده الصافي الصحيح وأعطانا برهاناً جديداً لدعم حجتنا الثابتة الظاهرة كنور الشمس على صواب وقوفنا في جانب هذه الكتلة الوطنية السورية النبيلة ، التي تضيف كل يوم مأثرة الى مآثرها ، وتلقي في كل سانحة امثولة خالدة على ابناء هذه الديار في الاخلاص الوطني والجرأة والمفاداة .

واليك الآن ملخص تصريحات لطفي بك الذي نغتنم هذه الفرصة لنحييه ونصافح يده النبيلة عن شاطىء هذا البحر الازرق :

س : ما رأيكم في قضية الدخان التي شغلت الرأي العام السوري الآن . وهل الافضل لمصلحة البلاد ومصلحة الخزانة احتكار الدخان او حريته ؟

ج : لا بد قبل البحث في هذا الموضوع الخطير والجواب على هذا السؤال من درس مبدإ الاحتكار لصناعة الدخان « المونوبول » ومبدإ حرية صناعته وزراعته والاتجار به على قاعدة طوابع الدخان « البندرول » وذلك بالنسبة لسورية وحالتها الاقتصادية والصناعية والزراعية .

بالنظر للاحتكار الموجود من القديم في البلاد السورية فانه يمكننا ان نقول ان زراعة الدخان وصناعته وتجارته تعد في حكم العدم . ومن طبيعة الاحتكار انه يقضي على مؤسسات الصناعة والزراعة التي تعود اليه والتي لها علاقة به . وعلماء الاقتصاد مجمعون على اضرار الاحتكار التجاري وعلى الاخص فيما له علاقة بالمصالح الزراعية والصناعية . ولا مجال للتبسط في شرح هذه المضار وتأثيرها السيء على البلاد وعلى اقتصادياتها فادارة احتكار الدخان « الريجي » ماثلة امامنا واعمالها الجائرة تتجدد في كل يوم ونحن اذا نظرنا الى هذه القضية من الوجهة الاقتصادية والصناعية والزراعية نجد ان مضار الاحتكار عديدة جداً يمكن ان نذكر بعضها هنا بصورة موجزة .

١ — تسلط عمال شركات الاحتكار على العاملين والآمنين في بيوتهم والمزارعين في مزارعهم وتقييد حركتهم الزراعية والتجارية ولو كان هذا الاحتكار بيد الحكومة .

٢ — جعل الاسعار بيد المحتكر يضعها كيفما شاء وطبيعة الاحتكار تجعلها مرتفعة عن حد الاعتدال كما اثبت ذلك بالاستقراء امثال آدم سميث وريكاردو وغيرهما من علماء المال والاقتصاد وكما هو ثابت من الحوادث والوقائع .

٣ — الاحتكار يقضي على صناعة الصنف المحتكر ويعطل المزاحمة فيه من حيث التجويد والتحسين واعتدال الاسعار .

٤ — الاحتكار يخل بالتوازن الاقتصادي من جهة توزيع الثروة وحرية العمل في سبيل اقتنائها اذ يربح المحتكرون اموالا طائلة خالصة لهم من دون الناس ولا يشاركون الذين يحمونهم ويساعدونهم من الحكومات والافراد الا بالقليل من هذه الارباح ولا يكون ذلك الا بنسبة ضعيفة جداً .

٥ — البلاد السورية تحتاج بالنسبة لحالتها الاقتصادية الحاضرة لتنشيط الاعمال الصناعية على اختلاف انواعها . ومن أهم هذه الاعمال صناعة الدخان التي تؤسس فيها فيما اذا ابطل هذا الاحتكار ولا يمضي الا القليل من السنين حتى تصبح فيها صناعة راقية بالنسبة لاستعداد البلاد الطبيعي للعمل الصناعي وتغنينا عن شراء الدخان الاجنبي على اختلاف انواعه .

٦ — نشرت الغرفة الزراعية في دمشق تقريراً قالت فيه بحرية زراعة الدخان وأثبتت انه يوجد في البلاد السورية مناطق عديدة صالحة لزراعة الدخان ولا بد من التضحية قليلا في اول الامر حتى تتمكن البلاد من اعطاء المنتوجات الزراعية الحسنة لهذا الصنف الذي يجب على الحكومة تنشيط زراعته وتشجيع القائمين به ، ولا يضر صناعة الدخان

وتجارته فيما اذا اضطررنا الى جلب كميات من الدخان الاجنبي لخلطه مع الدخان الوطني كما تقتضيه هذه الصناعة ، لأنه لا يكون خاضعاً للرسم الجمركي ومساعداً لنجاح صناعة الدخان كما هو الشأن في كثير من البلاد التي تربتها لا تنبت دخاناً جيداً كمصر وانكلترا والمانيا وغيرها .

ويظهر مما تقدم ان البلاد السورية بالرغم عن كونها مستهلكة ومستوردة لاصناف الدخان الاجنبي ولم تتأسس فيها صناعته وزراعته فان المصلحة الاقتصادية والصناعية والزراعية تقضي بترجيح فكرة الحرية (البندرول) على فكرة الاحتكار (المونوبول) .

س : ولكن البعض يدعي ان مصلحة خزانة الدولة تقضي بترجيح فكرة الاحتكار المونوبول على فكرة حرية الدخان البندرول فهل يمكن اعطاؤنا ايضاحا مقنعاً يجلو هذه القضية الغامضة .

ج : لأجل الجواب على هذا السؤال جوابا مقنعاً لا بـــد من الرجوع الى الارقام والبحث في رسوم البندرول وكيفية تطبيقها ونسبتها الى مقطوعية البلاد السورية والى ما تأخذه الحكومة الآن من ادارة الريجي . ولقد سئلت عن هذه القضية من بعض المراجع فعنيت بدرسها درساً مدققاً يمكنني ان افضي اليكم ببعضه .

فالحكومة السورية قد بلغت حصتها من ارباح شركة الريجي في السنين الثلاث الاخيرة ستمئة الف ليرة سورية في كل عام . هـذا هو المبلغ الذي يظن بعض القائمين بالامر انه مبلغ عظيم يجب ان يحتفظ به وان البلاد السورية اذا سارت على قاعدة طوابع الدخان (البندرول) لا يمكنها ان تؤدي الى خزانة الحكومة مثل هذا المبلغ والواقع يخالف هذا القول كل المخالفة واليك الدليل :

لقد دققنا في مقطوعية البلاد السورية من الدخان واستقصينا هذه الارقام من اوثق المصادر فوجدناها كما يأتي :

مقطوعية سوريا من الدخان سنويا تقدر بـ ٦٦٠ الف كيلو اي بنسبة ٦٦ في المئة .

مقطوعية جمهورية لبنان تقدر بـ ٢٢٠ الف كيلو سنويا اي بنسبة ٢٢ في المئة .

مقطوعية باقي الدول السورية تقدر بـ ١١٠ آلاف كيلو سنويا اي بنسبة ١١ في المئة .

ولا شك ان معظم حاجة البلاد السورية ستكون في السنين الاولى من الدخان الاجنبي الى ان تتحسن زراعته في الاراضي السورية فيمكن ان يستغنى عن حاجة البلاد وصناعتها في المئة من عشرة الى عشرين في الخمس السنوات الاولى .

واذا كانت تعرفة « البندرول » على الشكل الآتي الذي هو اقل من الرسوم التي يتصورون استيفاءها بالمئة خمسين او اكثر قليلا — ومن رأيي انه يجب الاعتدال في وضع هذه الرسوم تشجيعاً للصناعة وترويجاً للزراعة — فانها ستؤمن مورداً يزيد ثلاثة اضعاف المورد الحالي الذي تتقاضاه الحكومة من شركة الريجي الآن ...

وبعد ان اورد لطفي بك جدولا حسابياً ناطقاً بالارقام عن أفضلية « البندرول » لمصلحة الخزانة السورية ، استطرد فقال :

ومن هنا يظهر لنا ان دخل الحكومة سوف يكون على اقل تعديل فوق المليوني ليرة سورية سنويا ولم يدخل في هذا الحساب ايراد المخالفات والجزاءات وستكون في ابتداء الامر كثيرة جداً وأعتقد

انها ستغطي نصف نفقات موظفي البندرول ومفتشيه وادارته الخاصة .

وسيكون المورد اعظم مما قدرنا في المئة خمسين في السنتين او الثلاث الاولى نظراً لاستيفاء رسوم السيكارات الاجنبية وهي سترد بكثرة قبل ان تؤسس المصانع الوطنية وبعد تأسيسها في البلاد السورية ولتحسين المنتوجات الزراعية يجب مضاعفة الرسوم على الوارد الاجنبي لحماية صناعة الدخان الوطني وزراعته وبذلك ايضاً نعوض الخزينة عما تفقده من التوازن بالنسبة للواردات الاجنبية .

فمن هنا يتضح لأول وهلة ان دعوى خسارة الحكومة من نظام البندرول وضعف مواردها لا تستند الى اساس صحيح ولا تلبث امام حقائق الارقام ان تنهار .

وأخيراً فان البلاد السورية ستكون فائدتها كبيرة جداً من نظام حرية زراعة الدخان وصناعته وتجارته وستعود ارباح الحصر الكبيرة الى خزانة الحكومة والى المزارعين والصانعين والمتاجرين من اهل البلاد وانا اعتقد ان تقرير الحصر « المونوبول » الان جناية على مستقبل البلاد الاقتصادي لا يستطيع احد ان يقدم على ارتكابه .

صيانة الدستور من عبث المحتلين

الخطاب الذي القي في مهرجان وطني كبير عقد في دمشق بعد ان حالت القوة دون متابعة اجتماعات الجمعية التأسيسية في شهر ايار (مايس) سنة ١٩٣١ .

سادتي وإخواني :

ارجعوا بابصاركم الى جوانب هذا الشرق المضطرب والى شعوبه المتحفزة ، دققوا في هذا النضال المستمر ، وهذا الجدل الذي لا ينتهي بين الحق والباطل والقوة والضعف .

هذه ميادين الهند المضطرمة ، وهذه مصر الشقيقة وجهادها حيال السودان وحقها في الحياة الحرة المستقلة ، وهـــذه جارتنـا العراق ومفاوضاتها المستمرة القائمة ، وهذه سوريا الجنوبية ودفاعها دون الطامع في أرضها ، والطامح الى الاستيلاء عليها ، وهذه سوريا المجزأة وضحاياها التي فاقت كل حد ، وكانت فوق احتمالها واستطاعتها ، هذه ميادين الكفاح والنضال بين الشرق والغرب وكلها الدليل الأقوى على روح الحياة التي دبت في هذه الشعوب الهضيمة ، وعلى قوة ايمانها في حقها بحريتها واستقلالها ، وشدة بأسها في نضالها .

الغلبة لا تكون الا في جانب الحق مهما طغى الباطل ، والكلمـة الاخيرة لهذه القلوب التي ملئت بايمانها الوطني الذي لا تزلزله الحوادث والكوارث ، ولا تؤثر فيه هذه المظاهر الخداعة ، والأساليب البراقة .

وهذا التاريخ القديم والحديث يحدثنا عن أمم أمثالنا لم تكن تسير وراء الأفاكين والمستضعفين ، ولم تستسلم لليأس والقنوط ، والضعف والفتور في جهادها ونضالها ، فنالت ما تصبو اليه من حرية واستقلال وأنقذت بلادها من الشرور والويلات بفضل ايمانها وثباتها .

ونحن الآن امام صفحة جديدة من صفحات هذا الجهاد الذي تعانيه البلاد ، فقد حرصت جمعيتكم التأسيسية ان يخرج دستوركم كافلا لوحدتكم وسيادتكم ، وأبت القوة الا ان تجاذبنا هذا الحق ، وان تجادلنا في الدفاع دونه ، وكانت هذه المشادّة العنيفة التي دامت سنتين متواليتين كما تعلمون بين أخذ ورد وجزر ومدّ ، وقد اقترحت السلطة المادة ١١٦ بعد ان اصطدم المجلس التأسيسي معها في قضية حذف المواد الست ، وأرادت ان يقرّها في صلب الدستور فأبى ايضاً ، وحالت القوة دون المجلس ودون اتمام مهمته ، وحاولت كثيراً ان تستدرجه لما تريد ، فلم يقرّ هذا الطلب ولم يوافق عليه ، ثم أصدرت القوة هذه المجموعة من الدساتير وأضافت الى الدستور السوري هذه المادة بعد ان رفضها المجلس النيابي ومكتبه رفضاً تاما .

ونحمد الله ان البلاد قد خرجت من هذه الغمرة ، ولم تسجل عليها ما تأباه وما تراه مناقضاً لحقها في الحياة .

واسمحوا لي ايها السادة ان ارجع بكم قليلا الى ايام انعقاد الجمعية التأسيسية ، وتلك الشائعات الباطلة التي كان يروّجها بعض المأجورين والدساسين ، لتكون لنا عبرة وذكرى ، ولنحذر امثال هؤلاء في مستقبل اعمالنا وجهادنا ، فقد قالوا وكذبوا ان الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية غير كافل لوحدة البلاد واقرار سيادتها وحريتها ،

كلمة الوفد السوري (لتأبين المرحوم الأمير فؤاد ارسلان)

نشرت في جريدة (البيرق) البيروتية بتاريخ
٢٥ آذار ١٩٣٠

في هذه الساعة الرهيبة وفي هذا الحشد العظيم أقف باسم المجلس التأسيسي وباسم رئيسه الجليل لأقول كلمة البلاد السورية في الفقيد العظيم .

لا أدري حينما وقع علينا نعي هذا الامير المحبوب وقوع الصاعقة كيف دفعني الواجب والجزع الذي شعرنا به جميعنا فأسرعت انا وإخواني من ضفاف بردى الى شاطيء هذا البحر لنقوم ونشارك اخواننا في وداع الراحل الكبير الذي كان مثال الفضل والنبل والجرأة في قول الحق والشجاعة في الدفاع عنه .

لقد عرفته بالخُبر والخبر فعرفت منه هذه الخلال الطيبة والنفس المضطرمة.

توالت الارزاء والنكبات على هذه الامة وتنوعت أسبابها ، فقد فقدنا منذ اشهر في دمشق زعيما وطنياً وأخاً حبيباً والآن جئنا بيروت لنودع من كان مثال الاباء والوفاء والدفاع والنضال دون حقوق امته وبلاده وسيادتها وكرامتها .

وما كان توالي هذه المصائب والنكبات الا ليزيدنا قوة ومضاءً وعزيمة واندفاعا .

وأمتنا العربية التي يمتدُّ ظلها ما بين هذا البحر الازرق والصحراء

المترامية الاطراف في الشرق والجنوب لا تستسلم لليأس والقنوط ولا تجزع في الملمات والخطوب. وهذه الاسرة الارسلانية الكريمة التي فقدنا أحد رجالها الابطال ما زالت في ماضيها وحاضرها تقوم بخدماتها العظيمة وتتألق برجالها الافذاذ في جميع الانحاء وحق لها ان تقول دائماً : اذا مات منا سيد قام سيد .

فالمصاب مصاب هذه الامة المفجوعة في جميع الاقطار ، وكلنا في هذا الموقف سواء ، وما علينا الا ان نسير على سنن هؤلاء الزعماء لتطمئن ارواحهم الطاهرة وتحيا مبادئهم الخالدة .

وعلى الأمة في موقفها الحاضر الذي تعاني فيه مقاومة الاجنبي في الساحل والداخل ان تحرص على وحدة كلمتها والالتفاف حول قادتها وزعمائها . واذا منيت بفقد احد هؤلاء الابطال وهو يجاهد ويناضل فعليها ان لا تجزع ولا تيأس بل يجب علينا ان نأخذ من حياتهم ومن مبادئهم وقوة ايمانهم دروساً نافعة للاحتذاء والاقتداء .

وبقدر عظم خسارتنا بفقيدنا الكبير يجب ان تكون قدوتنا اتم واكبر بما عرف عنه من التضحية والايثار والحرص على حقوق البلاد ومجابهة الأجنبي بقوة وايمان .

وانه متفق عليه مع الفرنسيين ، وانه من وضع وزارة الخارجية ، وقالوا ان هناك مساومات على المناصب والوزارات ، وقالوا اننا قبلنا بحذف المواد الست من صلب الدستور ، واننا نجازف بحقوق الامة ، ونرضى بما تقترحه علينا القوة لقاء تحويل المجلس التأسيسي الى مجلس نيابي ، فجاءت الحوادث والوقائع تؤيد صدقنا ، وحققت الايام مقدار كذبهم وافتضاح أمرهم . ولقد كان امثال هؤلاء حجر عثرة في طريق الامة ، وهي في أدق مراحل حياتها ، وساعات تقرير مصيرها ، واظهار ارادتها ، فكانوا شراً عليها من الاجنبي ومطية لتنفيذ أغراضه وغاياته .

كلكم يذكر دسائسهم وأباطيلهم ، ويذكر الادوار المخجلة التي كانوا يقومون بتمثيلها لمقاومة نوابكم وطعن دستوركم .

فقد آن للامة ان تنتبه لهؤلاء المستضعفين المأجورين ، وحقّ لها ان لا تنسى اعمالهم ، وان تحول دون دعاياتهم الباطلة ، وان تقف صفاً واحداً من مكائدهم ودسائسهم ، فلقد كفاهم هزءاً بضحايا هذه الامة الغالية وامعاناً في الكيد والخيانة لها ولحقوقها .

رجعت بكم قليلا الى الماضي ايها السادة لتستخرجوا العبرة منه ، وبعض هؤلاء المرجفين بالباطل لا يزالون الى الآن يمثلون هذه الادوار الشائنة بأكاذيبهم وأضاليلهم ، ولا أريد أن استعرض أقوالهم التي يبثونها بين الناس الآن ، او أن أشرح لكم اغراضهم الدنيئة ، ونحن في شغل شاغل عن مثل هذه السخافات وعن مقاتلة قائليها وهم أقل من ان يُهتم بهم ، فقد عرفت الامة شأنهم ، ولم يعد ينطلي عليها باطلهم او ان تأخذ بدعاياتهم ، ومتى ارتقت تربية الامة السياسية ، وعرفت اين تضع ثقتها ورجاءها ، ولم تعد تؤثر عليها امثال هذه الدعايات الخبيثة ،

فقل انها بلغت الشاو الذي لا تدع فيه منفذاً لطعن قضيتها او مجالا لتضليل هؤلاء الدساسين الماكرين .

وعلينا الآن ان نأخذ أهبتنا ، وان نحذر المستقبل ، فهو مملوء بالمفاجئات والاحتمالات فخطتنا ستفرضها الحوادث والظروف ، والمستقبل بيدنا لنصرفه بحسب ما نرى فيه مصلحة امتنا وبلادنا وخدمة قضيتنا الوطنية خدمة خالصة لوجه الله والوطن .

وأمتنا السورية اذا خرجت ظافرة من هذا العراك السياسي بفضل يقظة رجالها وقوة ايمانها ، فهي لم تنته من جهادها ، ولما تقم بواجباتها بعد ، فمجال العمل لا يزال واسعاً ، وميدان التضحية يدعو جميع الوطنيين للبذل والفداء ، ولا بد للامة التي تريد الحياة الحرة المستقلة من خوض هذا الميدان ولا بد لها من الثبات والدأب في هذا النزال والنضال ، وبقدر قوة الخصم وشدة بأسه وقوة مراسه تكون لذة الظفر وعظمة المكافحة والمقاومة ، وبقدر ما عنده من وسائل التنظيم والتغرير ، بقدر مايجب ان يكون عندنا من التضامن وصحة التفكير وقوة التدبير .

فهذه المجموعة من الدساتير لا تحقق اماني البلاد ، وقد اصدرتها القوة ضد ارادة جمعيتها التأسيسية ، وما فيها من نقص وتعطيل لا يثني عزائمنا عن متابعة جهادنا ، فمثل هذه الصدمات العنيفة لا تكون الا بمثابة منبّه وموقظ للذين يخشى ان تفعل المخدرات فعلها في نفوسهم ، وما كانت هذه النصوص والتعهدات لتقف في طريق مصلحة الامة والعاملين في سبيلها ، وما كانت القيود مهما ثقلت لينوء بحملها الا الضعفاء الجبناء ، واما الذين يعملون بقوة عقائدهم الوطنية ومبادئهم القومية فهم

الاقوياء الذين يستطيعون مقاومة هذه العقبات الكأداء مهما صعبت ، ويتغلبون على هذه الأزمات مهما اشتدت ، وكلكم يا سادتي ذلك الرجل القوي ، بما في نفوسكم الأبية ، وعقائدكم الوطنية ، من مضاء ووفاء .

والسياسة اذا لم تكن كاذبة دائماً فهي لا تصدق الا قليلا ، وأساليب القوة لايكتب لها الظفر اذا كان سلاح الشعوب الهضيمة الثبات والاخلاص .

ايها الاخوان :

لقد حاربنا الاتراك في سبيل مبادئنا القومية وتحقيق استقلال بلادنا ولم نقبل منهم المساومة او المهادنة في الوصول الى هذه الاهداف السامية ؛ وهذه ارواح شهداء جمال السفاح تنادينا لليقظة والانتباه ، ثم حاربنا الافرنسيين وعارضنا مشاريعهم وخططهم جهاراً نهاراً دون مواربة او ضعف وهذه ميادين الثورة السورية في جميع أنحاء البلاد تشهد بذلك وأرواح شهدائنا فيها تنادينا ايضاً في وجوب المحافظة على هذه المبادىء والتضحية في سبيل تحقيق استقلال البلاد وحريتها ووحدتها ثم المثابرة منا ومن أعقابنا على التضحية في سبيل تحقيق الوحدة العربية الكبرى ، وعلى الأجنبي ان يأخذ من هذا الماضي العبر الكافية وان يعلم ان الأمة مصممة على بذل ما عزّ وهان في سبيل حقها في الحياة والسلام .

الأزمة الاقتصادية (حديث)

نشرته جريدة الشعب بتاريخ ١٧ تموز ١٩٣٠

حديث اقتصادي لمعالي لطفي بك الحفار

تناولت الازمة الاقتصادية في اليومين الأخيرين شكلا خطيراً ؛ لا سيما بعد ان اعلن كثير من التجار افلاسهم ، وقد اشرنا في اعدادنا الأخيرة الى اهتمام المفوضية بالضائقة الاقتصادية وسؤالها غرفة التجارة عن الوسائل التي يمكن ان تكون عاملا في تفريج هذه الأزمة ؛ ورأينا تجاه هذه العوامل الآخذة بخناق البلاد ان نستطلع علماً من اعلام الوطنية والاقتصاد في سورية ، الا وهو معالي لطفي بك الحفار الذي علمنا انه وضع بنفسه جواب الغرفة التجارية الى المفوضية العليا عن موضوع هذه الازمة ؛ وقد أخذته المفوضية بعين الاعتبار والاهتمام ، فأوفدت « الشعب » احد محرريها ليتحدث الى معالي لطفي بك عن الأزمة وأسبابها ، فاستقبل معاليه محرر « الشعب » بما فطر عليه من اللطف والوداعة وتفضل بالتصريح الآتي :

ان الضائقة المالية الاقتصادية التي تجتازها البلاد اليوم لم تمر بها سورية منذ خمسين سنة . فهي شديدة جداً لدرجة شعرت بها البلاد الداخلية

والخارجية مما جعل المفوضية تهتم بمعالجتها وتلافيها . ولذلك طلبت الى الغرفة التجارية ابداء رأيها في الموضوع فأرسلت الغرفة تقريرها (الشعب : نشرنا خلاصته في أحد اعدادنا الأخيرة) متمنية على المفوضية العمل به . وأرى ان المفوضية لم تشعر بهذه الضائقة الا من تناقص واردات الجمارك فقد بلغ النقص في واردات هذه السنة ما لايقل عن الخمسة وعشرين بالمئة من معدل الواردات في السنة الفائتة . فأمام هذا النقص الكبير شعرت المفوضية « المسيطر الوحيد على الجمارك » بالأزمة الخانقة فأسرعت لبحثها .

س : ما هي أسباب هذه الضائقة ؟

ج : ان الاسباب عديدة لا نستطيع ان نأتي عليها كلها الآن ولكنها تلخص فيما يلي :

اولا : تقسيم البلاد .

والمقصود من هذا التقسيم نسبته الى ما قبل الحرب العامة فقد كانت سورية مورد التصدير الى الاناضول والروملي ، والعراق والحجاز وفلسطين ، تصدر اليها محصولاتها الوطنية وتمر بها المصنوعات والمنسوجات الاجنبية في طريقها الى البلدان المذكورة آنفاً .

ولقد خسرت سورية بعد الحرب العامة هذه الاسواق مع انه كان بالامكان تلافي الامر رغم تقسيم البلاد السياسي .

نعم انه كان بالامكان ان تتلافى المفوضية هذا الأمر بعقد اتفاقات جمركية مع البلدان المذكورة وقد انتبهت الغرفة التجارية لهذا الخطأ فأسرعت ولفتت نظر المفوض السامي للأمر بواسطة لائحة مؤرخة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢١ الى ضرورة عقد اتفاقيات مع باقي الدول المجاورة خوفا من ان يحل محل البضائع السورية غيرها من البضائع

الأجنبية . وقد حدث ما كنا نحذره ونتوقعه فاحتلت البضائع الايطالية الاناضول وأقبل عليها السكان مرغمين لعدم استطاعتهم ابتياع البضاعة السورية.

ثم عندما كنت عضواً في اللجنة الاقتصادية سنة ١٩٢٣ قدمت لائحة طلبت فيها ضرورة الاسراع بعقد اتفاقيات اقتصادية وجمركية مع الجيران وخصوصاً مع العراق وتركيا وفلسطين فوعد بذلك ، غير انهم (المفوضية) قد تأخروا حتى فهموا حقيقة الحالة فلم يقدموا على عقد هذه المعاهدات الا بعد مرور عشر سنوات فعقدوا معاهدة مع فلسطين واخرى مع شرق الادرن التي تطلب اليوم تعديلها لأنها لا تجيز استيفاء رسوم جمركية على بضائع سورية وعلى شرط ان يكون خمسون بالمئة من موادها الأولية سورية ، وهي اليوم تطلب تعديل هذه الاتفاقية بان تدفع البضائع السورية رسوما جمركية بالنسبة الى كمية المواد الاجنبية التي تحويها . وهذا خطأ بين اذ ان اكثر البلدان الاوربية لا تصنع مصنوعات وطنية صرفة . اما مع ايران فلم تعقد المفوضية اتفاقاً ما رغم ارتباط فرنسا نفسها باتفاق جمركي مع ايران ، ويجب الاسراع بعقد هذا الاتفاق مع سوريا ايضاً .

ثانياً : الورق السوري ـ ومن اسباب الأزمة المباشرة اصدار الورق السوري الذي لا يرتكز على أساس ثابت . وقد كانت النتيجة ان اصبح عرضة للتقلبات بين صعود وهبوط فعرّض الاسواق التجارية للخسارة . هذا وتبلغ نسبة هبوطه حتى اليوم خمسين بالمئة من أصل القيمة خسرتها البلاد السورية واللبنانية . ولا أظن ان احداً يتجاهل ان الورق السوري كان سبباً بابتياع الذهب من الاسواق السورية وإصداره الى الخارج .

ثالثاً : الشركات ذات الامتياز ـ ومن جملة الاسباب الشركات ذات الامتياز واستبدادها . فهي غير مراقبة المراقبة الشديدة مما أدى الى

انتهاز هذه الفرصة لابتزاز اموال الأهلين بدون ان تلتفت الى مصالحهم . فيجب والحالة هذه ان توضع هذه الشركات تحت المراقبة فتحدد الاسعار والاجور بما يتفق مع مصلحة البلاد .

رابعاً : المضاربة العالمية ـ وهذا سبب عالمي فقد تهورت الاسواق العالمية بين سنتي ٢١ و ٢٢ وسقطت الأسعار الى النصف مما ألحق باسواقنا التجارية خسائر فادحة ، أضف الى ذلك خسارة البلاد من الاوراق المالية (مارك ، روبل ، كورون الخ...) التي اختزنتها أثناء الحرب خسارة لا تقل عن الثلاثة ملايين ليرة ذهبية .

خامساً : الحكومات السورية

ومن الاسباب المهمة تعاقب الحكومات وعدم اهتمام رجالها بكيفية طرح الضرائب على عاتق المكلفين وجبايتها بشكل يلتئم مع مقدرة هؤلاء المكلفين على الدفع ، وعدم تفكير هذه الحكومات بصرف قسم من موارد الدولة الكبيرة بما يعود بالانتاج النافع . واذا دققنا ميزانيات هذه الحكومات رأينا ان النفقات لا تعود بالمنتج المثمر وهي لا تصرف في هذا السبيل حتى انه لا يوجد حتى اليوم برنامج اقتصادي تسير عليه الحكومات وتنفذ مواده بدقة ، وتنفق على تعاقب السنين بعض موارد الدولة لتشجيع الصناعة والزراعة ومشاريع الري المثمرة وتنشيط الوسائل التي تعمل على إحيائها ونجاحها .

فكل هذه الأسباب سببت سقوط قيم الاراضي والاملاك وقللت من قيمة النقد المتداول بين الأيدي .

س : ماذا يجب عمله لتلافي الأزمة ؟ .

ج : لا شك ان البلاد السورية قد خسرت مركزها التجاري

السابق بالنظر للأسباب المتقدمة ، ففكر رجال العمل وتحولت جهودهم الى الصناعة الوطنية منذ سنة ٩٢٤ فأخذ بعض عمال الصناعة يهتمون بها لتحل محل المصنوعات الاوربية . وكان أول المفكرين العاملين صناع السكاكر ، ولقد كللت مساعيهم بالنجاح فلم يمض غير القليل من الزمن حتى أخرجت معامل السكاكر الوطنية للسوق كل ما تحتاجه فوفرت على البلاد ما لا يقل عن المئتي الف ليرة ذهبية سنويا كانت تذهب الى الخارج ، حلت محلها مواد وطنية وأيد عاملة وطنية ايضاً ، عدا السكر الذي لا تزيد نسبته عن الثلاثين في المئة . وهذا ما يدعوه الاقتصاديون بالصناعة الوطنية الناجحة .

ثم توالى الاجتهاد بالعمل الصناعي فظهرت النتائج بالمنسوجات الحريرية ، الرجالية والنسائية ، على اختلاف أنواعها والتي وضعت على أسس فنية حديثة . هذا فضلا عن صناعة الجلود التي يعود الفضل الاكبر الى معمل « روميه وعمري » الكبير الذي أصبح يسد ثلثي حاجة البلاد . وأخيراً معمل الجوخ الوطني وبقية الصناعات الحديثة .

فالبلاد لا تنجو من هذه الضائقة الا بتحقيق ما يأتي :

١ — العمل المتواصل على تأسيس الصناعات على الاصول الفنية الحديثة وهذا يحتاج الى تأييد وتعضيد المفوضية العليا في اعفاء المواد الأولية التي تحتاجها هذه الصناعة من الرسوم الجركية كما هي الحالة في فلسطين وذلك لتخلص الصناعة الحديثة من مزاحمة الصناعة الفلسطينية الصهيونية . وإني أرى ان هذا الاساس جوهري جداً لتشجيع الصناعة ومقاومة الأزمة الحاضرة .

٢ — اما الوسيلة الاخرى فتنشيط الزراعة وتأسيس اعمال الري

تأسيساً حديثاً ، عملياً لانظريا ، لأجل استثمار الاراضي الواسعة المهملة غير المستفاد منها .

٣ — تنزيل الرسوم الجمركية الى الحد الذي يلتئم مع حالة البلاد وتخفيف هذه الضرائب الباهظة التي تتقاضاها الحكومة المحلية تحت اسماء ومظاهر شتى والتي لا تتفق مع وضعية البلاد الاقتصادية ومقدرة الأهلين على الدفع . وقد أجمع علماء الاقتصاد على ان الضرائب اذا بلغت حداً يتجاوز مقدرة المكلفين ، وصرفت في غير مصالحهم وأغراضهم تكون النتيجة السريعة افلاس المكلف ، والارتباط بين خزينة الدولة وثراء الشعب ضروري ومن أهم العوامل الاقتصادية لاستقامة الاحوال المالية .

وكيف نستطيع ان نوفق بين تخفيف الضرائب وتأمين خزينة الدولة ؟

انا اعتقد ان ميزانية الدولة اذا وضعت بشكل يتلاءم مع مصلحة الشعب وحاجة تشكيلات الدول الأساسية والابتعاد عن سياسة الارضاء التي ترهق الخزينة العامة بما يربو على ربع مواردها ، واذا كانت ادارة الاعمال بيد الاكفاء المخلصين المهتمين بخدمة المصلحة الحقيقية فالتوفيق سهل حينئذ بين مقدرة المكلفين وحاجة الخزانة الحقيقية . وهنا مجال واسع للبحث عسى ان نعود اليه في فرصة اخرى .

مشروع عين الفيجة في مراحله التاريخية

نشر في جريدة (النداء) البيروتية الصادرة
بتاريخ ١٢ آب ١٩٣٠

مشروع عين الفيجة ، وبعبارة أصرح إسالة مياه عين الفيجة بحفر الانفاق العظيمة في الجبال ثم بشبكة واسعة من القساطل الحديدية الى دور المدينة وأحيائها من أجلّ المشاريع وأعظمها فائدة للبلاد صحياً واقتصاديا وعمرانياً ، قامت به لجنة أهلية وطنية حتى تم لها تحقيق الجزء الاول منه ، او قل الجزء المهم فيه فحفرت الانفاق تخترق الجبال ، وبنتها بالاسمنت المسلح وبنت الاحواض والخزانات الضخمة ، وبذلت في ذلك جهد الجبابرة واخلاص العامل الامين .

اغتنم حضرة الدكتور ابراهيم صبري افندي المولوي فرصة الذكرى النبوية فدعا الى داره فريقاً من وجوه البلد وسراتها وأهل الرأي والاموال احتفاء بذكرى المولد الشريف واظهاراً للابتهـــاج والغبطة بوصول ماء عين الفيجة الى دور المشتركين في المهاجرين ومنهـا دار حضرته وليكون من هذا الابتهاج والغبطة واسطة تقدير وتشجيع لعمل اللجنة المحترمة القائمة على المشروع وهي تحفظه وترعاه وتمشي بـه الى الغايات النبيلة التي سجلت له في قانونه .

وبعد قراءة قصة المولد خطب في القوم الاستـاذ جودت افندي المارديني باسم صاحب الدار شاكراً تلبية الحاضرين دعوته مرسلا الثناء الى لجنة عين الفيجة واعضائها الكرام الذين خدموا المدينة بمشروعهم

وإخلاصهم له خدمة جليلة لن يقدرها غير اولئك الذين كانت دورهم في المهاجرين وغيرها محرومة من المياه وجرت الآن فيها تملأ الدور حياة ورونقاً.

وطلب الكلام من حضرة الاستاذ لطفي بك الحفار واضع فكرة المشروع والرجل الذي وقف جهوده ومساعيه على تحقيقه وإتمامه واحتمل لأجل ذلك ضجة بعض الذين لا يردعهم ضمير ولا وجدان فما صرفه هذا عن المضي في المشروع الذي هو ابن فكرته النيرة ولم يثنه هذا الهزل عن الهزء بهذه الصدمات يمر بها حتى أتيح له سماع ذلك الثناء تلهج به ألسنة جمهرة كبيرة من أعيان البلد ووجوهها، نسائها ورجالها .

فوقف حضرته وارتجل الكلمة التالية :

سادتي :

في مثل هذا الشهر من عام ١٩٢٢ قدمت الغرفة التجارية بدمشق تقريراً مفصلا تطلب فيه امتيازاً بمشروع اسالة مياه عين الفيجة الصافية النقية الى دور البلد ضمن شروط وبنود وضعتها الغرفة التجارية على ان يكون الامتياز باسم بلدية دمشق وعلى أساس اشتراكي تعاوني وقدم الطلب الى حكومة حقي بك العظم يومذاك .

وقد دامت المخابرات بين حكومة دمشق والمفوضية من ناحية وبين الغرفة التجارية من ناحية ثانية مدة سنتين اثنتين، ولم يفل طول المدة في عزيمة رجال الغرفة على تحقيق المشروع الى ان نالت الامتياز وصح لها القيام بذلك المشروع الخطير .

وأذكر جيداً انني حينما تقدمت بطلب هذا الامتياز الى البلدية وطلبت تأليف لجنة فنية لدرس المشروع من الوجهة الفنية والاقتصادية والقيام بعرض أسهمه (امتاره) والاكتتاب لها حسب قانون الامتياز ،

كان بعضهم يهزأون ويضحكون ، غير ان قوة الايمان والثقة بفائدة المشروع للبلد وصحته واقتصادياته خلقت فينا ارادة لا تفل ومكنتنا من التغلب على هذه الابتسامات الهازئة وقلنا ان يوم تحقيق المشروع غير بعيد فيضحك يومذاك من يضحك ويبكي من يبكي .

اذكر هذه الحقيقة لمكانة العبرة فيها وللتدليل على ان النيات اذا حسنت وصلحت والعزائم اذا صدقت تذلل الصعاب ، وليس الآن مجال لذكر هذه العثرات التي ناهضت المشروع من ابتداء تحقيقه والجهود التي بذلت لتخليصه من أنياب الشركات الاجنبية التي جاءت الينا بقوى منظورة وغير منظورة الاستئثار بالمشروع واعطائها اياه بل نترك ذلك الى فرصة يتقاضانا فيها التاريخ ذكر ذلك تفصيلا .

وسأقتصر الآن على ذكر اعمال هذا المشروع الفنية وتفصيلها لكم بقدر الامكان لتأخذوا صورة موجزة عنه ، ذلك لأن الحصول على صورة حقيقية للمشروع والاحاطة بعظمته وضخامته ونفعه للبلد لا تتسنى الا لمن زار الانفاق والخزانات وشاهد الاعمال الفنية الدقيقة التي قام بها مهندسونا الوطنيون وحدهم .

سادتي : قد تم الى الآن اختراق ستة عشر كيلو متراً في الجبال وتتراوح أطوال هذه الانفاق بين الألفي متر الى الستمائة متر لها تسعة وثلاثون منفذاً ، بدأ العمل في هذه الانفاق في ساعة واحدة ودقيقة واحدة وعمل مهندسونا باسم الله ولخدمة مصلحة البلد في أمكنة متعددة وجرت الاعمال الفنية تحفر الانفاق وتخترق الجبال وقام العمل يزيده الاخلاص والثقة بالنفس قوة يكلل هذه المساعي بالعزيمة والثبات الى

ان انتهى العمال والمهندسون من حفر الانفاق وتلاقت جميعها في سمت واحد واتجاه في دقيق زادنا ثقة بتوفر العناية على رعاية هذا المشروع العظيم .

ثم بوشر باكساء وبناء هذه الانفاق بالاسمنت المسلح فتم من ذلك الى الآن ١٢ كيلو متراً ونيف والعمل ما زال متواصلاً لاتمام بناء الباقي وهو لا يتجاوز أربعة كيلو مترات .

ومن الاعمال العظيمة التي تمت في هذا المشروع عمل مزلق المياه (سيفون) في دمر ويبلغ طوله ٤٠٠ متر وعمق الوادي الواقع فيه ٤٠ متراً وقطر هذا المزلق مئة سانتي وقد بني هذا السيفون بعد دراسته دراسة فنية دقيقة من حيث البناء وسماكة الحديد وكمياته وطرق تركيبه بشكل يستوقف الأنظار حقاً وهو ولا شك مفخرة لمهندسينا الوطنيين وقد بني منفذ لهذا المزلق يشكل جدولا صغيراً ليكون وسيلة الى تطهيره من المياه التي قد تتراكم فيه طوله ١٥٠ متراً وهو يصب في نهر بردى بدمر .

كما انه قد تم الى الآن بناء الجسور اللازمة للمشروع تصل بين الوديان التي تتلاقى في أعاليها الانفاق المحفورة وهي ثلاثة جسور بنيت بالاسمنت المسلح يتراوح طولها بين الاربعين متراً الى التسعين ، مدت فوقها الاقنية ، والجسر الرابع يبنى الآن وطوله أربعون متراً في حي المهاجرين بمنتهى القناة . كما انه بني ثلاثة خزانات كبيرة الاول في منتهى قناة المهاجرين يستوعب خمسة آلاف متر مكعب والثاني في الصالحية بارض الفواخير ويستوعب الفاً وخمسمائة متر مكعب والثالث في أعلى جبل قاسيون بالمهاجرين ويستوعب ٥٠٠ متر خصص لارواء دور المهاجرين .

ولم يبق علينا الآن من الاعمال غير بناء حوض الورود في نبع

الفيجة والعمل قائم فيه بمنتهى الجد والاتقان والحزم وهو عمل فني كبير ، وكذلك اكساء بقية الانفاق كما تقدم بيان ذلك وهي لا تتجاوز الاربعة كيلو مترات .

وسينتهي العمل في الخزانين الكبيرين بعد شهر ونصف على الاكثر وتنتهي الاعمال الفنية للمشروع كله مع توزيع شبكة المياه الى دور دمشق وأحيائها ودور المشتركين التي بدىء بهـا منذ ثلاثة اشهر في حي المهاجرين وبعد خمسة اشهر ستكون نهاية اعمال هذا المشروع العظيم الذي يحمل الى المدينة ماء صحياً نقياً هو ملك المشتركين الأبدي .

تلك هي الاعمال الفنية التي بسطت لكم أنواعها بايجاز وقد كانت موضع اعجاب ودهشة جميع المهندسين في البلاد المجاورة وبعض مهندسي الافرنجة ايضاً الذين جاؤوا لمشاهدتها ودرسها ، ويعتقد هؤلاء جميعاً ان هذا المشروع من اعظم المشاريع الهندسية الكبرى ليس في الشرق فحسب بل في الغرب ايضاً ، ويمكنني القول بان هذه الاعمال لم يحصل فيها اي خطأ فني او عملي كما ان الاشراف عليها من قبل الهيئة الفنية الوطنية كان اشرافا حسناً مملوءاً بالنزاهة وحب الاتقان وحسن التطبيق .

الموقف المالي :

اما الموقف المالي في المشروع فقد صرف له في هذه الاعمال الى الآن ١٦٠ الف ليرة ذهباً ويحتاج المشروع ليكون تاماً الى ستين الف ليرة عثمانية ايضاً ، كان ينقصنا منها ثلاثون الف ليرة ذهبية وهي التي تم الاتفاق بيننا وبين المالية على عرض الف متر بقيمة السعر الأصلي الذي بيعت به الامتار الاولى اي ثلاثون ليرة عثمانية للمتر الواحد

وقد اكتتب الأهلون حتى الآن من اصلها بسبعمائة متر ولدى اللجنة الآن بقية الألف وهي لا تزال مفتوحة للاكتتاب في تاريخ ١٥ الشهر الجاري .

وانا اعتقد ان من مصلحة كل ملاك وكل دمشقي يحب خدمة نفسه وبلده ان يتقدم للاكتتاب بالامتار الباقية ولا بد من لفت أنظاركم الى نقطة هامة تتعلق بقيمة الامتار المعروضة فان الامتياز الذي أخذناه ينص على ان قيمة الامتار التي تباع توزع على نسبة خمسة آلاف متر وكان الدرس الفني الابتدائي لهذا المشروع على ان قيمة اكلاف المشروع جميعها لا تتجاوز المئة وخمسين الف ليرة ذهباً فصارت قيمة المتر على هذه النسبة ثلاثين ليرة عثمانية ولكنه ظهر حين تطبيق الاعمال ان المشروع سيكلف زيادة عن القيمة المخمنة سبعين الف ليرة ذهباً والسبب في ذلك انه كان من المفروض بناء ثلث الانفاق والاستغناء عن بناء الثلثين اللذين قدر ان صخورها ستكون صلبة فظهر بعد الحفر والعمل ان تعرض الانفاق للهواء لن يحفظ لها متانتها وقوتها المقدرة ولذلك اضطررنا لبنائها كلها بالاسمنت المسلح فكانت الزيادة من هنا تقدر باربعين الف ليرة عثمانية ذهباً .

كما ان حفر الصخور الصلبة بالوسائل الميكانيكية الفنية كلفت المشروع بعد الدرس الدقيق والتجارب الفنية زيادة عشرين الف ليرة ذهبية ، وبناء حوض الورود بشكل جيد متقن يحفظ المياه من جميع الاخطار وتوسيع شبكة القساطل في المدينة سيكلف زيادة عشرة آلاف ليرة ذهبية ، فأصبح من هنا ان نسبة تكاليف المتر الواحد بالنسبة للأمتار المباعة وهي اربعة آلاف متر تربو على ضعفي القيمة التي بيع بها المتر

الواحد السابق والتي لا يزال مطروحا للبيع منها زهاء ثلاثمائة متر . ولا مجال هنا للتساؤل عن كيفية عرض الامتار بهذه القيم لأن القيم التي استدانها هذا المشروع من الحكومات المتعاقبة ستوفى من بيع الامتار التي أخذتها وزارة المالية ضمانة على قروضها وقدرها ثلاثة آلاف متر .

واعتقد انه بعد وصول المياه الى الدور بثلاث او اربع سنوات على الاكثر ستسدد هذه القروض مع فوائدها وارباحها لأن هذه الامتار ستباع بخمس وأربعين ليرة ذهبية وحاجة مدينة دمشق ماسة وشديدة الى اكثر من كمية الماء التي ابتاعتها حتى الآن .

وبعد تسديد هذه القروض سيكون لهذا المشروع مورد سنوي من بيع الامتار التي تلزم المدينة وهي غير الامتار التي تملكها الحكومة والموارد التي ستأتي من بيع امتار المياه ستنفق على اعمال المشروع الاضافية وتوسيع شبكة القساطل وهكذا ترون هذا المشروع مشروعاً اهلياً تعاونياً ، وهو لفائدة المدينة صحياً وعمرانياً واقتصاديا وليس فيه ادنى فكرة تجارية او استثمارية .

خطاب فخري بك البارودي

ولما انتهى حضرته من خطابه جلس بين التصفيق الشديد ، وقام على الاثر الوطني المعروف فخري بك البارودي والقى كلمة ثناء وتشجيع لهذا المشروع الوطني العظيم وحث القوم على ابتياع الاسهم والامتار وتناول الصناعات الوطنية وضرورة تشجيعها بالاقبال عليها واقتنائها وألمع الى ميثاق الاقتصاد الذي هو وحده سبيل نجاح البلاد وتوسيع نشاطها الاقتصادي وحفظ اموال البلاد في البلاد فصفق القوم له كثيراً .

خطاب الارمنازي

ونهض الاستاذ نجيب الارمنازي والقى خطابا قيما تناول فيه هذا المشروع الضخم بالثناء والحمد ووجه الشكر لاعضاء اللجنة وقال ان هذه الساقية التي اشترعوها في دمشق هي التي كونت عند اصحاب رؤوس الاموال فكرة المشاريع العامة والتعاون عليها ومنها مشروع الشمينتو وغيرها . وانفض القوم شاكرين معجبين .

ثم ذهب فريق منهم الى نفق المهاجرين ، دمر ودخلوا ضمنه وهو منار بالكهرباء لعرضه على الناس ليروا كيف ان اعمال المشروع سائرة سيراً حسناً وان المشرفين عليه من كرام الرجال الوطنيين ساهرون يقظون ، وهم يقومون بعملهم هذا دون اجر او تعويض . ولذلك كان اعجاب المفتشين الافرنسيين الذين أرسلوا الى تفتيش اعمال المشروع من الوجهتين المالية والفنية كبيراً جداً وخاصة بسبب قلة النفقات العامة وحسن الاعمال ونزاهة الأيدي المشرفة على تنفيذ اعماله الكبيرة . وقد تكرر ارسال هؤلاء المفتشين علهم يجدون ثلمة ينفذون منها لعرقلة اعمال المشروع ولكنهم كانوا يضطرون دوماً للاعتراف بحقيقة الواقع مع الاعجاب والاكبار .

نقاوم الاحتكار لاجل مصلحتنا

نشر في جريدة (القبس) بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٣٠ في اجتماع عام عقدته نقابة عمال (البندرول)

لا شك ابداً ان الذي دعاكم لعقد هذا الاجتماع هو ما تشعرون به من وجوب اتفاق الكلمة وتوحيد الرأي في عملكم التجاري الاقتصادي . ولا شك ابداً ايضاً انكم تقدرون قيمة النقابات التي تعمل لخدمة المصلحة العامة وفائدتها الكبيرة لاصحابها والقائمين بها وقد علمت انكم باجتماعكم اليوم قد وقع انتخابكم على فئة صالحة صادقة من رجالكم لمطالبة الحكومة بتعديل بعض نصوص قانون (البندرول) التي ترونها مجحفة بحقوقكم ، وانا على مثل اليقين انكم اذا ايدتم هؤلاء الذين وقع اختياركم عليهم وكنتم من ورائهم صفاً واحداً حققتم ما تريدونه وتطلبونه لا سيما وان معظم هذه الاشياء التي تشكون منها ليست ذات بال ولا يمكن لحكومة مهما كانت لا تبالي بدرس هذه القضايا الاقتصادية الهامة ، الا أن تشعر بواجبها لتلبية طلباتكم العادلة .

ويهمني الآن ان ابحث معكم في شأن خطير يتعلق بكم وبجيوبكم واموالكم وتجارتكم .

حدثني بعضكم برغبتهم في تأسيس شركة كبيرة لصناعة الدخان تقوم على اساس اجماع الشركات او معامل الدخان التي أنشئت في دمشق وتوحيدها كلها بشركة مساهمة واحدة على ان تعرض قسما من

اسهمها على عامة الناس ليتسنى لكل منكم ولمن يريد من ابناء البلاد الاشتراك والعمل بهذه الشركة الوطنية الكبرى وبذلك تتمكن من القيام بما تدعو اليه هذه الصناعة العظيمة من الاتقان في العمل والاعتدال في الاسعار، وبعد البحث الطويل اتفقت معهم على ان مثل هذا الطريق هو أنجح وآمن طريق يسلكه ارباب هذه الصناعة وانا اعتقد انكم ستحققون هذه الفكرة الجيدة اذا حسنت نياتكم واتفقت كلمتكم وانتم تعلمون اننا لم نقاوم شركة حصر الدخان (الريجي) لأجل ان يحل محلها شركات اجنبية اخرى تتمكن من السيطرة على الاسواق وحصر هذه الصناعة بها وهي تهدد وتتوعد بقوتها المالية والصناعية كما تدعي. لقد حاربنا الحصر وأظهرنا فوائد الحرية على قاعدة الطوابع (البندرول) لاجل ان يتمكن ابناء البلاد واصحاب الاموال فيها من تأسيس صناعة الدخان وتجارته وزراعته ونحن في مثل هذه الازمة الاقتصادية الخانقة ولتقوم البلاد بعمل يعد من اربح الاعمال واروجها في بلاد العالم.

ولقد قلت وكتبت حينما بحثت منذ بضعة اشهر في موضوع التفاضل بين الحصر والحرية انه لا يمضي على هذه البلاد سنة الا ويتأسس فيها شركات ومعامل وطنية اصناعة الدخان وتجارته وزراعته وها ان الايام قد حققت ظني وقوة ايماني وقد ظهر في الميدان قبل مرور السنة معامل انشئت حديثاً وشركات وطنية بدأت تعطي الاسواق أجود الدخان وأطيبه مع الاعتدال في الاسعار. فهذه الاسواق والمحلات تملؤها مصنوعات الشركات الوطنية السورية واللبنانية ومصنوعات لبنان معروفة لديكم ولدى المدخنين بكثرة انتاجها وحسن مصنوعاتها، وهذه ايضاً مصنوعات اللاذقية وحلب وغيرها، كل هذه مصنوعات وطنية جيدة من

واجب كل منكم ان يسعى لترويجها وانتشارها وانا على اعتقاد تام ان كلا منكم يعتقد بهذا الواجب ويقوم به ويسعى في سبيله .

اما شركة (ماتوسيان) تلك الشركة الاجنبية المحضة التي لم تنشأ ولم تذعن لرأي الذين حادثوها وحادثتهم وفاوضتهم وافهموها اين تكون مصلحتها بوجوب طرح اربعين في المئـــة من اسهمها للوطنيين وان تستخدم على الاقل في المئة ٩٥ من العمال الوطنيين ابناء العرب الناطقين بالضاد وان تقرض المزارعين الذين تصلح اراضيهم لزراعة الدخان ما يساعدهم على زراعته وترشدهم بواسطة اخصائييها الى حسن واتقان هذه الزراعة . وبعد ان علمت ان هذه شروط الوطنيين أبت واستكبرت ثم سعت لدى الحكومة التي لم تقم بواجبها في الزامها بمثل هذه الشروط وباشرت اعمالها وطرحت مصنوعاتها واقبل عليهـــا الناس بالنظر لقلة الدخان بين الايدي وهم يظنون انهم سيتمتعون بدخان جيد واسعار معتدلة ثم ظهر لهم نقيض هذا ثم اتضح ايضاً عدم استخدام العمال الوطنيين وعدم قبول فكرة عرض الاسهم للاشتراك بها فاصبحت حرباً على هذه الصناعة وابناء البلاد وعلى مصالحهم مثل هذه الشركة التي لا تستفيد منها اموال البلاد ولا ابناؤها ومزارعوها الا الضرر والغبن يشعر كل عامل ومزارع بواجبه نحوها .

اريد ان اعلن هنا وانا في موقفي هذا وبصفتي رجلا يقدر موقف بلاده المالي والاقتصادي ويدرس ما يتعلق بهذه القضايا بالنسبة لاحوالنا التجارية والصناعية اننا لا نحارب الرأسمال الاجنبي واننا نفهم الفوائد التي تعود على البلاد من استخدامه وان من القواعد الاقتصادية المقررة

نظريات التبادل الدولي وتضامن رأس المال والعمل وحرية المقايضة ونظام الحماية الى ما هنالك من ابحاث اقتصادية دقيقة لا مجال للتبسط بها الآن غير اننا نطلب ان يكون استخدام هـــذا الرأسمال الاجنبي بقواعد وشروط تلائم مصالحنـا التجارية والزراعية وتضمن استفادة العـامل والصانع والتاجر والمزارع الوطني ومشاركة الأجنبي بارباحه وغنائمه على أسس هذه القواعد الاقتصادية ؛ اما أن يترك له الحبل على الغارب ونحن على ضعفنا وفقرنا فلا يقول بهذا أبله او أحمق .

ان امم الارض التي تتمتع باستقلالها وسيادتها لها من قوانينهـا وانظمتها وقوتها ما يضمن حقوق ومصالح أممها وصناعتهم وتجارتهم بالنسبة للرأسمال الاجنبي ، اما نحن في وضعنا السياسي الحاضر وفي وسط هذه الفوضى وعدم استقرار امورنا فمن يضمن لنا هذه الحقوق ومن يوقف الاجنبي عند حده ويدعوه لاحترام حقوق ابناء البلاد ومراعاة مصالحهم ونحن نرى اعمال هـــذه الحكومات التي تجازف باعطاء الامتيازات والاجازات للشركات الاجنبية بدون أدنى ضمان او احتياط .

نحن الوطنيين نقدر حالتنا الماليـــة والاقتصادية ولا نجهل منافع الرأسمال الاجنبي ولا نضع امامه العقبات والعراقيل أقول هذا وأعلنه على الملأ ولكن على شرط ضمان حقوق ابناء البلاد وتأمين منافعهم ولا نطلب الا حقاً .

لم أجد بداً من الخوض قليلا في هـــذا البحث الدقيق لئلا تتهم بالجهل او الطيش او التطرف في مثل هذه المواضيع الاقتصادية ايضاً . وعليكم ان تدققوا في حالتكم وفي هذا الضيق الاقتصادي الشامل وفي تشجيع ما يعود عليكم بالربح والخير ، وهذه مصانع الدخان السورية على

رغم حداثتها قد اثبتت مقدرتها على العمل الجيد والانتاج المتقن وهذه مصنوعات البلاد السورية جميعها ساحلها وداخلها تكفيكم وتسد حاجاتكم فعليكم بالاقبال عليها ومشترى منتوجاتها الجيدة . وكلمتي الاخيرة اليكم الثبات في العمل والحذر من تغرير وتضليل وسطاء السوء وانتم ارباب الفتوة والشهامة والوطنية الصحيحة .

ومدينة دمشق المعروفة بروحها الجبـــارة ووطنيتها المتقدة وكلمتها الموحدة لا سيما في الحوادث الجلى والمواقف الخطيرة ستقوم بواجبهـا مع بقية المدن السورية فيما يتعلق بتأسيس هذه الشركة الصناعية التجارية الكبرى وستعملون جميعاً لترويج انتاج مصنوعات الدخان الوطني الذي يقوم برأسمال البلاد ويعمل بايدي ابنائها وجهود تجارها ورجال الصناعة فيهـا .

في حفلة افتتاح بنك مصر . سوريا . لبنان

نشر في جريدة (القبس) بتاريخ ٣
تشرين الثاني ١٩٣٠

خطاب حضرة صاحب المعالي الاستاذ لطفي بك الحفار
في حفلة افتتاح (بنك مصر ، سوريا ، لبنان) في دمشق

في سنة ١٩٢٤ حينما زار مدينة دمشق لأول مرة المالي الكبير طلعة بك حرب التف حوله المعجبون به وباعماله وكنت من جملتهم وكنا نتتبع اعمال (بنك مصر) ونقف على مبلغ تقدمه ونجاحه بالاعجاب والاكبار ورأينا ان الواجب يقتضينا القيام بحفلة تكريمية كبرى لهذا الرجل، وقد قمنا بها بدار المجمع العلمي العربي بمعاونة الاستاذ كرد علي وكنا نقصد من هذا تكريم الاعمال الكبيرة التي قام بها هذا الرجل الذي يدعي بحق مؤسس النهضة الاقتصادية في هذا الشرق ومثال الجد والنشاط والاعمال الحسنة التي تدعو للقدوة الحسنة وكانت آمالنا منصرفة لدعوة العاملين للسير على هذا المنوال واحتذاء هذا المثال وقد حققت الايام الأمل وها هو يقوم مع اخوانه وأعوانه من أكارم المصريين ورجال المال والاعمال في البلاد السورية بتأسيس « بنك مصر ، سوريا ، لبنان » وها اننا نحتفل بفتح فرع هذا المصرف في دمشق اليوم . والبلاد في مثل هذه الأزمة الاقتصادية العامة وهي في أشد الحاجة الى من يعاونها على اجتياز هذه العقبات الكأداء

وفي مثل هذه الحال تقوم هذه النخبة الصالحة من رجال المال والاعمال في مصر وسوريا ولبنان ويساعدهم قسم كبير من ابناء البلاد بهذا العمل الذي لا نبالغ اذا قلنا عنه انه من أهم الاعمال المالية الذي تمت في الحقبة الاخيرة .

ولا سبيل لهذا الشرق اذا أراد النهوض الاقتصادي الا بمتابعة خطا الغرب في الاعمال المالية والاقتصادية والسير بها على الاصول الحديثة .

ونحن اذا رحبنا كثيراً وصفقنا لهذا العمل فانا نرحب بالاساس المتين لبناء نهضتنا الاقتصادية الحديثة وننتظر ان يكون « بنك مصر ، سوريا ، لبنان » مشجعاً للاعمال المالية الكبيرة وان يحذو حذو بنك مصر في ان لا يقتصر على اعمال التسليف والاقراض بل ان تتعدى أعماله لمعاونة المؤسسات الاقتصادية النافعة والشركات المساهمة . وهذه الشركات العديدة التي قام بتأسيسها وتشجيعها (بنك مصر) أمثال شركة الورق ومطبعة مصر ، والشركات المساهمة لحلج الاقطان وصيد الاسماك والنقل والملاحة ، والشركة الكبرى للغزل والنسيج وغيرها من الشركات التي يشعر بالحاجة اليها أبناء البلاد ، هذه الشركات المتعددة أعظم مثال للفوائد الجلى التي تجنيها بلادنا من امثال هذه المؤسسات المالية النافعة وقد كان هذا المصرف من المؤيدين لها والقائمين بها .

ونحن لا نستعجل الزمن ونترك للايام ان تفعل في تكوين قوة التكامل في الاعمال ولا نطلب المستحيل الآن من هذه المؤسسة كما اشار الى ذلك الاخ سعادة طلعت بك .

ولكننا نعقد اعظم الآمال على المصرف وعلى رجاله القائمين به والمشرفين على ادارته والمستقبل خير كفيل بتحقيقها .

ولا نشك أبداً في ان (بنك مصر ، سوريا ، لبنان) سيكون القدوة الحسنة في حسن الادارة والدقة في العمل والاستقامة والامانة وتدريب أبنائنا على العمل المنتج ، ويكفي ان يكون رائد هذه المؤسسة المالية الكبرى خدمة الخير العام كما صرح بذلك طلعت بك حرب في خطابه المتقدم وان هذا البنك بنك قومي وطني يدار بأيدي أبنـــاء البلاد وبأموالهم ولغتهم .

ورجال مصر الشقيقة التي كانت قدوتنا في جميع منـاحي الحيـاة هؤلاء الرجال مع اخوانهم السوريين تآزروا معهم للقيـام بهذا العمل الكبير قد أسدوا لهذه البلاد خدمة عظيمة بافتتاح هذا المصرف الذي سيكون من أعظم وسائل الانتاج والعمل المثمر ان شاء الله والسلام عليكم .

علاج الأزمة الاقتصادية

نشرت في جريدة (النداء) البيروتية بتاريخ
٢١ تشرين الثاني ١٩٣٠

« حماية المرافق الوطنية »

طلبت مديرية الزراعة والمصالح الاقتصادية الى حضرة الاقتصادي المعروف لطفي بك الحفار ـ نائب دمشق ونائب رئيس الغرفة التجارية في دمشق ـ ان يوافيها برأي الغرفة عن الطرق التي تراها موصلة لتخفيف الضائقة المالية المستولية على هذه البلاد. فكتب اليها الجواب التالي :

ليس بخاف ان العالم بأجمعه يتألم اليوم من ازمة اقتصادية خطيرة آخذة بخناقه وتأثيرها ظاهر في سائر انحاء البلاد من هبوط الاسعار وتقلقلها واضطراب الاسواق الصناعية والتجارية وازدياد عدد العاطلين والخسائر الفادحة التي لحقت باصحاب المعامل وأرباب الاعمال . ويعزو البعض هذه الأزمة الى زيادة بالغة في الانتاج ويقول آخرون ان التبذير والاسراف كان ايضاً لهما الشأن الاكبر بعد الحرب الكبرى في هذا البحران الذي تتخبط الآن في عبابه الشعوب وان الدواء لذلك الداء هو الاعتدال او الرجوع الى حالة طبيعية هادئة .

وليس علينا الآن ان نبحث في هذا المقال الشؤون العالمية العامة التي لا نتبرم منها بقدر تبرمنا وشكوانا من داء موضعي مستحكم وأوصاب محلية كان في المقدور مكافحتها واستئصال شأفتها فيما لو أعار القائمون بالامر انتباهاً واهتماما لصيحات ارباب المتاجر والاعمال الذين يشعرون

بالوجع ويخلصون لبلادهم وهم اعرف من غيرهم بادوائها وطرق معالجتها .

نعم لقد كان في الامكان تلافي بعض هذا العسر المالي وهذا الجمود المخيف اللذين نراهما ضاربين سدولهما المظلمة على اسواق هذه البلاد التعسة .

كان نتاج صناعاتنا ومزروعاتنا يصدر الى الأناضول والعراق وسواهما فنصبت الحواجز الجمركية ووضعت العراقيل في سبيل هذه العلاقات وكانت النتيجة اننا خسرنا تلك الاسواق او بعضها فأصيبت حركتنا بالشلل والانحطاط ناهيك عن اهمال حماية المصنوعات عندنا الحماية الكافية المبتغاة .

اما زيادة الضرائب على المسقفات والتمتع وما شاكلها وزيادة رسوم فراغ العقار ورسوم المحاكم لا سيما فداحة ضريبة الدخولية الثقيلة التي لم تكن لتعرفها هذه البلاد ، كل ذلك قد أثر التأثير السيء على اقتصادياتها وقيم عقاراتها فأضعف قواها وأنهك ماديانها . قلنا ولا نزال نقول ونعتقد انه من الممكن مداواة هذه العلل الموضعية التي ذكرناها اذ قد يسهل جداً على الطبيب بعد تشخيص الداء التوصل الى الشفاء ولكل داء دواء .

وما دواء أمراضنا الاقتصادية المحلية التي سبق عرضها الا بيد اولي الحل والعقد الذين عهد اليهم الأخذ بيد البلاد في طريق السداد والتقدم . والمعالجة بحسب رأينا تتلخص فيما يلي :

١ — ابرام المعاهدات التجارية مع البلاد المجاورة او بالحري تعديلها بشأن تسهيل التبادل الصناعي والزراعي بصورة موافقة تضمن مصالح البلاد والاعتماد على آراء الخبراء من أبناء البلاد حينما تجري الابحاث بوضع الاتفاقات الجمركية بين البلاد المشمولة ... « بالاحتلال » الافرنسي

وبين البلاد المجاورة والممالك الاجنبية دفعاً للاضرار التي تنزل بالبلاد من جراء الاغلاط والخطيئات التي طالما شعرت البلاد باضرارها لعدم معرفة القائمين بعقد هذه الاتفاقات باحوال البلاد التجارية والصناعية والزراعية معرفة تامة ينتبهون بواسطتها لما يجب ملاحظته وتقريره لمنفعة صادراتنا ومصنوعاتنا ومنتوجاتنا واحترام آراء وملاحظات مندوبي الغرف التجارية في جلسات وضع التعريفة الجمركية والاهتمام بانفاذ مقترحاتهم والاقلاع عن الطريقة التي تجري عليها الآن ادارة الجمارك العامة من جعلهم امام امر واقع لا يبدون فيه ولا يعيدون ولا يفسح لهم المجال لابداء ملاحظاتهم وآرائهم مما جعل بعض اعضاء الغرف التجارية لا يجيبون دعوة الحضور الى هذه الجلسات .

٢ — حماية المصنوعات والمحصولات الوطنية اي بان تزاد الرسوم الجمركية على الاصناف الواردة من الخارج الممكن عملها او عمل ما يماثلها في البلاد لا ان تنقص بالعكس تلك الرسوم كما حدث مؤخراً على اصناف الجلود والصابون مما جاء ضربة قاسية على معاملنا الوطنية .

اما الوارد من القمح والدقيق الأجنبي فيجب ايضاً زيادة المكوس عليه حماية لمنتوجاتنا الزراعية على اختلاف انواعها والتي تباع الآن باقل من كلفتها . ويمكن ان يستثنى من ذلك دقيق القمح الهش الذي يصنع منه الخبز الفاخر والمعجنات . ويجب ان يعلم انه لا يجوز ادخال صنف الطحين الاسترالي في هذا النوع .

٣ — تخفيف الضرائب المتنوعة عن كواهل اصحاب الصناعات والمزارعين والتجار ليتسنى لهم القيام باعباء اعمالهم الشاقة لا سيما في

هذه الاوقات الصعبة . والغرفة التجارية تلفت أنظاركم الى تقريرها الدقيق الذي قدمته الى المراجع الايجابية عام ٩٢٢ عن الضرائب وفداحتها وتاريخها ووجوب تعديلها وعلاقتها بالاحوال الاقتصادية الحاضرة لمعرفة الغاية بهذا الموضوع .

٤ — تنزيل الضرائب عن المسقفات ورسوم الفراغ بحيث ان زيادتها وكثرتها أدت الى اضعاف حركة البيع والشراء والى تثبيط همم الراغبين بالاستملاك والانشاءات الجديدة .

٥ — الغاء ضريبة الدخولية الفادحة التي ضج منها ومن طريقة حمايتها وترتيباتها الاهلون على اختلاف الطبقات . وقد تقدم بذلك قبلا تقارير ضافية من الغرفة التجارية .

٦ — تعديل التعرفة الجمركية فان رسومها الحالية المرتفعة تضعف وتؤخر لا محالة الحركة التجارية والاوفق جعلها مماثلة للتعرفة الجاري التعامل بها في فلسطين وبالاخص فيما يتعلق ببقية المواد الاولية للصناعات الوطنية وذلك ايضاً منعاً للمزاحمة .

٧ — وضع القيود الكافية لمنع اخراج الذهب من البلاد السورية والعمل على استبقاء البقية الباقية منه وهو أساس الثقة في التعامل والاطمئنان في سعة المبادلات فقد منيت البلاد السورية بالوسطاء العديدين والطرق المختلفة لمشترى الذهب الموجود في الاسواق التجارية وشحنه الى الخارج وترك الحبل على الغارب بهذا الموضوع يؤدي الى أوخم العواقب .

اما اذا قيل بان طرق هذه المعالجة من شأنها ان تقلل واردات الحكومة وتلك الواردات لا يستغنى عنها لتغطية المصروفات فنجيب على ذلك بانه يمكن تطبيق هذه المعالجة بتمامها بالاقتصاد في النفقات .

وليس بخاف ان لدى الحكومة مصاريف هي بالنظر لحالتنا الحاضرة باهظة جداً وهي أجدر بالبلاد ذات المداخيل الواسعة والتي تفوق صادراتها ما تستورده من الخارج وتعد نفوسها بالملايين . فبلادنا كما هو معلوم صغيرة الرقعة حليفة الفقر والعسر لا شبه بينها وبين بلاد اوربا . ورجال الادارة أدرى بان الاقتصاد هو خير وسيلة لتخفيف العناء وهـــذا الشقاء عن الاهلين وان الضرائب يجب ان لا تتعدى مقدرة المكلفين .

تلك هي الادوية التي نعتقد انها تكون ناجعة في معـالجة عللنـا الخاصة توصلا الى تخفيف وطأة ما نحن فيه من الضيق وجمود الحال ، والله الهادي الى سواء السبيل .

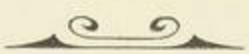

حالة البلاد الاقتصادية . داؤها . ودواؤها

نشر في العدد ٣ من جريدة الايام الصادرة
بتاريخ ١٢ ايار ١٩٣١

تعاني البلاد السورية الساحلية والداخلية أزمة اقتصادية خطيرة منذ سنين وما زالت هذه الازمة تسير من سيء الى اسوأ كلما تقادم العهد على هذا التقلقل السياسي والاضطراب التشريعي .

الداء السياسة الجمركية

لا شك ان للأزمة الاقتصادية العالمية علاقة بهذا الضيق الذي تعانيه البلاد ـ كما ان للتقسيمات السياسية التي أعقبت الحرب العامة وكان من نتائجها هذه الحواجز الجمركية في شرق البلاد وجنوبها وشمالها ـ علاقة كبرى ايضاً سنحاول بحثها في الآتي ـ ولكننا نعتقد ان هذا الضيق يزداد سوءاً وتستحكم حلقاته في جميع مناحي الحياة التجارية والصناعية والزراعية بسبب الاوضاع الشاذة السياسية والادارية والتشريعية التي تسير عليها البلاد الان ومن أشدها علاقة بموضوعنا الاقتصادي سياسة التشريع الجمركي ووضع الاتفاقات الجمركية مع البلاد المجاورة والتعريفات المختلفة على الواردات التي تعانيها البلاد منذ بدء الاحتلال الاجنبي الى الان فانها لا تتفق بحال من الاحوال مع مصلحة البلاد الصناعية والتجارية والزراعية ذلك لان الذين يسيطرون على ادارة

الجمارك العامة من رجال السلطة الافرنسية لا يفكرون بمصلحة البلاد أو انهم لا يفهمون هذه المصلحة اين تبتدىء وأين تنتهي ولقد بحّت اصوات رجال المال والاعمال وحفيت اقلام رجال الغرف التجارية وهم يطالبون بتقاريرهم وبياناتهم ويبرهنون على وجوب اشتراكهم على الاقل في المذاكرة والمداولة حينما توضع الاتفاقات والقرارات والتعريفات والعقوبات التي تعود للسياسة الجمركية وادارتها ولكن هذه الاصوات المرتفعة والبيانات القيمة كانت تذهب عبثاً . غير انهم أرادوا ان يجيبوا طلب الاشتراك بوضع التعريفة الجمركية فقرروا دعوة الغرف التجارية وممثلي وزارة المالية حينما تعقد في كل ثلاثة اشهر جلسات التعريفة فكان حظ هؤلاء المدعوين ان لا يهتم بملاحظاتهم وآرائهم وان يضعوهم امام امر واقع من التعريفة التي يريدون تطبيقها ويتلونها امامهم دون ان يفسحوا المجال للمناقشة وابداء الرأي ولذلك أحجمت الغرفة التجارية في دمشق منذ عهد طويل عن ارسال مندوبيها لحضور هذه الجلسات بعد ان اصبحت على هذه الطريقة المضحكة . كما ان المؤتمر الصناعي الاقتصادي الذي عقد في دمشق سنة ١٩٢٩ احتج على هذه الطريقة في تقريره المطول الذي قدمه للمراجع الايجابية وأبان اضرارها ومساوئها ولكن ممثلي وزارة المالية يذهبون ويأتون ولا ندري ماذا يعملون وهم لا يتمكنون من معرفة حاجات البلاد الصناعية والتجارية وتقلبات اسعار الواردات وعلاقتها بحركتها الاقتصادية .

الاتفاقات الجمركية

وكذلك الشأن في هذه الاتفاقات الجمركية التي تعقد مع البلاد المجاورة فلقد عانت البلاد السورية المصاعب والمصائب من جراء الاقدام

على عقد هذه الاتفاقات دون مراعاة مصالح البلاد الصناعية والتجارية وأخذ آراء أبنائها الذين يقدرون حاجاتها الاقتصادية والذين لهم علاقة كبيرة مع هذه البلاد التي يراد الاتفاق معها .

وانه لولا المعارضة العنيفة التي سمعها الفرنسيون لأول مرة في هذه البلاد سنة ١٩٢٢ حينما تم وضع الاتفاق الجمركي بين سوريا وفلسطين وكان من شأنها القضاء التام على صناعة البلاد السورية وتجارتها لكانت المصيبة أعم والخطر أشد ، فقد قام وقتئذ رجال الصناعة والتجارة في تقديم البيانات الضافية والتقارير المطولة ليبرهنوا على ضرر هذا الاتفاق وأخطاره الكبيرة وكونه سبباً من اسباب القضاء على البقية الباقية من صناعة البلاد وتجارتها وما زالوا يعملون حتى توفقوا لقلب هذا الاتفاق رأساً على عقب بعد ان اقتنع رجال السلطة بخطأ ما اقدموا عليه بدون اخذ آراء الخبراء من اهل البلاد . وكان هذا شأن جميع الاتفاقات الجمركية التي عقدت مع البلاد المجاورة وآخرها الاتفاقية التي يراد عقدها مع شرقي الاردن ومصر والعراق فانه لولا تدخل رجال الصناعة والتجارة وأعضاء الغرفة التجارية واهتمامهم بالامر لكانت النكبة بهذه الاتفاقات كبيرة جداً وعوضاً عن ان تكون عاملا من عوامل تشجيع التعاون التجاري والنشاط الصناعي تكون سبباً للقضاء على حركة التعاون والتعامل التجاري بين سوريا والبلاد المجاورة .

الجزاءات والعقوبات

وكذلك شأن الجزاءات والعقوبات التي تفرضها ادارة الجمارك على التجار والمستوردين والاختلافات التي تنشأ بينهم فقد كانت وما زالت

عاملا من عوامل عرقلة الاعمال وارهاق التجار بدون سبب في كثير من الاحيان او بسبب ضعيف في احيان اخرى ولكن ادارة الجمارك ومأموريها الذين يعود لهم قسم من هذه الجزاءات والعقوبات لا يفكرون في مثل هذه المواقف الا بمنافعهم واغراضهم ولا يدرون بانهم يضربون حركة العمل التجاري والنشاط الاقتصادي بعملهم هذا ضربة قاضية .

والامر أدهى وأمر في الاماكن البعيدة عن المراكز الادارية والمدن المتروك امرها لنفر من المأمورين القاصري المعرفة او الذين يعملون لملء جيوبهم غير عابئين بخسارة التجارة والتجار والاضرار بمصالحهم .

اعفاء المواد الأولية

وكذلك شأن اعفاء المواد الاولية والأوائل الميكانيكية التي تتطلبها صناعاتنا الوطنية الحديثة من الرسوم الجمركية وعدم اهتمام ادارة الجمارك بهذا الامر الاهتمام اللائق ، وكذلك الحال فيما يتعلق بسياسة الحماية التي نحن في أشد الحاجة اليها الآن ونحن لا نزال في دور النشوء والتأسيس في صناعاتنا الوطنية .

نعم ان بعض الصناعات لا يزال انتاجها قليلا ولا يمكن ان تسد حاجة الاسواق وهذه لا نطالب بحمايتها الآن ولكن ماذا نقول في الصناعات التي أصبحت تسد حاجة البلاد والاسواق ويمكنها ان تصدر للخارج ايضاً ، مثل صناعة السكاكر على اختلاف انواعها . والجلود المدبوغة على أحدث الاصول الفنية ، وبعض المنسوجات الحريرية الجيدة . فقد أصبحت هذه الصناعات من اهم اعمالنا التي يتعلق على نجاحها حياة البلاد الاقتصادية والتي يشتغل بها عدد كبير من العمال وتستثمر

في ادارتها ثروة كبيرة من اموال ابناء البلاد ، فعوضاً من ان تقوم ادارة الجمارك العامة بحماية هذه الصناعات تفسح مجالا واسعاً لمزاحمة الصناعة الأجنبية لهذه الصناعات الوطنية بتخفيض التعريفات الجمركية وتسهيل سبل المقاومة والمزاحمة للبضائع الأجنبية في عقر دارنا فهل يقال بعد ان قدمنا هذه الأمثلة العديدة ان السياسة الجمركية تتفق مع مصالح البلاد الاقتصادية والصناعية ؟

وسنتكلم في الآتي عن الضرائب وعلاقاتها بالأزمة الاقتصادية الحاضرة .

تضحية البلاد

نشر في جريدة (فتى العرب) الصادرة
بتاريخ ٥ حزيران ١٩٣١

خطاب معالي لطفي بك الحفار

في الاجتماع الوطني الكبير الذي عقد بدار جريدة (الايام)

ثم وقف معالي لطفي بك الحفار وارتجل كلمة كان لها اثرها العظيم في النفوس ، والى القراء ماوعته الذاكرة منها قال :

ايها الاخوة :

لقد اسمعنا الاخوان صفحة جميلة من صفحات الجهاد القومي .

سمعتم هذا وشاهدتم ان البلاد قامت بواجبها وعملت كل ما تستطيع عمله في ميادين السياسة وشاهدتم الجهود التي بذلت في سبيل السيادة والاستقلال والوحدة .

قدمت البلاد هذه الحجج بعد ان ضحت ما ضحت ، وأقامت الادلة العملية والخطية مؤيدة بدماء الضحايا وشهادة الشهداء ، وأثبتت للعالم أنها امة لا سبيل للزمن للتأثير عليها ولا سبيل للمطل والتسويف في فل عزيمتها لبلوغ حقوقها في سيادتها ووحدتها واستقلالها .

هذه الامة الصغيرة في هذا القطر الشامي التي لا يتجاوز عدد نفوسها مليونين ونصف المليون ادت من التضحيات العظيمة اكبر قسط مما لا طاقة لمثلها باحتماله .

الهند اليوم مضرب المثل في الشرق في التضحية للحرية والاستقلال ولكنني اقول واعتقد وأؤمن بما اقول ان تضحيات الهنـــد العظيمة تتضاءل امام تضحيات هذا الوطن السوري الصغير .

هذه قائمة شهدائنا وتلك هي جهود الامة واولئك هم شهداء الهند وجهود رجالها . ألا ان ضحايا سورية ذات المليونين ونصف مليون بالنسبة لعدد السكان تتجاوز ضحايا الهند ذات الثلاثمئة وخمسين مليون بنسبة لعدد سكانها .

لقد جاهدت الامة بجميع الطرق المشروعة لكي تدرك اربها وتنال حقوقها ولكن طريق الكفاح والعمل ما برح امامنا طويلا وان الزمن لا قيمة له في حياة الامم .

نحن الآن امام تطورات وحوادث خطيرة وان علينـا واجبات كثيرة حتى نتهيأ لها ونقابلها بما تستحقه من التحبيذ والتأييد .

إني اعتقد ان في الصدور أسئلة تتردد كثيراً وهي :

ماذا عمل الوطنيون ؟

لماذا لم يتقدموا للعمل ؟

ماهذا الجمود المستولي على الحركة الوطنية ؟

هذه أسئلة ترددت كثيراً ولكني أسأل كل واحد من ابناء هذه الامة كما أسأل نفسي هل قام كل واحد منا بواجبه الوطني حق القيام ؟

أحسب انهم قليلون الذين يقولون « نعم » في الجواب على هـذا السؤال لان ميدان العمل فسيح لا غاية له .

اذن فعندما يريد امرؤ ان يناقش الوطنيين في تصرفاتهم واعمالهم

يجب ان يكون على الأقل ممن قاموا بواجبهم وبذلوا اقصى ما يستطيعون .

نعم : ان واجبنا ان نضحي براحتنا ، باوقاتنا ، باعمالنا ، بمصالحنا ، وبالمال ايضاً وهو أقل ما أذكره وآخر ما اذكره ، ومن المؤسف ، ومن سوء حظ البلاد ان الناهضين باعباء القضية الوطنية ليسوا من ذوي الثروات الطويلة العريضة .

نريد ان نرسل وفداً الى فرانسه في هذه الاونة التي تطرح فيها قضية سورية موضع البحث ، ولكن أين المال ؟ فهل انتم مستعدون للتضحية بالمال .

هذا ما لا نكلفكم به لأني اعتقد ان الأزمة السياسية لم تصل بعد الى حد تكليف الامة بهذا الواجب ، والمال أتفه ما يضحى به على مذبح الوطنية ؛ وما يدفع ثمناً للاستقلال والحرية .

ولقد منيت البلاد كما منيت كل نهضة وطنية في كل بلد من البلدان الشرقية الناهضة بفريق من الأذلاء والمستأجرين لا يهمهم غير تفريق الصفوف وتمزيق وحدة الامة وبحكومات لا يعني رجالها غير صيانة مصالحهم الشخصية خربت البلاد ام عمرت . فمن واجباتنا ان نقف سداً منيعاً على الاقل امام خطر هؤلاء الذي يهددون مصالح البلاد .

واني لاوقن ان هذه القلوب المملوءة بالايمان الصحيح سوف تقف عازمة للعمل في سبيل انقاذ البلاد مما تعاني .

وقد قوطع خطاب لطفي بك في كل مكان بالتصفيق والهتاف .

جلالة المرحوم الملك حسين (في حفلة تأبينه)

نشر في جريدة (البيرق) البيروتية بتاريخ
١٥ تموز ١٩٣١

خطاب الوطني لطفي بك الحفار

سادتي وإخواني :

في عهد عبد الحميد والجاسوسية تبسط ظلها الثقيل وظلامها القاتم على جميع الارجاء والانحاء ومحاربة الفكرة القومية من أقوى الدعائم التي يقوم عليها بنيان دولة الظلم والارهاب . في ذلك العهد الذي كان حربا على كل حركة قومية او فكرة حرة كنا على مقاعد الدرس نهمس في تمجيد العرب ولغتهم ونرجع فيما بيننا في زوايا البيوت ورؤوس الجبال الى درس تاريخ الامة العربية ورجالها ، وقوادها وشعرائها والدعوة للانضمام الى هذه العقيدة القومية وكان يعدّ ذلك وقتئذ جريمة كبرى ترتعد من أجلها الفرائص . وكان رجل النهضة العلمية يومئذ استاذنا المرحوم الشيخ طاهر المغربي الجزائري يشجعنا ويبث هذه الفكرة بمختلف الأساليب والوسائط المعروفة عنه وكان تلامذته في مصر والآستانة ودمشق يعملون في الخفاء حتى تمكنا ونحن بضعة عشر شابا من تأسيس جمعية النهضة العربية ولكنها لم تكن لتستطيع ان تعمل عملا منتجاً وسيف الجاسوسية والارهاب مصلت فوق الرؤوس وكان سير هذه الفكرة يقتصر على بثها والقائها بين

تلامذة العرب الذين نتأكد ميلهم وشغفهم لذكر شيء من أمجاد الامة العربية ولكن مثل هذا العمل الضئيل لا يؤدي الى النتيجة التي نتحمس من أجلها والدولة العربية كل آمالنا ، وماضي هذه الامة ذات المجد الاثيل قدوتنا .

سير ضعيف ، وآمال تائهة وشباب متحمس ليس الا . ثم اعلن الدستور العثماني فاحتفلت به جمعية الاتحاد والترقي في دمشق وفي اليوم التالي أعلنت اول جمعية قومية جمعية النهضة العربية نفسها واحتفلت باعلان الحرية في مقهى القوتلي وكان من خطباء تلك الحفلة ومن الذين استشهدوا في سبيل هذه العقيدة المرحومين سليم الجزائري ، اسعد الطرابلسي ، جرجي حداد ، صلاح الدين القاسمي ، والامير عارف الشهابي ، ومن الاحياء السادة الدكتور شهبندر ، محب الدين الخطيب ، رشدي الحكيم ، سامي العظم ، وهذا العاجز ، خطبنا وهتفنا للحرية ونحن لا نكاد نصدق اننا نستطيع ان نهتف لاعلان الحياة النيابية ومن ورائها نسعى لتحقيق الهدف الاسمى والغاية المقدسة ثم قام بعض رجالات العرب والضباط العسكريين بتأسيس الجمعيات العربية الاخرى .

توالت الحوادث التي لا مجال لسردها الآن وأعلنت الحرب العامة وانخرطت الدولة العثمانية في أوارها وكانت الفكرة القومية تتقدم وتنمو واصبح معظم الشباب المتعلم من انصارها والعاملين في سبيلها . وكانت حركة النادي العربي في الآستانة التي قام بها تلامذة العرب المتحمسين للقضية العربية وعقد المؤتمر العربي في باريس من الرجال العاملين للمطالبة بحقوق امتهم وبلادهم والدور لا يزال دور النشوء والتدرج . وفي هذه البرهة من الزمن والحرب العامة تتلظى في الشرق والغرب

قام جمال باشا السفاح كما تعلمون يعمد الى وسائل الضغط والارهاب والابعاد والاعدام وكان يخشى نتائج هذه الفكرة القومية التي ربت ونمت وهو لا يدري كيف يحاربها . فرصة عظيمة قد اتيحت والعمل الواجب قد دق وقته وانصرفت الآمال تحـــوم حول الأمير العربي الشريف الرابض في بطحاء مكة لاعادة تلك الدعوة العربية المقدسة التي قام بهـا جده النبي صلى الله عليه وسلم ، تلك الدعوة التي نشأت من تلك البقاع الطاهرة .

لم تخب آمال هذه الامة بفقيدها الحسين بن علي ولم ينقطع حبل الرجاء في إعادة بنيان الدولة العربية المتهدم لأنه قام معلناً ثورته الكبرى بايمانه الصلب وعزيمته القوية وسار في سبيل الله يحمل وراءه الغاية المقدسة .

انتقلت القضية العربية بعد ان كانت تمشي مشي السلحفاة اولا وبعد ان دخلت في دور الدعوة والتقدم ثانية ، انتقلت بفضل هذه الثورة المقدسة وأصبحت في دور عملي دقيق . تلك هي الوثبة الكبرى التي تقدمت بالقضية العربية تقدماً عظيما وانتقلت بها من دور الأمل والخيال الى دور التأسيس والاعمال .

هنا موضع العبرة وموقف التذكير والتفكير .

أيها السادة :

انا أعتقد ان جميع الذين رافقوا تطور هذه القضية يعتقدون معي ان ثورة الحسين بن علي قد تقدمت بالامة العربية وبتحقيق اغراضها الكبرى ربع قرن على الاقل فهو الذي وضع دعائمهـا ونادى بتأسيس الدولة العربية وبحقوق امته وبلاده في الفرصة المناسبة وهو الذي أخلص لها الاخلاص التام وناضل وراء تحقيق غاياتها السامية نضال الابطـال

وكان المثل الأعلى في التضحية بمعناها الحقيقي وكان هو وعرشه وآله ضحية ثباته واخلاصه في خدمة امته وبلاده وكفى .

ولا عجب اذا رأينا الامة العربية في جميع اقطارها تحتفل في هذا اليوم بذكرى هذا الملك العظيم لتتخذ من ذكراه درساً عملياً في جهادها الآتي واذا كان الزمن لم يساعده لتحقيق ما سعى اليه فيكفيه انه كان واضع الاساس لبنيان الدولة العربية التي نادى بها واحتفظ بحقوقها واحلها محلا دولياً ، وحياة الامم والشعوب كما تعلمون لاتقاس بعشرات السنين .

وهذه الوحدة الالمانية والايطالية وتاريخها يشابه كثيراً ماضينا وحاضرنا وأرجو الله ان يكون التشابه تاما في مستقبلنا واعظم مثال لنا ، فعلينا ان نتابع العمل وان نقتدي باخلاص هـــذا المليك الجليل وثباته وقوة ايمانه فاذا قام كل منا بواجبه واذا غرسنا في قلوب ابنائنا واحفادنا مبادىء ثورة الحسين بن علي والعمل في سبيلها واذا تضافرت ايدي ملوك الامة العربية وأمرائها وزعمائها وكلهم يعمل في هذا السبيل باخلاص وايمان فستذكر الاجيال المقبلة مليك العرب الحسين بن علي كما تذكر ايطاليا غاريبالدي ومازيني وكافور وقد جعلوا من ايطاليا الممزقة وطناً ايطالياً موحداً . وكما يذكر الالمان بسمارك مؤلف الاتحاد الالماني . وسيأتي في المستقبل امثال هؤلاء القادة من رجال الامة العربية من يعمل عملهم ليتم هذا البنيان الذي وضع أساسه الحسين بن علي ما دمنا نقدس اخلاصه ونقتدي باعماله ، والاعمال الكبيرة في التاريخ لا تكون لحاضرها بل لمستقبلها .

العلاقات الاقتصادية بين مصر والشام

نشرت بجريدة (البلاغ) المعربة بتاريخ
٢٣ سبتمبر ١٩٣١

بقلم وزير سوريا الاقتصادي الاستاذ لطفي بك الحفار

أثارت زيارة المجاهد الوطني الاستاذ مكرم عبيد للبلاد السورية في هذا الصيف موضوع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروابط الأدبية والعلمية بين القطرين الشقيقين .

ولا شك ان المصلحة العامة تقضي بمعالجة هذه الموضوعات معالجة دقيقة لوضع هذه العلاقات على أسس صحيحة وقواعد متينة تلائم مصلحة القطرين المتجاورين وتعود عليهما بالخير العام .

ولقد رأيت ان أجيب طلب بعض الاخوان وأعالج موضوع العلاقات الاقتصادية في هذه المجالة لاعتقادي ان تقوية هذه الروابط من أعظم أسباب التقارب والتآلف من طريق المنافع المتبادلة وما أحوجنا نحن في مصر والشام الى تقوية هذه الاسباب وطرق هذا الباب .

تاريخ العلاقات الاقتصادية بين البلاد الشامية ومصر قديم جداً كان يتراوح قوة وضعفاً بنسبة الاحداث السياسية وسلامة المواصلات البحرية والبرية ولا حاجة بنا الى درس عهد الفراعنة الذين احتفروا القناة الموصلة بين النيل وبحر القلزم (البحر الاحمر) لتحسين المواصلات

التجارية بين مصر وجزيرة العرب ، ولا الى ذكر ما كان للفينيقيين أجداد السوريين العرب من السفن العظيمة التي تنقل متاجرهم وحاصلات بلادهم الى الشرق والغرب ، ولا الى الأدلة الصريحة التي ظهرت في كتابات تل العمارنة على تقدم التجارة البحرية والمعاهدات التي عقدت بين مصر وسوريا . وقد كان للمصريين سفن وقوافل للتجارة تمخر من أعالي النيل الى شواطىء البحر المتوسط لجلب الاخشاب والحاصلات المختلفة من المرافىء السورية وقوافل كثيرة كانت تسير على طريق سيناء في الصحراء المترامية الاطراف .

ثم ان هذه العلاقات التجارية قد توثقت وازدادت بعد الفتح الاسلامي العربي وكانت على أحسن ما يكون في عهد الدولة الاموية ثم أخذت في التقلص والانحطاط منذ زمن الدولة العباسية والدول التي تعاقبت بعدها . وفي زمن الدولة العثمانية كانت تتراوح مداً وجزراً وكانت أقرب الى الضعف منها الى القوة . ولا مجال الآن للتوسع في درس هذه العلاقات التاريخية القديمة لأننا لا نقصد منها الآن الا اثبات هذه الصلة القديمة التي لم تنقطع في زمن من الازمان بين مصر وسوريا بالنظر للحاجة الماسة وطبيعة التبادل التجاري بين بلدين متجاورين يحتاج احدهما الى الآخر في صناعته وحاصلاته ومنتوجاته .

ولا بد لنا من الاشارة الى خطأ الكثيرين في مصر وسوريا الذين يظنون ان البلاد المصرية يستثمرها التجار السوريون . ومن أثر ذلك رواج الصناعة السورية وازدهارها في البلاد المصرية ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك في كثير من الاحيان .

وكان من أثر هذا الوهم ان عمدت الحكومة المصرية الى وضع العقبات والعراقيل امام التجار السوريين وفرضت الرسوم الجمركية الباهظة والقيود الثقيلة على الحاصلات الزراعية والمصنوعات السورية المختلفة التي تستوردها البلاد المصرية .

فالاتفاق التجاري الذي كان منعقداً بين مصر وسوريا بتاريخ ١٣ حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٨ قد فسخ من قبل الحكومة المصرية بتاريخ ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٩ وعلى ان يبدأ بتطبيق التعريفة الجمركية الجديدة من تاريخ ١٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ والبحث يطول بنا كثيراً اذا أردنا ان نستقصي مواد وقيود القانون المصري الحاوي تغيير التعريفة الجمركية القديمة ودرس الرسوم الجديدة على أصناف البضائع التي تصدَّر من سوريا الى البلاد المصرية غير اننا نجتزىء بالقول ان نتائج تطبيق هذه التعريفة كانت القضاء على حركة التبادل التجاري بين البلاد المصرية والشامية في حين أننا نستورد من صنف الارز المصري ما توازي قيمته اضعاف ما نصدره من اصناف الفواكه والاثمار وبعض المنسوجات مثلا . فواردات القطر المصري من الاصناف الآتية فقط عام ٩٢٨ كانت ما يلي :

أرز مبيض ومبلور الكمية ١٤٦ ، ٣٩٩ ، ١٣ القيمة ١٨١٥٠٢ من الجنيهات المصرية .

جلود على اختلاف أنواعها الكمية ٢٢٩١٢٤ القيمة ٢٢٤٢٩ جنيه مصري

بعض أصناف الخضر ٢٧٦ القيمة ٧٥ جنيهاً مصريا .

وذلك عدا الاصناف الاخرى التي تستورد منها البلاد السورية كميات كبيرة مثل زيت القطن والفول السوداني وكثير من انواع البقول

والمصنوعات المصرية وفي السنين العادية تصدر البلاد السورية من المحاصيل الزراعية ما تربو قيمته على مئتي الف جنيه مصري ومن البضائع الصناعية ما يتراوح بين مائة الف جنيه او مائة وخمسة وعشرين الف جنيه مصري سنويا . وأما في هذه السنة فقد تناقصت هذه الصادرات الى قيمة الربع وذلك بالنسبة لفداحة الرسوم الجمركية التي بدىء بتطبيقها . فالحاصلات الزراعية والمصنوعات السورية قد قلت مقطوعيتها بالرغم من الرغبة فيها وحسن صناعتها وطيب أثمارها فهي مهما بلغت من التفوق والجمال وذلك بالنسبة للفواكه والاثمار المجففة كالعنب الزبيب على اختلاف انواعه والمشمش والكمثرى والتفاح ومهما بلغت الصناعة من المتانة والاتقان وثبات الالوان وجمالها المعروف في القطر المصري فقد قلت رغبة المستهلكين وانقطعت عزائم التجار والمستوردين من جراء زيادة أثمانها لكثرة ما يلحقها من الرسوم الجمركية الجديدة بينما نحن في البلاد السورية نستوفي رسماً جمركياً عن الارز الذي هو من اهم الاصناف التي نستوردها من القطر المصري ١١ في المائة وكذلك عن زيت القطن الذي نستورده لصناعة الصابون .

فغريب جداً ان تعمد الحكومة المصرية وهي تعلم جيداً أهمية هذه العلاقات التجارية بين القطرين الشقيقين الى عرقلة حركة التبادل التجاري ورواج حاصلات ومصنوعات البلدين المتجاورين . ولا بد من الاشارة هنا الى ان معظم ما نصدره الى البلاد المصرية من المصنوعات المختلفة لا يكون سوريا صرفا بل يدخل فيه قسم من المواد الأجنبية الاولية وبعكس ذلك ، فان ما نستورده من البلاد المصرية الى بلادنا يكون معظمه من المواد الوطنية التي لا توجد فيها مادة أجنبية .

ولا شك ان مصلحة القطرين الشقيقين تقضي بعقد اتفاق جمركي تراعى فيه مصلحة البلدين المتجاورين على قاعدة اولى الامم بالرعاية ومقابلة المثل بالمثل، فالمصلحة الاقتصادية المالية وحدها تقضي بذلك بل توجب على الحكومات المصرية القائمة بالامر ان تبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية لا ان تقيم في سبيلها العقبات والعراقيل، كما ان واجب المسئولين عن ادارة الجمارك في سوريا ولبنان ان يقوموا بواجبهم لتحقيق هذه الغاية وتسهيل السبل لعقد هذه الاتفاقات الجمركية التي تتطلبها مصلحة البلاد.

والصناعة السورية الحاضرة التي بدأت بنهضتها الحديثة هي في أشد الحاجة للمبادلة مع البلاد المصرية فهي تستورد القطن والجلود الخام والزيت وتصدره مغزولا ومنسوجا ومدبوغا على أحسن وجه والتجار يستوردون الارز على اختلاف أنواعه والزيت والخضر المتنوعة التي تحتاجها البلاد في شتائها وربيعها ويصدرون ما تحتاجه مصر من انواع الفواكه والاثمار والصفقة الرابحة لمصر دائماً كما تثبت الارقام والاحصاءات.

وهذا بنك (مصر، سوريا، لبنان) من أقوى دعائم هذه الروابط الاقتصادية وهذه زيارات رجالات مصر الى الشام من أمتن أسباب هذا التقرب الاقتصادي عدا ما لهذا من الفوائد الاجتماعية والأدبية والحوادث تثبت صحة هذه الدعوة التي يقوم بها الرجال المخلصون في مصر وسوريا. والحاجة لا تقف دونها بعض هذه الحوائل المصطنعة.

سوريا متممة للقطر المصري بحكم الطبيعة القهارة والقطر المصري متمم لسوريا فهو يحتاج اليها في صيفه وفاكهته وأثماره وهي تحتاج اليه في أرزه وقطنه وزيته وكثير من حاصلاته ومنتوجاته، والتاريخ القديم والحديث يثبت صحة هذه الحاجة الطبيعية التي تضعف وتقوى بحسب

ميول الرجال القائمين على شؤون القطرين من الوجهة السياسية والاقتصادية ولا بد من مسايرة ما يرشدنا اليه الحق والانصاف وتؤيده الحقائق الاقتصادية والعلمية .

فالامم مرتبطة بعضها ببعض برباط اقتصادي وثيق ونواحي الانتاج الصناعي والزراعي المتعددة في العالم تتخطى تلك الحدود الطبيعية والدولية وقد قصرت المسافات والابعاد وسهلت طرق المواصلات .

واذا كان رجال المال والاعمال ينادون اليوم في اوربا بضرورة التعاون الاقتصادي الدولي فما بالك بالنسبة للممالك المتجاورة والبلاد المتاخمة لبعضها والتي تثبت الحوادث التاريخية والوقائع الاقتصادية حاجتها الى المبادلة والتعاون كما هو الشأن فيما بين مصر والشام ، والتي تربطها مع بعضها روابط اللغة والادب والدين وتقارب الاخلاق والعادات . وهذه الديار الشامية والمصايف اللبنانية مغدى ومراح ومثوى لهؤلاء الاخوان في الصيف كما ان السوريين واللبنانيين يرتادون القطر المصري في الشتاء للتزاور والتقارب والراحة والاستجمام وكل قطر قريب من هذه الاقطار العربية متمم للآخر مها اراد بعض المغرضين ان يحولوا دون التبادل والتقارب وكلما ازدادت المواصلات البحرية والجوية تقدما ازدادت هذه الصلات قوة والايام القريبة ستثبت ذلك شئنا ام ابينا .

المجاهد الشهيد عمر المختار

نشر بجريدة (البرق) البيروتية بتاريخ
٢٨ تشرين الاول ١٩٣١

خطاب الاستاذ لطفي بك الحفار

نشرنا امس تفاصيل حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت بقصر سمو الامير سعيد الجزائري لشهيد المجاهدين الطرابلسيين عمر المختار ، وقلنا ان حضرة الوطني المفكر الكبير لطفي بك الحفار احد اركان الكتلة الوطنية القى خطابا مؤثراً ، وقد تلقينا نص هذه الخطبة وننشرها فيما يلي :

سادتي وإخواني :

عشرون سنة تمضي ورجال العرب المستبسلين في طرابلس الغرب يأتون بالمعجزات والآيات البينات يجاهدون دون ديارهم ويكافحون دون أوطانهم التي جبلت بدمائهم واشلاء شهدائهم .

يقاومون بقوة ايمانهم قوى الأجنبي الغالب ويضحون باموالهم وأنفسهم ، وبكل عزيز لديهم للدفاع عن استقلالهم وحريتهم وعن ديارهم ودينهم .

كل ذلك بقوة الايمان ، وهذه القوة وحدها تفعل ما لا تفعله هذه القوى الهمجية المادية وتتغلب عليها مهما طال أمد الظلم والاعتساف ومهما امتد الزمن بالغاصبين المستعمرين .

فاذا ظفرت القوة بقائد المجاهدين الصابرين عمر المختار ولم تحترم شيخوخته وشيبته ولم تحسب حسابا لاعدامه وهو في مثل مكانته وشهرته وجهاده الطويل يعمل عمل الابطال ويغالب هذه القوى في الطعن والنزال والقوة تبذل اقصى ما تستطيعه من سد منافذ الصحراء بمئات الكيلو مترات من الاسلاك الشائكة والقلاع الحامية وتنازله بالجيوش الجرارة والطيارات والدبابات المحرقة وهو يقاوم ويدافع ولا يملك مع رجاله الاشداء من هذه الوسائل الجهنمية ما يقابلها جسما لجسم ومادة لمادة ولكنه كان يملك ما هو أسمى وأعلى ، كان يملك قوة ايمانه بالله ودينه وقوميته ووطنه وكفى .

لقد استطاع ان يكافح هذه القوى ويقاومها بضع سنين وهو ينازلها ويدحرها وهي حائرة مخذولة ولكنها استطاعت أخيراً الظفر ، فأنا اعتقد وأظنني على حق في اعتقادي هذا ان هذا الظفر مقدمة الفشل والاندحار . الموت سبيل الحياة والبطولة لا تقدح شررها الا حين ترى وثوب الباطل بمظاهره الفتاكة فتنقض عليه تضربه الضربة القاضية .

ضحايا اخواننا في طرابلس الغرب فاقت كل حد وثباتهم واقدامهم على ممر السنين لمكافحة هذه الخطوب والاوصاب دونه هذه الجبال الراسيات ومثل هؤلاء الذين يغرسون في ابنائهم واحفادهم قوة عقائدهم الوطنية وايمانهم الديني الصلب لا بد وان يصلوا الى غاياتهم وان يطهروا بلادهم من أرجاس هذا الاجنبي الجاثم في ديارهم ، ولا تظنوا اني أسير مع الاهواء والخيال ولكنها الحقيقة يؤيدها التاريخ وحوادثه الكبيرة فما من امة صابرت وجاهدت وقاومت وضحت مثل ما ضحى اخواننا العرب المسلمون في طرابلس ، الا نالت غاياتها وظفرت بحريتها

واستقلالها وكانت هي الغالبة .

وما من ظلم وعنف وارهاق الا تبعه الدمار والاضمحلال . وهل لم يكن اخواننا مظلومين مضطهدين ، وهم آمنون في ديارهم وادعون في صحرائهم ، يغزوهم الاجنبي ويستخدم وسائله الجهنمية للقضاء عليهم وعلى مقوماتهم وكل مقدس لديهم يدافعون ويجاهدون ، ثم اذا ظفرت القوة الغاشمة باحد قوادهم لا يكون نصيبه الا الاعدام واذا ظفرت بافرادهم ورجالهم حتى ونسائهم فهناك التقتيل والتهجير والتشنيع والظلم بانواعه والاقدام على ما تقشعر منه الابدان . وما عاقبة ذلك يا سادتي الا كما كانت عاقبة الظالمين من قبلهم ، واجدادهم الرومانيون الذين يريدون اقتفاء آثارهم قد أصبحوا أثراً بعد عين وأي عين تركوا ؟ تركوا من الآثار الخالدة في العمران والبناء وهندسة المياه وأقنيتها والطرق الضخمة ما يعجز عنه رجال هذا العصر على تقدمه وقوته ومع كل ذلك فقد بادوا وهلكوا ولم يتركوا الا هذه البقية الباقية التي تدل على بأسهم وقوتهم واسترسالهم في الفتوحات العظيمة ولكنهم تراجعوا وخذلوا ولم يبق من مظاهر هذا البأس الشديد الا هذه العبرة الخالدة .

فاذا كان هؤلاء الابناء يحذون حذو آبائهم فما مثلهم ومصيرهم ببعيد ولم يقض على روما وعلى مجدها في القدم الا هذا الزهو والغرور والاضطهاد وما انغمس فيه أبناؤها من أنواع الترف والبذخ والفجور ، وهم يدعون انهم يسيرون على منوال ماضيهم ويريدون ان يستعيدوا ذلك المجد المؤثل ويتبجحون بالمدنية والتعليم وارشاد هذه الشعوب الضعيفة ومساعدتها . وهل لمثل هؤلاء الذين يمثلون في هذا القرن العشرين جميع انواع الهمجية وفظائعها باسم المدنية والحضارة ان يدعوا مثل هذه الدعوة الكاذبة ثم

يطلبون من هذه الشعوب المضطهدة المظلومة الرضوخ والاذعان ولكن هذا الشرق المعذب الذي استفاق من آلامه وضحاياه مذعوراً مشدوهاً سوف لا يني ولا يصبر ولا يستكين ولا يرضخ ، وقد بدأت عوامل يقظته تشتد وتظهر . وهذه الهند المعذبة والصين المضطربة ومصر الثائرة وافريقيا القلقة وهذا الشرق العربي المتحفز كل ذلك دليل قاطع وبرهان جلي على هذه اليقظة التي بدأ يشعر ساسة الغرب ورجاله بخطورتها ونتائجها . ومتى فتح الشرق عينيه لا يقنع الا بالنور كاملا ولا يرضى دون حريته واستقلاله بديلا ولا يلبث وراء هذه الغاية المقدسة مكافحاً ومناضلا .

وأمثال المجاهد الكبير عمر المختار واخوانه الاشداء اعظم مثل لنا وقدوة لامثالنا في حاضرنا ومستقبلنا .

الى رجال الأحياء الميامين

الخطاب الذي القاه ارتجالا في حفلة حي الشاغور وحي الامين التي أقيمت لنواب دمشق بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٣٢

خطاب معالي لطفي بك الحفار (نائب دمشق)

قال :

اذا كنا نفتخر باحياء المدينة على اطلاقها فاننا نفتخر بابناء حينا ايضاً ، فانتم عملا وقولا ترفعون الرأس عالياً باتفاق كلمتكم وقوة تضامنكم ووطنيتكم ، لقد أتيناكم زائرين مع اخواننا النواب وكنا نود ان نزور كل واحد منكم في داره لولا ان جرت العادة ان نجتمع بكم في مثل هذه الساعة لنقوم بالواجب مجتمعين ونحن في مقدمة عمل حاسم .

ان الخطيب السيد السمان قال : لقد اذنت ساعة العمل ، وانا اقول نعم لقد أذنت هذه الساعة ، وقد وضعتم الثقة على عاتق نوابكم وطوقتم بها أعناقهم ، واسمحوا لي ان اقول وانا اعجزهم انهم رجال هذه الثقة الغالية ، وهم كما تعرفون ماضيهم ، سيكونون في آتيهم ، يعملون على تحقيق المبادىء الوطنية التي عاشوا ويعيشون من أجلها ، ان نوابكم هم ابناء الامة العربية التي سادت الارض باخلاقها وحضارتها . هم الابناء الذين كتبوا الوان هذا العلم الذي يرفرف فوق رؤوسكم بدمائهم (تصفيق فليحيى العلم) هم الذين اختاروا هذه الرموز (مشيراً بيده

الى رموز العلم) ليسيروا على خطوات الاجداد .

قال خطيبكم انه يوجد واجبان : واجب الامة وواجب النواب ، فاما واجبنا فاننا سنقوم به في الآتي كما قمنا به في الماضي ، واما واجب الامة ، فهو ان تلبي ما يطلبه منها نوابها ، ونوابكم لا يطلبون منكم الا شيئاً واحداً ، هو الا يتطرق الضعف الى عزائمكم ، والا تجد دسائس الدساسين الى نفوسكم سبيلا .

نحن ايها السادة في مطلع عهد سياسي خطير سيكون للدساسين مجال واسع فيه ، فاحذروهم وهم الذين كانوا سبب شقاء هذه البلاد ، انهم يريدون ان يحبطوا عمل الامة ، ولكن الامة اثبتت اليوم كما أثبتت في عام ١٩٢٨ انها لا تؤخذ بوشاياتهم ودسائسهم الدنيئة ، وانها قالت كلمتها الحق ، فلم يعد مجال للكلام الا للذين وضعت ثقتها فيهم ما داموا على الحق امس واليوم وغداً وبعد غد والى الابد ان شاء الله .

وقال في خطابه الذي القاه في حي الامين :

ماذا أحيي ايها السادة ؟ أأحيي هذا الشعور الفياض ام أحيي هذه القلوب الوطنية الطافحة بالايمان الخافقة لتأييد مبادىء الحق والعدل ، ام أحيي هذا التضامن الذي يلوح في هذا الافق فتراه اينما سرنا وحيثما حللنا ، ام أحيي هذا الحي وأهله الذين كانوا سباقين الى كل مكرمة ، سباقين الى تأييد المبادىء الوطنية .

اقول هذا لا لاني اخطب فيكم ، بل هذا ما أقوله وإخواني في كل محفل وناد . نقول ان سكان هذا الحي امتازوا بعملهم ونضجهم وثقافتهم وتضامنهم العام . ولا عجب فهذه مزاياكم ما دام لكم العلامة السيد محسن الامين (تصفيق) وما دام فيكم الشاعر والكاتب والمحامي

والتاجر والأديب وكلكم ذلك العصامي الكريم .

اسمحوا لي في هذا المحفل الذي اعلم ان فيه رجالا يفقهون العمل السياسي ، لأستعرض موقفنا قليلا ، فقد مرّت على هذه البلاد منذ بضع عشر سنين ، ادوار عديدة واختلفت عليها ادارات وحكومات كثيرة ، وقامت فيها احداث جليلة ، وبذلت في هذا السبيل ما لا تستطيع بذله اعظم امة تعتز بثروتها وغناها ، وقد قلت في خطاب القيته العام الماضي في دار جريدة الايام ان هذه البلاد بالنسبة لفقرها وعدد نفوس أبنائها ، وقلة مواردها وضيق نطاقها ، قد بذلت وضحت باكثر مما ضحت به الهند ، وهذه الامة لم تفعل كل ذلك الا وراء تحقيق أمانيها الكبرى وليس في الناس من يستطيع القول بان هذا الجهاد لم يثمر ، كلا لقد أثمر ان لم يكن كل الثمر فبعضه ، فقد تلاشت أمامها قوى الذين كانوا يحاولون السيطرة عليها فدعيت الى انتخاب جمعية تأسيسية ، وضعت للبلاد دستوراً طالما واجه نوابكم في سبيل وضعه العقبات ولكنهم حافظوا عليه ثم حدث ان نشرت الدساتير ولكن دون ان تتقيد الامة بها (تصفيق) وقد جاء في هذه الدساتير مادة موقتة وهي المادة (١١٦) وقد ارفقت بكتاب من العميد السامي الى وزير الخارجية الفرنسية وجاء في هذا الكتاب ان المادة الموقتة تلغي حينما يتم عقد المعاهدة بين سوريا وفرنسا ، ثم كان ما كان من امر الانتخابات الاخيرة التي لا أتعرض لها الآن ، بل اقول ان العمل المهم الملقى على عاتق نوابكم هو عقد معاهدة تعين حدود وواجبات الطرفين ، فتضمن حق سورية وسيادتها واستقلالها دون الاعتراف بالانتداب .

ان الجهد يجب ان يبذل في هذا السبيل لتلغى المادة (١١٦) التي

لم تعترف بها البلاد ويصبح الدستور حراً كاملا تتمتع الامة بواسطته بجميع حقوقها .

ان العمل يا سادتي خطير والارزاء التي صبت على الامة كثيرة فالحكومات التي تعاقبت على البلاد كان همها افساد اخلاق الامة والعمل على ابتزاز اموالها فساءت الادارة وساء القضاء وساء كل شيء وليس ما ينقذ البلاد من هذه الحال المؤلمة سوى المعاهدة الحرة التي تضمن للأمة حقوقها لتتخلص من الانتداب وسيئاته وأسوائه ، ولأجل الوصول الى هذه المعاهدة ، فالعمل يحتاج الى كثير من التضحية والعمل المنتج وقتل الدسائس في مهدها والى بقاء هذه القوة الشعبية متضامنة تؤيد المخلصين . ونوابكم يجددون العهد على بذل كل غال ورخيص في سبيل تحقيق مطالبكم السامية ، فكونوا يداً واحدة لتحقيق امانيكم والسلام عليكم .

السياسة الوطنية الاقتصادية

نشرته جريدة (فتى العرب) بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٣٢

ارتجل النائب المحترم الاستاذ لطفي بك الحفار الخطاب التالي في الحفلة التي اقيمت بحي القنوات بدار المرحوم صياح آغا قصاب باشي بتاريخ ٢٥ نيسان ٩٣٢ فقال :

لقد بعثت فينا زيارة أحياء المدينة روحا جديدة ، والهمنا كل حي من الاحياء فكرة نستمدها من روح ذلك الحي ومن هذه الفكر تتألف نفسية هذه المدينة الجبارة التي هي مضرب المثل في جميع اعمالها ومآتيها .

ان حي القنوات الكريم يضم رجالا يمتازون باهتمامهم بخدمة البلاد في جميع مرافقها فبينهم المزارع الكبير ، والتاجر النشيط ، والعامل المجيد الخ .

امامنا مهام كبرى لا أرى بداً من استعراضها . اما المهمة الاولى فهي المهمة السياسية التي يجب ان تحدد العلاقات والواجبات بين فرانسه وسورية وتؤدي الى الاستقرار وهذه مهمة شاقة نرجو الله العون على حلها بعد ذلك الماضي الطويل المملوء بالاعباء والاخطاء واذا كان لنا ما نطالبكم به فهو ان تكونوا كلمة واحدة على تأييدنا ما دمنا مخلصين لقضية البلاد وان تبعدوا عن صفوفكم المتراصة دعاة الهزيمة والرجعى .

قال خطيبكم الاول الاستاذ صلاح الدين بك الدالاتي : ان الامة

تتطلب اصلاحا حقيقياً لجميع مرافقها ، نعم ان الامة تئن وانا لنشعر شعوراً تاما بالبؤس والازمة الاقتصادية المخيفة التي تخيم في سمائنا ونلاقي منها الأمرين وان الواجب الاول يحدونا الى السعي لكسر شرة هذه الازمة وتخفيف عبء الضرائب الملقاة على كواهل ابناء هذه الامة بلا روية ودون تفكير فالحكومات يجب ان تعرف مقدرة الشعب عند فرض الضرائب وان يكون استعمالها في السبل المنتجة .

ليست الخطيئات السياسية والادارية والاجتماعية هي التي يجب ان تعالج وتصرف الجهود في سبيلها فقط لتخفيف الأزمة ولكن هنالك النظام المالي والضرائب والسياسة الجمركية واليها يرجع اعظم ما يحل بالبلاد من آلام واعتقد ان الواجب الاول بعد السعي لحل الازمة السياسية توجيه جهودنا لاصلاح التشريع الجمركي والمالي ولقد تأثرت كثيراً اذ اطلعت على قرارات جمركية في الآونة الاخيرة تضرب تجارة البلاد وصناعاتها في الصميم .

كنت إجابة لرغبة اخواني التجار نظمت تقريراً وعرضته على الغرفة التجارية فوافقت عليه ورفعته للدوائر العليا . وهو يبحث وجوب منع التهريب على حدودنا الجنوبية وهو الذي اضرنا كثيراً ، ولا دواء لمنع التهريب الا اذا تعادلت الضرائب هنا وهناك ولكن الضرائب بدلا من ان تنقص زيدت وتقرر وضع اربعة مخافر على هذه الحدود لمنع التهريب على انه لو وضع ٤٠ مخفراً لا يمكن ان يقضى على التهريب ما دامت مصلحة المهربين موفورة والربح محققاً كما قلت فيما سبق .

لم يكن من سبيل لمعالجة شؤوننا الاقتصادية من قبل هيئات ممثلة تمثيلا صحيحاً اذ كانت وسائلنا كلها تنحصر بالوفود والغرف التجارية

وما تبذله من جهود وتقارير ولكن لنا الامل الوطيد باني واخواني سنوفق لاصلاح التشريع الجركي مادمنا اصحاب حق وحجة دامغة ولقد جربت بنفسي في عام ١٩٢٤ عندما عقدت الاتفاقية الجركية بين المفوضية الفرنسوية باسم سورية والمفوضية البريطانية في فلسطين وكانت شديدة الضرر بنا فتابعنا العمل حتى تمكنا من تعديلها وقلبها رأساً على عقب وهذا ما يبشرنا بنجاح المساعي المقبلة لاصلاح الخطيئات .

وبعد فألفت انظاركم جميعاً الى ان الموقف دقيق ويتطلب كثيراً من الحكمة والأناة والصبر كما يتطلب رجالا يحتملون اعباء المسؤوليات ويتحلون بالاخلاص وسنحمل في الآتي مازلنا مؤيدين بثقتكم مدافعين عن حقكم أعباء هذه المسؤوليات كما اننا سنقاوم ونعارض كل عمل سياسي واقتصادي يعود على بلادنا بالضرر .

أقول هذا لاوضح لكم ان المستقبل خطير وان ابعاد عناصر الشغب والفوضى عنكم واجب لنثبت اننا أمة حكيمة .

ان لكم نوابا ان كانوا في البرلمان أقلية عددية فهم اكثرية حقيقية بتأييد الامة لهم فثقوا بانهم لن يهتموا قط بالمظاهر الخادعة ولا بالرئاسات والوزارات التي لم تكن هدفا لهم في يوم من ايام جهادهم الوطني الطويل ولكنهم يرغبون مخلصين في ان يكونوا قوة عاملة مفيـــدة للبلاد في داخل المجلس كما هم في خارجه .

الاحتفال بتدشين مشروع عين الفيجة (خطاب)

نشر في جريدة (النداء) البيروتية بتاريخ
٥ آب ١٩٣٢ وجميع الجرائد السورية .

خطاب معالي لطفي بك الحفار

في الحفلة الكبرى التي أقيمت بحديقة البلدية (المنشية) احتفالا
بتدشين مشروع عين الفيجة وقد ظهرت مدينة دمشق بأبهى
زينتها فرحاً وابتهاجاً . وكانت نوافير مياه الفيجة
المتدفقة في الحديقة وساحة المرجه تنعكس عليها
أشعة الكهرباء فتأخذ بالابصار والقلوب

فخامة الرئيس المعظم ، سادتي وإخواني :

انها لساعة تاريخية هذه التي نجتمع فيها الآن للاحتفال بنجاح واتمام اول مشروع وطني وأول عمل فني قام في هذه البلاد . واني واخواني رجال مشروع لجنة عين الفيجة لمغتبطون جداً بالقيام بهذه الحفلة تحت رعاية فخامة رئيس جمهوريتنا المحبوب الذي طالما سمعت منه منذ سنين آيات التشجيع والتنشيط في عملنا هذا الذي يقدره حق قدره كما كنا مغتبطين ايضاً باتمام هذا العمل في عهد اول حكومة دستورية ، واذا احتفلنا وسررنا باتمام هذا العمل الكبير الذي يعود على مدينة دمشق باعظم الفوائد الصحية والعمرانية والاقتصادية فذلك لأجل ما وفقنا الله اليه من تقوية روح الثقة بالاعمال العامة المشتركة ، وابقاء هذا المشروع وطنياً صرفا .

هذان العاملان العظيمان كانا من اعظم الدوافع لنا وللرجال الذين يفتخرون بتأسيس هـذا المشروع بلجنتيه الاولى المؤسسة والثـانية التي قامت بالاعمال الانشائية . وانا لنذكر هنا عضوين توفاهما الله قبل اتمام العمل وقد كانا من خير العاملين لخدمة هذا المشروع وهما المرحومان الحاج ياسين دياب والسيد احمد دياب فلهما الذكر الحسن والرحمة والرضوان .

حينما تقدمنا بهذه الفكرة واندفعنا وراء تحقيقها كان كثير من ضعاف الايمان يهزؤون بنا ويعتقدون بفشلنا ويقولون اننا لا نستطيع اتمام عمل عام بهذه البلاد ، ولكن الاخلاص وحسن النية ومعاونة الرجال العاملين ونقاء العمل نفسه وصفاءه الذي يشبه نقاء مياه الفيجة وصفاءها قضى على هذه الدعايات الباطلة وذلل تلكم العقبات والعراقيل التي صادفتنا أثناء العمل .

كان تقدير قيمة الكشوف التخمينية لهـذا المشروع مئة وخمسين الف ليرة عثمانية ذهبية وعلى هـذا الاساس جعل ثمن المتر الواحد ثلاثين ليرة عثمانية ، ذلك لان تحديد قيمة المتر المكعب من الماء نسبية بعد تقسيم اجمال النفقات على خمسة آلاف والخارج من هذه القسمة هو ثمن المتر الواحد كما هو نص المادة السادسة من شرائط جمعية ملاكي الماء .

ومع ذلك فان اللجنة لم تطبق هذه القاعدة كما طلب اليها مؤخراً ولم تستوف قيمة الامتار بالنسبة لقيمة الاعمال كلها التي بلغت لانجـاز المشروع ٢٧١٧٣٧ ليرة عثمانية ذهبية ذلك لان امل اللجنة كبير جداً في اقبال الاهلين على مشترى حاجتهم من امتار الفيجة حين انتهـاء الاعمال وإسالة المياه الى دور المشتركين وهو ما نبدأ به من نهار غد بحول الله وبذلك تتمكن اللجنة من وفاء الدين الذي عليها لوزارة المالية بمدة وجيزة ، فقد اشترك الاهلون بمقدار أربعة آلاف متر بسعر ثلاثين ليرة عثمانية للمتر الواحد ويوجد من هذه الامتار مقدار أربعمئة وستين

متراً اشتركت بها المساجد والمعابد والكنائس والمستشفيات وهذه يخصم عنها بحكم امتياز المشروع بالمئة خمسة وعشرون فكان مجموع ما دفع الاهلون مبلغ ١١٦٥٥١ ليرة عثمانية ذهبية والباقي أخذته لجنة عين الفيجة من صندوق المصالح المشتركة بتواريخ مختلفة بمثابة قروض وسلف محسوبا على الحكومة السورية .

فالقروض التي تم الاتفاق عليها مع وزارة المالية الجليلة باتفاقات تامة تبلغ قيمتها ثلاثة وتسعين الف ليرة عثمانية ذهبية اشتركت المالية لقاءها بمقدار ثلاثة آلاف ومئة متر كل متر بسعر ثلاثين ليرة عثمانية ذهبية على ان تبيعها للأهلين بخمسة وأربعين ليرة عثمانية وبعد خصم ستة في المئة فائدة لرأس المال توزع الارباح ثلاثة أثلاث ثلث للحكومة والثلث الثاني للمصرف الزراعي والثلث الثالث لمصلحة المياه لتضاف على حساب الاحتياط ، والسلف الاخرى يبلغ مقدارها ثلاثمئة وعشرة آلاف ليرة سورية عقدت اللجنة اتفاقات موقتة بشأنها ورهنت لقاءها قيمة شلال الهامة وقيمة المبالغ التي يمكن استردادها من الجمارك لقاء رسوم المواد الاولية التي استعملت في الاعمال الانشائية للمشروع ولكننا لم نوفق لايجار الشلال بعد ان أعلنت اللجنة عنه مدة ستة شهور ولم يتقدم طالب له ولذلك اصبحت هذه السلف مستحقة الاداء غير ان وزارة المالية الآن تبذل جهدها الصادق لمعاونتنا لأجل تحويل هذه السلف الى قروض ثابتة يتفق على شرائط ادائها لقاء مشترى امتار بقيمتها . ويبقى مقدار خمسة آلاف ليرة عثمانية ونيف لتغطية جميع النفقات وهي قيمة التأمينات المحسومة على المتعهدين وستكون مستحقة الاداء بعد سنة من استلام الاشغال الموقت وتستوفيها الادارة من واردات

الاستثمار . والأمل كبير جداً انه سوف لا يمضي خمس سنوات من تاريخ وصول الماء الى المدينة حتى تبيع المالية جميع الامتار الموجودة لديها وبذلك توفي جميع ديون المشروع وبعدئذ يرصد قيمة الف متر كمبلغ احتياطي كما هو نص المادة التاسعة من شرائط جمعية ملاكي الماء وواردات المشروع بعدئذ ترصد لمنافع مدينة دمشق الصحية والعمرانية بعد تغطية نفقات الاستثمار والاصلاح بعد اتمام جميع الاعمال الانشائية المتممة بحسب توسع المدينة في عمرانها وما يرى ضرورة لانشائه في المستقبل كما هو نص المادتين الثامنة والتاسعة من الاتفاقية المعقودة بين وزارة المالية واللجنة بتاريخ ٢٠ ايار سنة ١٩٣١ والمصادق عليها من المفوض السامي ، وهكذا تسير اعمال المشروع من الوجهة المالية من حسن الى أحسن وستستفيد من موارده ومنشآته الصحية والعمرانية هذه المدينة وأبناؤها مدى الاجيال المقبلة .

وبهذه المناسبة أرى الواجب يتقاضاني لتقديم شكر لجنة الفيجة أمام هذا الملأ الى جميع الحكومات السورية التي تعاقبت على منصات الحكم منذ تأسيس هذا المشروع الى الآن لأنها كلها بذلت عنايتها ومعاونتها المالية والفنية في سبيل تحقيق انجازه وانشائه وهذه وزارة المالية الآن التي لها كل الحق بمطالبة اللجنة بقيمة الثلاثمئة والعشرة آلاف ليرة سورية والتي اصبحت مستحقة الاداء بحسب الاتفاقات الموقتة تبذل جهدها مع وجود العجز المعروف في ميزانية هذه السنة لتحويل هذه السلف الى قروض ثابتة بشرائط حسنة خدمة لهذا المشروع العظيم .

وأشكر الذين كانوا عوناً لنا من وطنيين وأجانب في تذليل العقبات المالية والفنية التي لم يكن تذليلها بالشيء اليسير في مثل هذه الازمة الاقتصادية العامة .

كما اني أشكر جميع اصحاب العزائم القوية والضمائر الطاهرة من رجال هذه الامة واعضاء اللجنة وكذلك لا بد من كلمة شكر واعجاب المهندس القدير خالد سعيد بك الحكيم الذي كان في رئاسته الفنية لهذا المشروع مثال الجد والاستقامة ، والمهندسين الآخرين الذين لهم الخدمات النافعة في هذا المشروع والشكر ايضاً لارباب الصحافة الذين عاونوا وبذلوا مايستطيعون في سبيل هذا العمل الذي نحتفل بانهائه الآن .

ربما يتساءل بعضكم عن اسباب هذه الزيادة الكبيرة في نفقات المشروع وأرى الواجب في مثل هذا الموقف يدعوني لان أدلي اليكم ببعضها بصورة موجزة لتعلموا اسبابها وعواملها ، فقد علمنا الاختبار انه يصعب جداً تقدير قيمة مثل هذه الاعمال الكبيرة تقديراً تاما وتعيين مدة انجازها بالنظر لفقدان الوسائط الفنية والميكانيكية عندنا والزمن الذي تحتاجه لجلبها من اوربا . والحوادث دلتنا ان كثيراً من الاعمال التي هي اصغر من مشروع جلب مياه عين الفيجة تصاب بمثل ما أصيب به مشروعنا الذي يعد من اعظم المشاريع التي قامت في البلاد من عدم امكان ضبط تقدير موازنته بالنظر للمفاجآت التي تحصل اثناء العمل ولعدم استكمال الاسباب الفنية الدقيقة .

ومثال ذلك حوض صدور الماء بنبع الفيجة . لقد كان مقدراً له ١٥٠٠ ليرة عثمانية ذهبية فكلف حين التطبيق عشرة امثال هذه القيمة للقيام بحفر أساسات سدوده العظيمة وجدرانه المتينة مع وجود ضغط تدفق المياه وذلك بالاتفاق مع الهيئات الفنية كلها .

وكذلك القول بشأن شبكة القساطل داخل المدينة فان عدم وجود مصور كامل لمدينة دمشق كان سبباً لزيادة كلف وقيمة قساطل شبكة

التوزيع في جميع شوارع وأزقة ومنافذ المدينة في المئة خمسين عن التقدير السابق ، وكمية القساطل والادوات التي استهلكت ووضعت في الطرق العديدة والجادات الجديدة كانت أضعاف ما كان مقدراً لها من قبل ذلك لتأمين توزيع الماء حين وصوله الى جميع المكتتبين في جميع احياء المدينة .

وكذلك القول بشأن المفاجآت المزعجة التي لم تكن محسوبة في داخل الانفاق مثل الانهيارات وصعوبة الحفر في الارض الصخرية الصلبة التي اضطرت الادارة بعد ابحاث طويلة وبالاتفاق مع وزارة الاشغال العامة لعقد اتفاق خاص مع المتعهد لحفرها بالوسائط الميكانيكية التي تعين سعرها بعد التجارب العديدة التي جرت من قبل الادارة والمتعهد وبطريقة التحكيم المتفق عليه قبلا وكان نتيجة ذلك ان اللجنة اضطرت لدفع قيمة هذه الوسائط التي لا يمكن حفر الانفاق الصلبة بدونها مقدار عشرين الف ليرة عثمانية ذهبية زيادة عما كان مقدراً لها من قبل .

وكذلك القول بشأن تفجر المياه ببعض الانفاق بجبال الهامة والقيام بحفر خنادق لأجل تصريفها وتنظيفها بصورة دائمة وقد استغرق هذا العمل وقتاً طويلا بالرغم من اشتغال الورشات ليلا ونهاراً وكذلك القول ببناء الانفاق كلها بالبتون المسلح بصورة جيدة تعيش احقابا متطاولة وقد كان يظن من قبل انه يكتفى ببناء القسم الواقع في الاراضي غير الصلبة واما الاراضي الصخرية التي حفرت بالوسائط الميكانيكية فقد كان تقدير الهيئة الفنية الاولى انه يكتفى بطلائها بورقة من السمنت بدون بناء ولكنها حينما تعرضت للهواء وقبل ان تتعرض لرطوبة الماء ظهر

فيها بعض الانهيارات المتتابعة ولذلك قرر بالاتفاق مع وزارة الاشغال العامة بناؤها كلها بالاسمنت المسلح وتقدر الزيادة التي صرفت في هـذا السبيل بمقدار خمسين الف ليرة عثمانية ذهبية . كل ذلك اقتضى مصاريف طائلة ووقتاً طويلا لا يستطيع احد مهما بالغ في تقديراته ان يعين لها قيمتها ومدة عملها وهذا هو السبب الذي اضطر اللجنة لطلب معونة الحكومة باقراضها مبالغ متتابعة بحسب تقدم العمل والحاجة الماسة للاموال .

وأخيراً لا بد من القول ان الاعمال الانشائية جميعها قد طبقت على احسن وجه وأقوم مثال واني اعلن هنا انه لولا الجهود المبذولة والاوقات الاضافية التي يعمل بها موظفو مصلحة المياه سواء كان في الادارة او المحاسبة او في الهيئة الفنية لكانت نفقات العمل العام ضعفي ما هي عليه الآن ولقد كانت لجنة عين الفيجة وما زالت تقوم بعملها بضع سنين بمنتهى درجات العناية والاخلاص بدون أدنى مقابل ، وهـــذه نفقات المشروع العامة كلها منذ تأسيسه سنة ١٩٢٤ الى الآن لم تتجاوز في المئة سبعة ونصف من مجموع قيمة الاعمال وذلك بالنسبة للدرس الفني وادارة المشروع ومحاسبته ومراقبته وهذه النسبة تكون لدى جميع الادارات والشركات حول العشرين في المئة واكثر كما هو معلوم واني اعلن هذا الآن جهاراً نهاراً امام هذا الحفل الكبير ويثبت ذلك ارقام حسابات المشروع المدققة والتي تسير على اضبط نظام وأوضح بيان والتي كانت وما زالت موضع اعجاب المفتشين والمحاسبين .

اقول هذا دحضاً لدعايات ارباب النيـة السيئة والأنانيين الذين يسوؤهم نجاح الاعمال الوطنية والذين لا يلذ لهم الا مقاومة الفضيلة ولكن الله يأبى الا ان يتم نوره وللباطل جولة ثم يضمحل وهذه

اعمال المشروع وحساباته وادارته التي تخضع لقانونه وأنظمته تعلن عن اعماله بأجلى بيان والسلام .

وفيما يلي نثبت كلمة فخامة رئيس الجمهورية السورية محمد علي بك العابد التي ألقاها في هذا الاحتفال العظيم وهذا نصها :

خطاب رئيس الجمهورية

أيها السادة :

نحتفل في هذه الساعة بنجاح هذا المشروع الوطني العظيم الذي فيه حياة لعاصمة الشام ومنافع كبيرة لأهلها والذي هو مثال يحتذى للأعمال العامة التي تقوم على الاخلاص التام والتجرد المطلق ومعالجة الصعاب .

وإني أغتبط الاغتباط كله بان تكون هذه النهاية الطيبة في بدء عهدنا الدستوري وفاتحة يمن لما سيجري فيه ان شاء الله من الاعمال المفيدة .

ويجدر بي ان أقدم عظيم شكري لاعضاء لجنة الفيجة وجميع مؤازريها وخاصة رجلها العامل لطفي بك الحفار الذي مابرح ينفق وقته الثمين وتفكيره الناضج في سبيل نجاح هذا المشروع وحسن القيام عليه .

ولا بد لي ان اذكر ايضاً المعونة التي أسداها ممثلو الدولة الفرنسية لهذا المشروع منذ بدىء به الى هذا التاريخ فاستحقوا بذلك شكر القائمين به وحسن ثنائهم .

وبعد فليكن هذا المشروع قدوة صالحة في مظاهره المختلفة وأسسه القويمة وحسبي ما قلت فيه لأن نتائجه شاهدة له وأبلغ الاقوال ما كانت شواهده الاعمال والسلام .

الصعاب والعقبات التي صادفها مشروع عين الفيجة (للتاريخ)

نشر في العدد ٢١٣ من جريدة الايام
الصادر بتاريخ ١٧ آب ١٩٣٢

احتفلت دمشق خلال عطلة « الايام » بتدشين مشروع الفيجة العظيم وترى هذه الجريدة حقاً عليها ان تفي هذا المشروع حقه ولو بايجاز ، وقد عهدنا الى أحد محرري « الايام » ان يكتب شيئاً عن هذا الموضوع فوافانا بالمقال الآتي :

مشروع الفيجة الذي دشنته المدينة بمهرجان عظيم لم تشهد دمشق مثله منذ عهد الاحتلال ، حجر الزاوية في بناء هيكل المشاريع الاقتصادية الوطنية ، فاذا انتعشنا وتفتحت قلوبنا لنجاحه فلأننا نرى في هـــذا النجاح باكورة نطمئن معها على حياة بلادنا الاقتصادية وامكان قيام الاعمال الحيوية الكبرى فيها . ولقد نجح مشروع الفيجة بصورة باهرة على قلة المؤمنين بنجاحه ، وكثرة الهازئين من القائمين عليه ، وكان نجاحه مثاراً لاعجاب رجال الفن والادارة من الأجانب وسبيلا لايمانهم بان كل عمل يقوم على الاخلاص والدأب والغيرة والثبات مضمون له مثل النجاح الذي صادفه مشروع الفيجة في نهايته الطيبة .

ولمشروع الفيجة أثر بارز ، سيكون للأجيال القادمة منه أوفى نصيب ، وسيحدث في الاحوال العمرانية والصحية والاقتصادية انقلابا

نلمس أثره بعد حين ، فاذا حدثنا عنه ودوّنا الاطوار التي مرت عليه منذ تأسيسه فانما نحدّث وندوّن للتاريخ .

لقد كانت اعمال المشروع محفوفة بالصعاب منذ يوم تأسيسه ولقد صادفته عقبات وأخطار كادت تقضي عليه لولا نشاط القائمين به واندفاعهم واخلاصهم لانتشاله من مخالب الخطر المحدق .

في أواسط شهر آب ١٩٢٢ ترامى الى الغرفة التجارية في دمشق ان شركة مياه بيروت الفرنسية وشركة اخرى يقوم بتأسيسها القومندان فيريه مستشار البلدية ، تعضدهما بعض المراجع الرسمية ، تعملان على أخذ امتياز جر مياه الفيجة الى مدينة دمشق ، ففكرت الغرفة التجارية في دعوة فريق من رجال المال والاقتصاد في المدينة لتأسيس شركة وطنية تتقدم بطلب الامتياز مقاومة لفكرة الشركتين الاجنبيتين .

وقد تألفت هذه الشركة من اربعة وعشرين عضواً مؤسساً تعهد كل منهم بدفع خمسمئة ليرة عثمانية ذهباً للدرس الابتدائي . وبعد ان والى المؤسسون اجتماعاتهم لدرس المشروع دعي الاستاذ فارس بك الخوري لاحدى الجلسات فتقدم بالاقتراح الذي سار عليه المشروع والذي حول مجراه من شركة وطنية استثمارية الى مشروع اهلي تعاوني .

ولقد اطلعنا في النشرة الشهرية للغرفة التجارية لشهري تموز وآب ١٩٢٢ على ما نصه :

ان لجنة تألفت قوامها كل من السادة عارف الحلبوني ، لطفي الحفار فارس الخوري ، سامي مردم بك ، سعيد اليوسف ، اكليل المؤيد ، يحيى الصواف ، احمد دياب ، عطا العظمة ، انطون السيوفي ، المسيو

ديلبتينيير مستشار النافعة ، المسيو سيرو مستشار العدلية ، المسيو بورتاليس مستشار البلديات لبيان رأيها في المشروع الذي قدمته الغرفة التجارية .

وما زالت هذه اللجنة الا قليلا من اعضائها توالي اجتماعاتها لدرس المشروع ووضع شروطه وقوانينه الى ان اتفقت كلمتها على ان يؤخذ الامتياز باسم بلدية دمشق وعلى ان يعرض المشروع للاكتتاب العام بقيمة الكلف والمصاريف فقط على ان لا يحال لا كلا ولا بعضاً الى شركة ولا الى اي كان بل يبقى ملكا للبلدة تقوم بالاشراف عليه « لجنة عين الفيجة » التي تتألف من ممثلي نقابة ملاكي المياه الثمانية ومن الاعضاء الطبيعيين كما ورد في المادة السادسة من المقاولة المعقودة بين حاكم دمشق ورئيس بلديتها ، والاعضاء الطبيعيون هم رئيس بلدية دمشق وعضو منها ، ورئيس الغرفة التجارية وعضو منها ، والرئيس الفني لادارة النافعة لتمثيل الحكومة من الوجهة الفنية والمحاسب المركزي لتمثيل الحكومة من الوجهة المالية . ولقد درس المشروع من الوجهة الهندسية الفنية بصورة دقيقة جداً وتقررت ميزانية هذه اللجنة للدرس الفني منذ شهر حزيران الماضي ، وقد كاد يتم بصورة جيدة ، وتقرر صرف ميزانية هذه اللجنة من صندوق بلدية دمشق على ان يكون ما يصرفه في هذا السبيل قرضاً يستوفيه من صندوق المشروع حين ابتداء العمل في القريب العاجل ان شاء الله .

ولقد كانت تقع اختلافات فيما بين الاعضاء تقضي بها حتما كيفية تأليف اللجنة من عناصر لا تشعر نحو المشروع شعوراً واحداً ولكن تلك المنازعات كانت تنتهي دائماً بغلبة الفكرة المجردة المخلصة . ولما أتمت اللجنة وضع شروط صك الامتياز تقدمت بطلب امتياز المشروع

من المفوضية الافرنسية صاحبة هذه السلطة الآن وكانت الفرصة سانحة اذ ذاك لوجود احد اعضاء اللجنة العاملين الاستاذ لطفي الحفار عضواً في لجنة الدروس الاقتصادية التي كانت تجتمع خلال كل شهرين تحت رئاسة المفوض الفرنسي الجنرال ويغان . ولقد ساعد وجوده في هذه اللجنة على بسط نظرية اهل البلاد بصورة وافية فيما يتعلق بالمشروع ومحاربة دعايات الشركات الاجنبية وهدم العراقيل التي كانوا يضعونها في سبيل الحصول على امتياز المشروع وقد انقضت مدة لا تقل عن سنة ونصف السنة اسفرت الجهود خلالها عن مصادقة المفوضية على الامتياز باسم بلدية دمشق بالشرائط والأنظمة الموجودة الآن وذلك في ٢٤ شباط سنة ١٩٢٤ . ولهذه المصادقة اسباب عظيمة تتعلق بنزاهة واخلاص القائمين على العمل لا مجال لبيانها الآن .

ثم طرحت اللجنة المؤسسة المشروع للاكتتاب وقامت بواجبها في الدعوة اليه خير قيام وقاومت كثيراً من العراقيل والعقبات التي اعترضت سبيله حتى ذللتها وتغلبت عليها .

وفي ٢٤ ايار سنة ١٩٢٥ دعت الهيئة المؤسسة عامة المكتتبين لانتخاب نقابة جمعية ملاكي الماء وقد جرى الانتخاب في قاعة المجلس البلدي وتألفت لجنة عين الفيجة التي قامت بالاعمال الانشائية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم بحسب شرائط نص الامتياز .

ساء الشركات الاجنبية وخاصة شركة مياه بيروت نجاح اللجنة البلدية في الحصول على امتياز المشروع فراحت تعمل لاحباط سعي لجنة عين الفيجة واقناع بعض اعضائها النافذين في العدول عن مشروعهم لما يتطلبه ابراز هذا المشروع لحيز العمل من الدقة الفنية والمهارة التي

لا تتوفر الا لدى الشركات القوية في تأسيسها وعددها . وقد استدعى المسيو شوفلر المندوب المفوض الافرنسي في دمشق اذ ذاك عارف بك الحلبوني ولطفي بك الحفار وطلب اليهما للاسباب المتقدمة التنازل عن امتياز المشروع لشركة مياه بيروت لقاء خمسة عشر الف سهم في هذا المشروع قيمة السهم ليرة عثمانية ذهبية مع تعويض سنوي بصفتهما نائبي رئيس الشركة لا يقل عن خمسمائة ليرة عثمانية ذهبية . فأبيا ايماناً بان هذا المشروع سوف تذلل العقبات في سبيل تنفيذه وحرصاً على بقائه وطنياً صرفا لا تناله الاطماع الأجنبية .

وكذلك تم لهذا المشروع ما أراده له المخلصون وتفردت المدينة بامتيازه وانتشل من براثن شركات الاستثمار الجشعة لتعود فوائده على ابناء البلاد اصحاب الحق الاول فيه . وقد نجحت اعماله الفنية والمالية والادارية نجاحاً باهراً دل عليه اتمام اعمال هذا المشروع على أحسن منوال بالرغم عن العقبات الكأداء التي صادفها في جميع مراحل اعماله .

الحقائق والأرقام تتكلم (حديث)

نشر بجريدة (الايام) بتاريخ ٢٨ ب ١٩٣٢

حديث لمعالي الاستاذ لطفي بك الحفار

رأت « الايام » ان تستطلع آراء رجال المال والاقتصاد في اسباب الازمة الاقتصادية الحاضرة وطرق معالجتها فاوفدت احد محرريها الى الاقتصادي الكبير الاستاذ لطفي بك الحفار وطرح عليه اسئلة ثلاثة تتعلق بالأزمة نثبتها مع الاجوبة عليها فيما يلي :

١ — ماهي أهم الاسباب المحلية والعامة للأزمة الاقتصادية ؟

٢ — ماهي الطرق والأساليب التي ترونها كفيلة بتخفيف وطأة الازمة على قدر الامكان ؟

٣ — هل تتخذ الحكومة والمفوضية هذه الاساليب وتعمل بها تخفيفاً لوطأة الازمة ؟

وقد أجاب معالي لطفي بك على السؤال الاول وسننقل تتمة حديثه في الجواب على بقية الاسئلة في اعداد « الايام » المقبلة ، قال :

الفوضى الاقتصادية

تضاربت آراء الاقتصاديين والماليين في العالم في أسباب هذه الازمة

العالمية التي تطورت تطوراً غريباً في السنين الاخيرة ولا شك ان للفوضى الاقتصادية التي أعقبت الحرب العامة الاثر الكبير في البون الشاسع الذي وجد بين حالتي الاستهلاك والانتاج ، فقد كان اصحاب المعامل الاوربية يعملون لتسديد حاجات اقطار عظيمة جداً توالت طلباتها بكثرة هائلة بعد الحرب العامة ، ولكنها خسرتها تماما بعد زمن قليل بسبب الحالات السياسية التي نشأت عن الحرب . فالقارة الاسيوية التي تضم الملايين من البشر كالصين والهند وقسم كبير من روسيا تطورت فيها الاحوال السياسية والصناعية بعد الحرب العامة تطوراً عظيما كان من اقل نتائجه خسارة هذه الاسواق الكبيرة بالنسبة للمعامل الاوربية .

ضياع توازن الاستهلاك

على ان اندفاع اصحاب المعامل في مضاعفة الانتاج بسبب الطلبات الهائلة التي اعقبت الحرب اوجدهم فجأة امام هوة سحيقة ضاع بسببها توازن الاستهلاك ضياعا كبيراً .

العوامل الرئيسية

اضف الى ذلك المزاحمة الحديثة التي نشأت عن المصانع اليابانية ، ثم طغيان الحاصلات الروسية على الاسواق الاوربية ، ثم عجز الدول الاوربية عن توزيع الذهب في العالم توزيعاً عادلا ، وضغط الدول القوية على الدول المغلوبة على امرها في الحرب العامة في قضية التعويضات والعمل بصورة جدية لأخذ اقصى ما يمكن أخذه خاصة من المانيا ، كل ذلك كان من العوامل الرئيسية لهذه الازمة الاقتصادية العامة التي

أدت الى انتباه رجال المال والاعمال الى هذه العلل المتقدمة فبدأت المعامل تعمل حسابها بالنسبة للانتاج وتصريفه في الاسواق التي بقيت لها ، وبدأت الدول من جهتها تعمل ايضاً عملا جديا لايقاف تيار استيراد الذهب واكتنازه خاصة من قبل دولتي فرنسا وانكلترا ، فقد كان هذا من العوامل الكبرى للتأثير على اسعار النقد العالمي .

نجاح مؤتمر لوزان

ثم ان نجاح مؤتمر لوزان الذي عقد لبحث التعويضات مؤخراً والغائها جعل املاً كبيراً في الاسواق العالمية لاسترداد نشاطها التجاري والصناعي ولوضع حد لهذه الازمة العالمية الخانقة . ولقد قرأنا كثيراً لبعض كبار رجال المال والاعمال في العالم ابحاثاً تقول لو ان مؤتمر تحديد التسلح كان نصيبه النجاح الذي صادفه مؤتمر التعويضات لامكننا القول بان ظل الأزمة العالمية قد بدأ بالتقلص والاضمحلال .

اتصال سورية بالأزمة العالمية

ولا يعجبن احد اذا اهتممنا ببحث هذه الازمة العالمية ونحن في بلادنا هذه الصغيرة الفقيرة بعيدون عن مؤثراتها الكبرى ونتائجها . اذ أننا الآن في وسط عالمي وثيق الاتصال باجزائه بالنسبة لوسائط النقل والانتقال السريعة الفعالة ولذلك فبامكاننا ان نقول ان الازمة العالمية أثرت في هذه البلاد تأثيراً فعلياً .

سوريو اميركا والازمة

عندنا احصاءات دقيقة تثبت بان المهاجرين السوريين في اميركا

كانوا يرسلون الى سوريا ولبنان سنويا مقدار ثلاثين مليون فرنكا ذهبياً نصيب لبنان منها عشرون ونصيب سوريا عشرة ، ونعتقد ان هـــذه النسبة قد تنازلت منذ عام ١٩٢٥ حتى الآن الى الربع وفي السنتين الاخيرتين الى العشر . ثم ان خسارة مواسم الاصطياف والسياحة في لبنان وسوريا من جراء هذه الازمة العالمية لا تقل عن نصف مليون ليرة ذهبية .

وفوق ذلك فقد أثر نزول اسعار الاسهم المالية وفوائدها التي يملك منها السوريون في البلاد والمهجر مبالغ طائلة .

هذا من حيث تأثير الازمة العالمية على البلاد السورية .

الاسباب المحلية

أما من الوجهة المحلية فماذا تريد ان نعدد لك من الاسباب ؟ انها كثيرة جداً ومتشعبة وسأجتزىء لك قسما يسيراً منها بايجاز واقتضاب .

تجزئة البلاد

١ — تجزئة البلاد السورية وعدم التمكن من عقد اتفاقات جمركية بين هذه البلاد المجزأة وبين البلاد المجاورة كالعراق وتركيا ومصر رغم كثرة العلائق الصناعية والتجارية والزراعية التي تربط هـــذه البلاد ببعضها .

السياسة الجمركية

٢ — السياسة الجمركية التي يسير عليها رجال المفوضية الافرنسية

والتي كان من أقل نتائجها القضاء على صناعة البلاد وتجارتها ولو ألهمهم الله الرشد في اتباع آراء الخبراء من رجال الغرف التجارية الذين لم يدخروا وسعاً في ارسال التقارير الضافية لبيان ما يجب اتباعه في وضع الانظمة والتعرفات الجمركية لحماية المنتوجات الصناعية والحاصلات الزراعية حماية تؤثر في رواج هذه المنتوجات والحاصلات في البلاد المجاورة وفي زيادة الواردات الجمركية ، لأنقذت البلاد مما هي فيه لا سيما بعد ان اتضح لهم ان ما يعرفه ابناء البلاد في كثير من الشؤون والاحوال المحلية يصعب على الاجنبي ادراكه مهما كان فطناً وعالماً الا بعد وقت طويل وتجارب قاسية ، فلقد بحّت اصوات التجار وارباب الصناعة هنا لأجل توحيد الرسوم الجمركية مثلا على المواد الصناعية الاولية فيما بين سوريا ولبنان وأرسلت الايضاحات والاحصاءات الكافية لبيان الاضرار التي تنتاب الصناعة السورية فيما اذا بقيت الحالة كما هي عليه الآن من اعفاء المواد الاولية في فلسطين من الرسوم الجمركية ووضع الرسوم الفاحشة عليها في البلاد السورية . ولكن هذه المطالب لم يكن نصيبها الا الاهمال فكان من نتائج ذلك ان انتقلت صناعة النسيج القطني والحريري والصباغة والسكاكر على اختلاف انواعها الى البلاد المجاورة وخسرتها بلادنا خسراناً ابديا فتعطلت بذلك التجارة والصناعة والأيدي العاملة .

خسارة سورية

ولا مجال للافاضة فيما يتعلق بخسارة البلاد السورية لتجارة الصادرات مع تركيا والعراق ومصر ، فلقد كانت هذه التجارة تؤلف مورداً

كبيراً لسوريا نضب معينه في المدة الأخيرة فاوقع تجارة البلاد وصناعتها في شلل عام .

استئثار المفوضية

ومن العوامل الأساسية لهذه الأزمة المحلية عدم عودة قسم من الواردات الجمركية الى صناديق البلاد العامة واستئثار المفوضية بها ، فواردات الجمارك كما هو معلوم تعد في الميزان الاقتصادي من اهم موارد الضرائب غير المباشرة ويا ويل أمة تدفع ضرائبها فلا تعود هذه الضرائب الى خزائنها العامة .

حساب الواردات

ولم تطلع البلاد على حساب الواردات الجمركية الا في سنة ١٩٢٦ حينما قدمت المفوضية بياناً عنها الى عصبة الامم ، فاذا بها تتراوح بين مليونين ومليونين ونصف ليرة ذهبية سنويا .

اما واردات الجمارك منذ سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٢٥ فهي تربو على الثلاثة ملايين ليرة ذهبية سنويا . على انه لم يطلع احد من ابناء البلاد على حساباتها بعد ولا ندري ماذا كان يعود على صناديق الدول من الحصة الجمركية التي غبنت فيها سوريا غبناً فاحشاً . ولقد استطعت سنة ١٩٢٥ – ١٩٢٦ ان أبرهن للمفوضية العليا باحصاءات دقيقة وبراهين قاطعة ان حصة البلاد التي كانت تسمى بالاتحاد السوري يومئذ وهي تضم سوريا مع العلويين ولواء اسكندرون وجبل الدروز يجب ان تكون سبعين في المائة ، ولم يستطع احد ان يساجلني في صحة ما تقدم بالنظر للتقارير الضافية التي قدمتها وقتئذ مؤيدة بالحجج والارقام وهي

موجودة لدى دوائر المفوضية في بيروت والحكومات السورية .

وبالرغم من جعل نصيب سوريا من هذه الحصص ٤٢ في المائة ، فأنا اعتقد ان الحكومات السورية التي تعاقبت على الحكم لم تنهض للمطالبة بهذه الحصة ولذلك لم يعد الا نزر يسير مما تدفعه البلاد السورية للجمارك الى صناديقها العامة .

ميزانيات الحكومة السورية

ثم ان من العوامل المحلية لهذه الأزمة عدم وضع موازنة الحكومة السورية التي تربو وارداتها في السنين الماضية على عشرة ملايين ليرة سورية بشكل مالي دقيق يكون من نتائجه عودة قسم من هذه الاموال للاعمال المنتجة ، فأين هي المشاريع العمرانية والطرق الزراعية والمؤسسات الصناعية والمختبرات الكيماوية لدرس طبيعة الاراضي والاتربة والدوائر الهندسية لدرس طرق الري في هذه الانهار الواسعة والسهول الشاسعة التي تضمها البلاد السورية درساً فنياً صحيحاً .

نقول بكل أسف إنه لم يكن شيء من ذلك بل كانت هذه الميزانيات الضخمة تصرف على الاهواء وسياسة الارضاء وان شئت فقل الاغواء والافساد الاخلاقي وعلى ما يعود على البلاد بالضرر بدل النفع .

وهل تسألني بعد ان اجملت لك ما تقدم — وكل موضوع من هذه المواضيع يحتاج الى تطويل واسهاب — عن عوامل الأزمة المحلية ؟!

أقول لك بكل أسف ان هذه العوامل تكفي وحدها للقضاء على اغنى امة اذا مر عليها هذا الوقت الطويل الذي مر علينا بالتجارب القاسية .

المؤتمر الاقتصادي العام

نشر في العدد ٣٠٧ من جريدة (القبس)
الصادر بتاريخ ٢٤ آذار ١٩٣٣

حديث معالي لطفي بك الحفار

عاد الى دمشق النائب المحترم لطفي بك الحفار ونائب رئيس الغرفة التجارية وعضو وفد الغرفة في المؤتمر الاقتصادي العام بعد ان اشترك في مباحثات المؤتمر المذكور الذي عقد في بيروت من صباح الاثنين الى مساء الاربعاء ـ امس ـ وكانت له اليد الكبرى في المقترحات التي أخذ بها المؤتمر والتقارير التي وضعها . وقد اوفدت « القبس » احد محرريها الى لطفي بك فتفضل حضرته وأدلى الى « القبس » بالحديث القيم التالي :

اجتماع موفق

س : كيف كان اجتماع مؤتمر الغرف التجارية ؟

ج : كان الاجتماع موفقاً وكانت الغرف التجارية السورية واللبنانية ممثلة فيه تمثيلا صادقاً ، وقد انصرفت عناية المؤتمرين الى درس الحالة الاقتصادية والتجارية في سوريا ولبنان وعوامل انحطاطها وتأخرها بغية الوصول الى الحقيقة وتصويرها دون أدنى مبالغة مع درس الدواء الناجع .

ولقد أراد المجتمعون ان يقدموا في درسهم الاهم على المهم ، لأنهم مقدرون هذا الخطر المحدق بهم وبتجارة البلاد وعلائقها الاقتصادية تقديراً صحيحاً يدركون نتائجه السيئة التي لمسوا بعضها الآن . ولا انكر اعجابي وتقديري لجميع رجالات المؤتمر الذين كانوا يعملون بروح التجرد والاخلاص للوصول الى النتيجة المطلوبة .

اعمال المؤتمر

س : هل تمت اعمال المؤتمر وما هي ؟

ج : حينما اجتمع المؤتمر قرر بعض النقاط الأساسية التي يجب معالجتها وانتخب لجنة فرعية لوضع التقرير ودرس هذه النقاط وقد عملت هذه اللجنة بصورة متواصلة ليل نهار حتى أتمت وضع تقريرها . وقد تلته امام الهيئة العامة في الجلسة الثانية وبعد المذاكرة فيه اثناء جلستين متواليتين تم وضعه وبدىء بترجمته الى الافرنسية لغة المحتلين .

وقد تذاكر المؤتمر في جملة اقتراحات عرضت عليه لكي لا تبقى قراراته هذه حبراً على ورق . ذلك لان جميع اعضاء المؤتمر كانوا يشعرون بان عدم وضع تقارير هذه المؤتمرات مع تقارير الغرف التجارية التي مازالت ترسلها الى المفوضية العليا موضع العمل والتنفيذ كان من اهم عوامل هذه الاغلاط والخطيئات التي وقعت بها مفتشية الجمارك وسببت هذه الاضرار على التجارة والتجار .

مؤتمر سنة ١٩٢٩

وهذا تقرير المؤتمر الاقتصادي الصناعي الذي اجتمع في مدينة دمشق سنة ١٩٢٩ ايام المعرض الصناعي وقد كان من اهم التقارير

الاقتصادية والتجارية التي وضعت لوصف الداء والدواء وصفاً ضافياً ودقيقاً وكان موضع الاهتمام والدرس من قبل دوائر المفوضية العليا التي دعت وقتئذ اللجنة التنفيذية للمناقشة فيه . وبعد ان وافقت على معظم الاقتراحات التي وردت فيه وانتظرت البلاد القيام بالتنفيذ كانت النتيجة سلبية تماما ولم يتم ـ ويا للأسف ـ تنفيذ شيء .

ليس لهم آذان سامعة

وما زالت الحالة تسير من سيء الى أسوأ حتى وصلت الى ما هي عليه الآن . واذا رجعنا الى ايام الجنرال « فيغان » الذي كان يهتم بمثل هذه القضايا اهتماما شديداً وقد الف لجنة الدروس الاقتصادية وكانت تجتمع تحت رئاسته من حين الى آخر ، واذكر انني قدمت لها جملة تقارير تتعلق بالسياسة الجمركية ووجوب الاسراع لعقد الاتفاقات الجمركية مع البلاد المجاورة والاهتمام برأي الغرف التجارية حين وضع التعريفات الجمركية وغير ذلك ، اذا رجعنا الى ذلك العهد رأينا ان عدم سماع هذه الطلبات والاصغاء لهذه الشكوى ووضع حد لها كان من اهم العوامل الفعالة في هذا الضعف والتأخر التجاري والاقتصادي الذي انتاب البلاد السورية اللبنانية . ولذلك كانت عوامل اليأس والألم سائدة على نفوس المجتمعين في المؤتمر ، ومع كل ذلك فقد كنا نرى الواجب يتقاضانا القيام بهذه المحاولة الاخيرة . ولهذا قرر مؤتمر الغرف التجارية قراراً ثانياً يتعلق بكيفية درس تقريره الاخير ووسائل تنفيذه وستطلعون عليه حينما يوزع عليكم مساء الغد .

كيفية جريان المذاكرت

س : كيف كانت المذاكرة تجري ومن قام بتقديم الاقتراحات وكتابة التقارير ؟

ج : بما ان جلسات المؤتمر كانت سرية ولم يسمح لأحد من الصحافيين ولا من غيرهم حضور هذه الجلسات فلا يمكنني ان اوضح لكم هذه التفاصيل التي لا فائدة من ذكرها الآن الا اعلان اعمال المؤتمر . ومع اعتقادي بان هذا لا يخلو من فائدة ولكنني نزولا عند قرار المؤتمر ارجو إعفائي من الاجابة عما طلبتم وعلى كل حال فان تقرير المؤتمر سيرسل لكم مع البريد مساء الغد بعد ان تتم ترجمته ليقدم الى المفوضية العليا ويسلم الى الصحف في بيروت ودمشق بوقت واحد .

والذي يمكنني ان اقوله الآن ان رجال المؤتمر قد قاموا بواجبهم خير قيام على ما أعتقد . وما على الرجال المسؤولين الا ان يتحملوا المسؤولية الكبرى الملقاة على أعناقهم لأن الموقف دقيق ويحتاج الى العناية والجد .

شكر لا بد منه

ولا يسعني في هذه المناسبة الا تقديم شكري وشكر جميع اخواني من مندوبي غرف التجارة في الداخل لما لاقيناه من التشجيع والتأييد وخاصة من رجال المال والاعمال في مدينة بيروت ومن غرفتها التجارية ورئيسها الاقتصادي المفكر الذي كان وما يزال عاملا مخلصاً للقضايا العامة النافعة .

نشر في جريدة (فتى العرب) الصادرة
بتاريخ ٣١ تموز ١٩٣٣

حديث معالي الاستاذ لطفي بك الحفار

قابل مدير مكتب الاخبار معالي الاستاذ لطفي بك الحفار عضو اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية وتحدث اليه عما أسفر عنه اجتماع اللجنة التنفيذية من قرارات فقال :

لقد عقدت اللجنة التنفيذية اربعة اجتماعات استعرضت فيها الحالة التجارية العامة من سائر وجوهها ودرست الوسائل التي يمكن التذرع بها وقدرت ما يحيط بمهمتها في حالات استثنائية خاصة بعد تقيدها في اجتماعها السابق منذ شهرين بمقررات رأت ان حالة البلاد والاضطراب الذي تعانيه حملاها على اتخاذها فرأت الآن بمناسبة تبديل المفوض السامي بمفوض جديد الاكتفاء بتنظيم تقرير مفصل عن حالة البلاد الاقتصادية وعلاقتها بالاحوال السياسية ولفت نظره الى ضرورة وضع سياسة جمركية تؤدي الى الانتعاش الاقتصادي والصناعي والزراعي على ان يرسل هذا التقرير المفصل الى المفوض الجديد في باريس عن طريق المفوضية هنا فوزارة الخارجية ليطلع منه على الحالة التجارية والمالية والاقتصادية منذ بدء الاحتلال حتى اليوم .

وقد وضعت اللجنة التنفيذية هذا التقرير المفصل ؛ ملأته بالمتسندات والارقام وشرحت فيه الحالة شرحاً مفصلا دقيقاً ، وهي تعمل الآن على ترجمته الى الافرنسية لتبعث به الى فخامته في باريس .

ورأت اللجنة ان تقوم الآن بهذا التدبير الذي لم تجد بداً من الالتجاء اليه لئلا يجد نفسه امام تدابير مفاجئة يقال بأنه لم يطلع على دواعيها وبواعثها ويدرك بمطالعة التقرير المذكور انا لم نأل جهداً في الاعراب عن حسن نيتنا وصادق رغبتنا في ايجاد الحلول الصالحة لهذه المسألة الحيوية بالتعاون مع السلطات والتفاهم معها بنزاهة وتجرد .

اللجنة ودراسة الحالة الاقتصادية وعلاقتها بالوضع السياسي

واللجنة تعتقد بأنها في أخذها الآن بهذه الطريقة بذلت آخر جهد لها وبرهنت على صدق رغبتها في العمل لانقاذ البلاد من حالتها الحاضرة المزعجة بالتفاهم من رجال السلطة وليس يسع اي رجل منصف مطلع على الحالات القاهرة التي تعانيها اقتصادياتنا وزراعتنا وصناعتنا وفوضى التشريع الجمركي وعدم قيامه على اساس مصلحة البلاد الا تقدير اللجنة التنفيذية على هذه الفرصة التي أقامتها من جديد لفخامة المفوض السامي لدرس الحالة وايقافه على الوسائل والتدابير التي تزيل اسباب سوئها وفسادها .

وقررت اللجنة ان ترفق تقريرها المفصل هـــذا بتقرير مؤتمر الغرف التجارية الذي قدم للمفوضية بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٣٣ ونسخة عن تقرير المؤتمر الاقتصادي والصناعي الذي عقد بدمشق عام ١٩٢٩ .

وان اللجنة لترجو من صميم قلبها ان يشاطرها فخامة المندوب السامي

رغبتها في التعاون لانتشال اقتصادياتنا وزراعتنا وصناعاتنا وبلادنا من الفوضى والتلاشي اللذين تتحمل نتائجها المريرة بصبر واحتمال غريبين .

ماذا قرر المؤتمر ؟

س : هل اتخذتم مقررات ثانية تتعلق بموضوع مؤتمركم ؟

ج : لقد فكرت اللجنة التنفيذية في كل ما يجب عمله لانقاذ البلاد من الحالة الاقتصادية السيئة التي صارت اليها الاسواق المالية في الاسابيع المنصرمة ، ودرست بانعام قوة الاحتمال والجهد الذي تبذله البيوتات المالية لتركيز نفسها وحفظ توازنها واستمرارها على عملها واستعرضت هذه الحالة من سائر وجوهها اسبابا وعوامل فاتخذت في ذلك كله مقررات هي من الخطورة والأهمية بمكان واني لأصرح لك ان هذه المقررات تضمن للأسواق المالية اذا نفذت انتظام حالها وعودة الثقة اليها ولكن اللجنة رأت كتمان هذه المقررات الآن والتشبث بتطبيقها وتنفيذها في جو هادىء ساكن كما انها قررت التكتم بانتظار ما اذا كانت الحالة تستدعي دعوة هيئة المؤتمر العامة وعرض هذه المقررات عليه للموافقة عليها ، ثم اعلان كل ذلك للرأي العام ليصدر حكمه ...

الغرف التجارية والديون العمومية

س : قرأنا في الصحف أنكم أرسلتم الى المفوض السامي بالوكالة كتابا يتعلق بقضية الديون العامة فما هو هذا الكتاب وماذا فيه ؟

ج : نعم لقد أرسلنا هذا الكتاب فقد رأت اللجنة التنفيذية ان من واجبها درس هذه المسألة من وجهاتها العامة لعلاقتها الأساسية بثروة البلاد والديون التي تطالب بها خاصة وهذه القضية كانت

موضوع دراسة وبحث في المفوضية العليا ويتضمن الكتاب لفت انظار المفوض السامي الى هذه القضية الهامة التي لها علاقة كبيرة باقتصاديات البلاد، خاصة وان تقرير مؤتمر الغرف التجارية بحث هذه القضية في الفقرة الاخيرة من المادة الثانية منه وخلاصة الكتاب ان اللجنة التنفيذية ترغب من المفوض السامي الجديد تمكين سوريا من الاستفادة من التعديلات التي حصل عليها الاتراك سواء كان ذلك في كمية الدين او شروط الدفع .

س : ما هي الاسباب والوسائل التي ترون انها أسباب فعالة مؤدية لانقاذ البلاد من الأزمة التي تتخبط فيها هذا التخبط المؤذي ؟

ج : لقد فكرت كثيراً في هذه القضية أنا وإخواني وبالرغم من العوامل العديدة التي تبعث اليأس في النفوس من الوجهة الصناعية والسياسية والتجارية في سورية ولبنان معاً فاني أرى أن ماسردناه في تقرير مؤتمر الغرف التجارية الأخير من علاجات وتدابير أجلها التقرير المذكور ـ كما تعلم ـ في ست مواد وبسط أسبابها الموجبة، وانا ارى ان العمل بهذه المواد الست ووضعها موضع التنفيذ على اساس الاخلاص لمصلحة البلاد هو الذي ينقذنا من الحالة السيئة الحاضرة ولا سبيل لانعاش البلاد الاقتصادي والمالي الا بان يدخل انقلاب اساسي عام على اوضاع البلاد السياسية وعلى التشريع الجمركي القائم الآن يغير من روحه وطرائقه وأساليبه كما يجب ان يحدث مثل هذا الانقلاب في إدارة الجمارك نفسها واصول ادارتها خاصة بشكل يتلائم مع مصلحة البلاد الحقيقية ومع صدق الرغبة في انعاشها وازدهارها .

س : وسألنا محدثنا زيادة التفصيل عن كتاب اللجنة الى المفوضية بشأن الديون العامة فقال :

ج : الكتاب يتضمن ان المؤتمر لا يرى سبيلا لتقيد البلاد بما يقرر في الاجتماعات المعقودة لبحث قضية الديون العامة الا ان تطبق اتفاقية تركيا مع حملة اسهم الدين على سورية ولبنان وان يجري حساب ما دفعناه وما يترتب علينا دفعه على اساس التعديل الذي حصل عليه الترك فندفع اذا زاد علينا ونسترد اذا زاد لنا . كما اننا بحثنا في هذه المناسبة بالاضطراب السياسي الذي تتحمل جرائره بلادنا بسبب هذا الاسلوب الذي تقوم به دوائر المفوضية واستئثارها دون الأخذ برأي رجال البلاد من الوطنيين العاملين وانه لا بد من الاستجابة لما تطلبه البلاد من تحقيق السيادة والاستقلال والوحدة الشاملة وعلاقة كل ذلك بالاحوال الاقتصادية !

الى هنا انتهى الحديث فشكرنا لمعاليه هذه التصريحات وودعناه .

نشرته جريدة (لاحرار) البيروتية
الصادرة بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٣٣

حديث النائب الوطني الاستاذ لطفي بك الحفار

يكفي ان تجالسه دقيقتين ، لتشعر باخلاصه فهو مخلص ، في جهاده الوطني ، مخلص في أعماله العامة ، مخلص في صداقته وأحاديثه .

وهو اذا تحدث اليك عن عمل يسيء الى الامة شعرت بسرعة انه يتألم من اعماق نفسه .

وقد كان للاستاذ لطفي الحفار مواقف مختلفة في المجلس ، وكان لا يدع حادثا يستحق الدفاع ، دون ان يتبرع للدفاع عنه . واني لأتذكره دوما وهو واقف على منبر المجلس ، يخطب بصوت مرتفع ، وحماس شديد ، ورئة ملؤها الاخلاص والألم .

دخلنا عليه في مكتبه في دائرة الفيجة ، فاذا به منهمك في اعماله ، يوقع لهذا ، ويحادث ذاك بابتسامته المعروفة ..

ـ السلام عليكم ! ـ وعليكم السلام ..

ـ نريد حديثاً « لصوت الاحرار » عن الموقف الحاضر ؟

فترك دفتراً كان يوقع عليه وقال مبتسما :

ـ حديث ؟ .. هات لنشوف ! ..

الموقف الحاضر

س : ما هو رأيكم في الموقف الحاضر والحكومة الحاضرة ؟! ..

واستعد الاستاذ الحفار للاجابة وقال :

ج : الموقف الحاضر لا يتلاءم بأي وجه من الوجوه مع مصلحة البلاد السياسية والاقتصادية ؛ واني لا أنتظر قط اصلاحا مجديا وعملا نافعاً الا من الحكومات التي تمثل الفكرة الوطنية تمثيلا صحيحاً ؛ ولا يعني ذلك الا ان يكون رجالها من اصحاب المبادىء الذين يعتنقون مبادئهم عن عقيدة وايمان لا يتزلزل في مختلف المواقف ؛ لا ان تتخذ الدعايات « الوطنية » الباطلة سلما للوصول الى الاغراض والغايات .

وانه لمن المؤسف ان تقدم امثال هذه الحكومات في دور عصيب كهذا ، على انتهاج سياسة شخصية ليس من ورائها الا الهدم والدمار ما دامت قائمة على الاحقاد والضغائن والاغراض الخاصة . ولربما نرى ان الحوادث تدلنا انه سوف ينقضي وقت طويل حتى يصبح في الامكان تأليف حكومات يستطيع ان يشترك بها الرجال الوطنيون الذين يعملون بوحي ضمائرهم وعقائدهم . ولهذا فاني شخصياً لا أقيم وزناً كبيراً لهذه القضية الآن ولكن المستقبل القريب كفيل بتحقيق هذه الغاية .

الانسحاب من المجلس والحكومة

س : الآن وقد رأيتم اعمال الحكومة الحاضرة او ما وصلت اليه الحالة ، هل تعتقدون انكم كنتم على خطأ ام على صواب في الانسحاب من المجلس والحكومة ؟ ...

فابتسم الاستاذ الحفار لهذا السؤال وقال :

ج : من المعلوم ان هناك فكرتين بين رجال الكتلة الوطنية .

وليس يعني وجود هاتين الفكرتين ان هناك انقساما في الرأي وتبلبلا في العمل لأن تصادم الآراء في جميع الكتل السياسية والاحزاب واختلافها امر طبيعي .

واذا نحن جارينا اصحاب الفكرة القائلة بالانسحاب من الحكومة والمجلس ، فاننا نعتقد اننا قمنا بواجب وطني ايضاً تدعونا اليه المصلحة العامة . فالتجارب السياسية لا بد منها في كل عمل وطني يقوم على مثل هذه الشرائط والأسس التي نسير عليها .

واذا كان هنالك من فائدة في دخول المجلس والدفاع عن المبادىء الوطنية ضمن قاعة المجلس ، ومقاومة كل عمل ضار ، فان في توحيد جهود رجال الكتلة واتفاق كلمة الفريقين في كل موقف فوائد كبيرة لا يسع أحداً انكارها .

ولا أكون مفاخراً اذا قلت ان رجال الكتلة الذين حملوا اعباء هذه القضية من قبل ومن بعد بتضحياتهم وجهودهم لا يزالون كما كانوا اصحاب مبادىء وعقائد يعملون في سبيل تحقيقها بجميع الوسائط والوسائل السياسية ، والأمة تظاهرهم في مختلف المواقف . لأنهم اثبتوا في الماضي ، وسيثبتون في الآتي القريب انهم يعبرون عن رأي الامة تعبيراً صحيحاً ويعملون لخدمتها اعمالا مجردة عن كل قصد الا تحقيق المبادىء الوطنية التي فطروا عليها منذ شبوا الى ان شابوا .

هل تدخلون المجلس ؟

س : هل تفكرون في دخول المجلس في دورته القادمة ؟...

هذا سؤال له علاقته بالسؤال الاول ...

نحن نبحث هذه القضية من حيث فائدتها ونتائجها الوطنية فقط . ولذلك لا نستطيع الآن ان نقرر شيئاً في هذا الموضوع قبل ان نستجمع جميع الدلائل والوسائل التي تدلنا على وجوب القيام بالتضحية اللازمة سواء كان في الدخول او الانسحاب .

ذلك لان الدخول معناه معارضة هذه الاوضاع الشاذة التي تعانيها البلاد معارضة تعبر عما تختلج به أفئدة الامة من هذا الاستياء البالغ والضجر العام . ونواب الكتلة في المجلس هم الذين يضطلعون وحدهم بالقيام بهذا العبء الثقيل .

والانسحاب معناه ايضاً العمل بكل القوى الممكنة للحيلولة دون دوام هذه الاوضاع الشاذة ومحاربتها خارج المجلس .

واننا نرقب بعين ساهرة الحوادث والنتائج التي تكون من ورائها ونعمل بالاتفاق مع اخواننا فيما نرى فيه تحقيق المصلحة العامة .

الحاكم الفرد

س : ما هو رأيكم في فكرة «الحاكم الفرد» التي يروج لها البعض في دمشق ؟

ج : نحن من دعاة الحكم النيابي في البلاد ، وهو الحكم الذي أثبتت التجارب لدى جميع الامم على اختلاف استعدادها وتربيتها السياسية والاجتماعية انه خير اسلوب من أساليب الحكم التي أخرجت للناس .

ولكن هذا لا يعني ان هذا المجلس الحاضر هو صورة حقيقية عن استعداد الامة وتربيتها السياسية والاجتماعية .

فاذا لم يكن هذا المجلس معبراً عن فكرة الامة تعبيراً صحيحاً فلا يجب مهاجمة الحياة النيابية ومقاومتها بواسطة امثال هذه المجالس التي لا تكون دائمة ، والتي سوف يتيسر للأمة في مستقبلها ان تعبر عن حقيقتها ومرآتها في انتخاباتها المقبلة .

فنحن طلاب استقلال وسيادة وهما لا يتجليان الا في حياة الامم النيابية الحرة . وهو ما يجب علينا الدعوة اليه وممارسته دون تردد .

ويجب ان نقاوم هذه الدعايات التي يتخذها بعض ذوي الاغراض حجة على عدم فهم الامة الحياة الاستقلالية الحرة . ولا يوجد اخطر على البلاد من هذه الدعوة السيئة التي يروج لها الاجنبي .

س : انما الآن ألا تعتقدون ان « الحاكم الفرد » أصلح من هذا المجلس وهذه الحكومة ؟

ج : أنا آسف جداً ان لا أتخذ هذه الحكومة وهذا المجلس أداة صالحة لهذا القياس والاستنتاج . فالبلاد مجمعة على طلب الحياة الحرة الاستقلالية ولا ترضى عنها بديلا .

موقف رئيس الجمهورية

س : هل نستطيع ان نعرف رأيكم في موقف رئيس الجمهورية ؟

ج : انا لا أزال أعتقد ويجب ان يعتقد معي الكثيرون ان رئيس الجمهورية رجل يريد الخير ويعمل لأجله ولا يضمر الا الخدمة النافعة .

ولكننا يجب ان نتعاون جميعاً لتهيئة الوسائل التي تعاون الرجل على تحقيق اغراضه ونياته .

سلطة رئيس الجمهورية

س : انما الا تعتقدون ان للرئيس سلطة لا يستعملها ؟!

ج : رئيس الجمهورية الحالي هو الرئيس المنتخب الاول . وانا اعتقد ان له من القوة المعنوية والسلطة الدستورية ما يساعده على خدمة هذه البلاد في هذا الدور الدقيق خدمة نافعة سواء في حالتها السياسية والادارية والاقتصادية ... وهو يبذل — على ما اعتقد — تفكيره وجهده لتحقيق هذه الاغراض النبيلة .

« تفسخ » الكتلة

س : ما هو رأيكم فيما يقال عن « تفسخ » الكتلة ؟!

فضحك ضحكة طويلة وقال :

ج : تفسخ الكتلة ؟! لقد قرأنا كثيراً من المقالات في المدة الاخيرة تتعلق بهذا الموضوع ولم أر حاجة في نفسي للرد عليها لأني اعلم ان العمل وحده والحقيقة الواقعة هي التي تعطي الجواب اللازم .

فالقول بان الكتلة الوطنية قد اعتراها شيء من الضعف او « التفسخ » — على حد تعبيرهم — انما هو قول سوف لا تؤيده الحوادث المقبلة فيه .

فرجال الكتلة الوطنية هم رجال اعمال وتفكير مجد لا رجال اقوال ونظريات ومجادلات .

س : والانسحابات و ؟

ج : نعم انا لا انكر ان البعض القليل من رجال الكتلة قد اعلن انسحابه من العمل ، ولكن هذا ليس بالشيء الجديد في حياة الاحزاب السياسية وكثيراً ما تمر على رجال الاحزاب والكتل

مثل هذه الحوادث التي لا تؤثر على سيرها واعمالها .

ثم لا أنكر ايضاً أني آسف كل الأسف لحرمان الكتلة من خدمات رجل كالاستاذ محمد بك النحاس ـ مثلا ـ الذي كنا نحرص على العمل معه لما عرف به من الصدق والاستقامة ، على انه اذا آثر الانسحاب فثق أنه سوف يعمل مع اخوانه ايضاً ان لم يكن بالصفة الرسمية فبالصفة الشخصية بالنسبة للروابط التي تجمعنا معه .

وأما ما يريد ان يثيره البعض بان هناك اختلافا او انقساما بيننا وبين اخواننا في الشمال او في غيره ، فهذه دعايات باطلة يستخدمها الاجنبي لاضعاف نفوذ الكتلة .

وقد لجأ قديماً بعض الذين يحنون ظهورهم للأجنبي ، الى العمل على اضعاف نفوذ الكتلة ، فألفوا الجمعيات والاحزاب ثم كانت النتيجة ان ذهب كل هذا هباء !

س : وعصبة العمل القومي ؟! ...

ج : على انه لا بد من القول بأن هناك بعض الشباب الذين يعملون لتهيئة عصبة باسم عصبة العمل القومي ؛ فاننا نرجو الله ان يجعل النجاح والتوفيق رائدهم ، وهو ما نريده لكل عامل مخلص .

ولطالما سعينا بأن نهيء رجالا للمستقبل لتحقيق الاغراض القومية العربية فلم نكن نجد الا الاعراض والتهرب .. ويسرنا كما يعلم الله اقدام الشباب الواعي للمساهمة في الاعمال القومية والوطنية .

ولعل هؤلاء يثبتون في الميدان ويظهرون من اعمالهم المخلصة ما يؤيد حسن ظننا بهم وما يحقق آمالنا التي عملنا لاجلها منذ كنا على مقاعد الدرس .

س : رأيكم في عقد المؤتمر ؟

ج : ليس هناك من فائدة في عقد المؤتمرات في الوقت الحاضر . بل قد يكون واسطة لتبلبل الرأي العام ما دام هناك رجال يعملون متفقين متحدين .

فكرة الوفد لاوربا

س : وما هو رأيكم في فكرة ارسال الوفد ؟

ج : لقد مضى وقت التفكير به ، ولا أعتقد ان هناك فائدة ترجى من ارسال وفد الى اوربا الا اذا كان وفد دعاية ، وهذا ما يحتاج الى مال ووقت ليعزز فكرته في الاوساط الاوربية ، وهو ما نحتاج اليه منذ زمن طويل وفي كل وقت . وماذا نعمل والوطنيون العاملون معظمهم من غير الاثرياء الذين يستطيعون البذل اللازم للانفاقية على الوفود السياسية . وما أحوجنا للدعاية وشرح قضايانا كلها سواء المتعلقة منها في سوريا وخاصة في دفع الخطر عن فلسطين وبيان النوايا السيئة التي يبيتها دعاة الصهيونية والانكليز من ورائهم . وكان وفدنا في جنيف يعمل ويبذل جهده سنين طويلة ولكنه لم يستطع البقاء ودوام العمل للقيام بالواجب .

أنجع الوسائل

نشر في جريدة (الاحرار) البيروتية
الصادرة بتاريخ ٣ كانون اول ١٩٣٣ مايلي :

أعلن فخامة المفوض السامي قبل مغادرته دمشق انه سينصرف الى معالجة الادواء الاقتصادية الكامنة في البلاد ، فقلنا لعله يوفق الى معرفتها ووصف العلاج الناجع لها لأن البلاد مشرفة على الهلاك ان لم يتداركها الاصلاح !..

وفي دمشق شخصيات قليلة العدد يرجع اليها في الشؤون الاقتصادية والمالية ، ما برحت تمد اولي الامر بالآراء الصحيحة والخطط النافعة للعمل الاقتصادي . وقد رأيت ان أجمع هذه الآراء السديدة علها تنير السبيل امام القائمين بعملية الاصلاح ، فزرت معالي الاستاذ لطفي بك الحفار الاقتصادي الكبير صاحب الآراء الناضجة والخطط القويمة في حل المعضلات الاقتصادية وعرضت عليه مهمتي فقابلني بالترحاب ودخلنا الموضوع رأساً .

وانا انقل فيما يلي غيضاً من فيض ، واقتصر على أهم النقاط التي عالجها لطفي بك في حديثه الي ، قال :

تريد أن أبحث لك بالطبع العوامل الرئيسية التي أدت الى هذا

الانحطاط الاقتصادي في بلادنا وكادت تسوق البلاد السورية ، بلاد الثروة والنعمة والرفاه ، الى هوة الافلاس السحيقة واني لا أقدر ان أبحث العوامل كلها بشيء من التفصيل والايضاح ، فذلك يحتاج الى وقت طويل لذلك اقتصر على الاهم منها واشرح لك العامل الرئيسي الاول : سوء السياسة الجمركية المتبعة في البلاد .

واذا عدنا الى تاريخ العلائق الاقتصادية بين بلادنا والبلاد المجاورة لنسلسل تطورها ونبين ما آلت اليه الآن لطال بنا الحديث ، ولكن لا بد من الماعة طفيفة نلمع بها الى ما كان لسوريا من علائق تجارية ومالية وثيقة مع الاناضول والروملي واليمن والحجاز والعراق وجميع المناطق التي كانت خاضعة لسلطان الدولة العثمانية ، فقد كانت البلاد السورية قطباً لرحى الحركة التجارية والصناعية في الشرق ، ومركز بلادنا في قلب الجزيرة كان يدعوها لأن تكون محوراً تدور حوله تجارة الشرق . ولما وضعت الحرب العالمية أوزارها واقتسم الحلفاء ملك آل عثمان أقاموا بيننا وبين الجيران حواجز ، بل سدوداً جمركية منيعة لا تنفذ من ورائها حاجة لفرط مناعتها . وكأن السلطة القابضة على زمام الشؤون الاقتصادية والسياسية نسيت ان سنة الاجتماع في عصرنا تتنافى مع هذه العزلة ، فلقد كانت الدول القديمة قبل المسيح تقيم من حولها السدود وتقطع كل علاقة لها بالعالم ، بل كانت كل دولة عالماً مستقلا ، ولكن أنّى للأمم في هذا العصر مثل ذلك الاستغناء عن تقايض المنافع وتبادل المنتجات واقامة التبادل التجاري الوثيق لتأمين حاجاتها ؟

الحواجز الجمركية

وكذلك فقد أصبحت بلادنا مطوقة منذ الاحتلال بسلسلة من الحواجز الجمركية ما زال أثرها السيء على الاحوال التجارية يزداد وضوحا عاما بعد عام ، وهذا الأثر البين ماثل للعيان من مطالعة الاحصاءات الجمركية التي تقوم بها المفوضية نفسها والتي تظهر مقدار تدني الصادرات والواردات بسبب ضعف قوة الشراء . ولقد اوضحت السنوات الاخيرة بصورة لا تقبل الجدال ان السياسة الجمركية المتبعة في بلادنا هي مصدر البلاء الاقتصادي المخيم ، وهي الخطر الذي يمكن ان يؤدي في المستقبل القريب الى اضمحلال الحركة التجارية والصناعية في سوريا اذا لم تتضافر مساعي القابضين على زمام الامور لتلافيه .

الأزمة العالمية

نعم لقد كان للأزمة العالمية صداها في بلادنا فقد انقطع عنا بسبب تلك الازمة العامة مورد المهاجرين السوريين واللبنانيين في اميركا الذي يقدر بثلاثين مليون فرنك ذهبي سنويا . وضعفت من جرائها ايضاً موارد السياحة والاصطياف التي لا يستهان بها ، وفقدنا ايضاً وايضاً جانباً غير يسير من رأسمالنا الخارجي بسبب هبوط الاسهم المالية . ولكن انقطاع او ضعف هذه الموارد الثلاثة لم يؤثر في الثروة العامة بقدر ما أثرت فيها السياسة الجمركية السيئة التي تسير على نهجها دوائر المفوضية منذ الاحتلال سواء في وضع التعرفات وفرض الرسوم او في الاستئثار بواردات الجمارك العامة او في التهاون بعقد الاتفاقيات الصالحة مع تركيا ومصر والعراق وغيرها .

اختلاف التعرفات

اما فيما يتعلق بتباين التعرفات الجمركية ، فجداول التعرفة في سوريا وفلسطين توضح ذلك تماما ، وكثيراً ماتستوفى عن بعض الاصناف في سوريا خمسة اضعاف او اكثر مما يستوفى عنها في فلسطين ، ولو كان في الوقت متسع لدفعت اليك بجداول ناطقة تهولك لدى مطالعتها الفروق بين التعرفات في سوريا وفلسطين . وبنتيجة ذلك كان بوار صناعة النسيج القطني والحريري ، ففي سنة ١٩٢٤ كان في دمشق عشرة آلاف نول تشغل خمسين الف عامل ، وكان في حمص وحلب مثل هذا المقدار ، وأقل منه في مدينة حماه ، وبسبب اعفاء المواد الاولية الصناعية من الرسوم الجمركية في فلسطين وشرقي الاردن واحجام اولي الامر عن عقد الاتفاقيات التجارية الملائمة لمصالحنا مع تركيا ومصر تدنى هذا المقدار الى العشر ونستطيع ان نقدر من هنا مقدار الخسارة التي حلّت بالرأسمال الوطني والعمال والصناعة الوطنية بوجه الاجمال .

ولطالما نبهت الغرف التجارية رجال المفوضية الى هذا الخطر ، ولكن آراء تلك الغرف بكل أسف لم تلق ما تستحقه من اهتمام ، بل كانت عناية المفوضية منصرفة الى تدارك ضعف الواردات بفرض الرسوم الاضافية بصورة تقتل الصناعة قتلا وتقضي على التجارة قضاء مبرما .

التطويق البريطاني

وبينما نحن نسير على هذا النمط يطبق الانكليز منذ بضع سنين

سياسة اقتصادية محكمة في فلسطين والعراق وشرقي الاردن لتطويق البلاد السورية سواء من الجهة البحرية بواسطة مرفأ حيفا ، او من الجهة البرية بواسطة طرق المواصلات التي ينشئونها من حيفا الى شرقي الاردن ـ بغداد بالسيارات وسيتم انشاء هذه الطريق في مدة وجيزة وهم يفكرون ايضاً بانشاء طريق للسكة الحديدية متاخمة لأنابيب البترول . وتعرفاتهم الجمركية مستمدة من هذه الروح ، روح التطويق ، ليخنقوا سوريا من الوجهة الاقتصادية . والبلاد تخشى كثيراً عواقب هذا التطويق ونتائجه ، ونحن لا نستطيع التكهن على وجه الضبط بما ترمي اليه بريطانيا العظمى من مقاصد سياسية يجب ان يتنبه اليها ولاة الشؤون هنا .

هذه المقارنة البسيطة بين خطة فرنسا في سوريا وخطة بريطانيا في فلسطين من الوجهة الاقتصادية كافية لاظهار مساوىء السياسة العامة عندنا .

عملية جراحية

لقد قلت لفخامة المفوض السامي يوم الخميس الماضي بصورة صريحة ان هذه السياسة القائمة في سوريا سواء في ادارة الجمارك او في التشريع الجمركي او التعرفات والاصول المتبعة بفرضها او في الادارة العامة ، يجب لها عملية جراحية كبرى تقلبها رأساً على عقب وتضعها على أساس صحيح لا ينظر فيه الى غير مصالح البلاد السياسية والصناعية والزراعية . وهذا لا يكون الا اذا أريد معالجة « الداء » معالجة حقيقية . واني لآمل ان تكونوا بعد سبر اغوار القضية ذلك الجراح الماهر لاجراء هذه العملية الكبيرة بنتائجها على البلاد .

هذه هي الكلمة الصريحة التي أجملت فيها للمفوض السامي رأيي

بالسياسة العامة بعد حديث دام ساعتين ، وأنا أقول لك ان المعاهدة التي طرحوها على البرلمان يطلبون الى نواب الامة تصديقها ، لو لم يكن فيها من المساوىء والعيوب والنكران لحقوق البلاد الا البند المتعلق بتأسيس مجلس المصالح المشتركة بصورة حقوقية مشروعة وابقاء الجمارك بين ايدي هذا المجلس يقبض على ناصيتها ، لكفى هذا البند وحده لحمل البلاد ونوابها على رفضها . ذلك عدا عن المساوىء السياسية التي لا مجال لذكرها هنا .

ان السياسة الحالية هي أصل الداء الذي تشكو منه البلاد وتعزو اليه اسباب تدهور صناعتها وتجارتها وفقدان اسواقها الواسعة في اقطار الشرق المجاورة . وان اليوم الذي تؤسس فيه السياسة الجمركية على أساس صحيح صالح قويم ، هو اليوم الذي يرتفع فيه عن البلاد كابوس الأزمة الخانقة التي تعانيها ، ولعل هذا اليوم قريب .

* * *

هذه خلاصة ما يمكن ان ننقله عن السياسة الاقتصادية التي أرى فيها أهم عامل من عوامل الازمة في بلادنا . وهناك عوامل سياسية اخرى على جانب من الاهمية لا يتسع الوقت لبحثها لك الآن .

* * *

انتهى حديث معالي لطفي بك الحفار ، وقد كان بودي لو استطعت نقل كل ما أدلى به من تفاصيل قيمة ، وفي اعتقادي ان ذلك غير ميسور لطول الشروح والحواشي المتعلقة بهذه القضية الهامة .

الهجرة الصهيونية هدامة مخربة

نشرته جريدة (الايام) في عددها الصادر
بتاريخ ١١ آذار ١٩٣٤ بقلم سامي الشمعة

(حديث هام)

كان الاستاذ لطفي بك الحفار منصرفا الى توقيع (كدسة) من الاوراق ، واحدة عن مشترك جديد في الفيجة ...

وأخرى عن تقرير مهندس الشركة ...

وثالثة عن موقف بعض المشتركين ...

ورابعة ... وخامسة ... ومن النظرة الاولى أدرك لطفي بك ان هنالك حديثاً ...

فيه شيء جديد ؟

وابتسم لطفي بك الحفار ثم عاد يقول :

حديث ... اليس كذلك ؟

طبعاً ... والحديث الذي أريده اليوم ، يدور حول موضوع هام ، هو حديث العالم أجمع .

خير ان شاء الله ! ... حديث سياسة .

كلا ، حديث الصهيونية ، وما يذيعه الكثيرون بين مختلف الطبقات عن فوائد الهجرة الى سوريا ، وما تحمله من ملايين ... وأخرجت

الاسئلة ، فتناولها لطفي بك والقى نظرة عليها ، مرة ... ثم أخرى ، وقال بعد ان القى عليّ نظرة طويلة :

أتعتقد شخصياً بوجود مثل هذه (الحركة) في المدينة ؟

وابتسم لطفي بك ابتسامة قصيرة وعاد يقول :

اذا شئت رأيي ، فأنا لا أعتقد بوجود هذه الحركة قط ... وأظن ان كل ما في الامر ان هناك بعض الاشخاص يحاولون اذاعة هذه الاشاعات لغايات خاصة ، وخدمة للاغراض الصهيونية ...

اما في الواقع فليس هناك أية فكرة أو حركة من هذا النوع في دمشق ...

وهذه الأحاديث التي نسمعها من الزراع والتجار ... وما تنشره الصحف وما تتحدث به المجالس .. هذه كلها في اعتقادي اوهام ، وتناولت الاسئلة من لطفي بك وقلت ... لنفرض انها اوهام ، ولنفرض ان هناك (حركة صهيونية) في المدينة . فهل تعتقدون ان في الهجرة الصهيونية ضرراً على الحركة الوطنية في البلاد ؟ وما هو هذا الضرر ؟

وأصغى لطفي بك الى السؤال ، ثم أراد ان لا يدخل البحث الا بعد ان يؤكد بقوة بان الحركة الصهيونية لا وجود لها فقال :

لقد علمت بعد اختبار خاص ، بان الاقوال التي تذاع عن هجرة الصهيونيين ورغبتهم في شراء الاراضي والمفاوضة عليها انما هي دعايات يقوم بها ارباب المصارف والمرتهنين (والسماسرة) ليضللوا بها البعض ويدخلوا تحسيناً جديداً على أثمان الاراضي ليبيعوها لهم ويتخلصوا منها بعد ان تدنت أسعارها في الاعوام الاخيرة ، وأصبحت لا تساوي المبالغ

التي رهنت بها .

وقد تم لهؤلاء في الواقع ما رموا اليه وطرأ تحسين غير قليل على أثمان الاراضي عندما أخذ الناس يتحدثون عن الصهيونية والصهيونيين ورغبتهم في امتلاك الاراضي وانشاء المستعمرات الكبيرة . وهل يوجد جناية او خيانة اكبر من مثل هذه الدعايات الخبيثة ؟

وتوقف لطفي بك قليلا عن الكلام ، ثم تناول معاملتين وتلاهما ووقعها وعاد يقول :

وعلى هذا ترى ان اصحاب الغايات والمصالح وحدهم هم الذين يخلقون الفكرة الصهيونية ، دون ان يكون لها أثر في سوريا ولكن الخطر كل الخطر كامن هناك في فلسطين سوريا الجنوبية .

والذي أعتقده شخصياً ان اليهود لا يستطيعون التفكير جديا في مشترى الاراضي السورية لأنهم يعلمون ان أصحابها وارباب الثروة فيها لا يمكنونهم من استملاك الاراضي الواسعة كما هي غايتهم ، لأنهم يعرفون جيداً بان وجودهم في البلاد خطر كبير عليها ، كما انهم يشعرون جيداً بان انفسهم اذا حدثتهم بهذه المغامرة فسوف يجدون امامهم مقاومة عنيفة لا عهد لهم بمثلها .

ولهذا تراني استبعد جداً وجود الحركة التي يتحدث بها الناس .

وتوقف لطفي بك عن الكلام ، ثم قال : ان الدور الذي لعبه البعض لتحسين أثمان الاراضي إنما هو دور (شيطاني) مؤسف وسيندم هؤلاء الذين يقدمون على شراء هذه الاراضي بأثمان تزيد عن قيمتها الحاضرة بدافع هذا الامل الخائب .

ويجب ان أشير هنا الى الاضرار التي تنشأ عن هذا الدور ، الذي

يلعبه اصحاب المصالح في القضية السورية . فان اذاعة مثل هـذه الاشاعات سيلفت نظر اليهود ويزين لهم امكان استملاك بعض الاراضي الواسعة واستثمارها مع انهم قد يكونون ـ في الواقع ـ غير مفكرين في هذا الامر .

وهكذا فان هؤلاء هم الذين يلفتون الانظار ، وهم الذين يثيرون الفكرة الصهيونية .

الصهيونيون لا يجرأون

على ان الذي اعتقده هو ان الصهيونيين ـ بالرغم من كل تمهيد ودعاية ـ الذين يلعبون هذه اللعبة الخطرة لينصرف العقلاء عن البحث عن خطرهم واضرارهم المقبلة على جارتنا فلسطين العزيزة .

فالوضع في سوريا يختلف اختلافا كلياً عن الوضع في فلسطين من الوجهة الحقوقية لان صك الانتداب مع الأسف الشديد نص على انشاء الوطن القومي في فلسطين بينما هذه البلاد معترف باستقلالها ، واعتقد انني لست في حاجة الى القول بان البلاد كلها لم تعترف على صكوك الانتدابات .

فهل تظن ان اليهود الذين يعتمدون في كل اعمالهم على الدول الاجنبية يغامرون بالهجرة الى بلاد معترف لها بهذا كله وهي تجاهد وتناضل في سبيل استقلالها ووحدتها .

ـ وما رأيكم فيما يزعمه البعض بان الهجرة الصهيونية اذا اضرت البلاد من الوجهة السياسية فانها تنفعها من الوجهة الاقتصادية ؟

انني اطلب الى هؤلاء الذين يتصورون هذه الفائدة الاقتصادية ان يزوروا سورية الجنوبية ويلقوا نظرة هناك على مؤسسات اليـهود الصناعية والزراعية وتبسطهم العمراني الذي ينذر بأوخم النتائج بالنسبة

لاخواننا العرب هناك المهددين في عقر دارهم .

ان على هؤلاء الدعاة ان لا ينسوا بان اليهود مسلحون بسلاح العلم والمال ، وهم اذا فكروا بالهجرة الى هذه البلاد فانهم سيباشرون حال وصولهم بانشاء المصانع المختلفة والمزارع المتنوعة للقضاء على صناعات البلاد وزراعتها الوطنية ومزاحمتها مزاحمة قتالة .

فأين هي الفائدة الاقتصادية بعد هذا كله ؟

ولذلك فان النتيجة الملموسة هي ايجاد قوة كبيرة تضارب أهالي البلاد وسكانها في صناعاتهم وأعمالهم في عقر دارهم .

وخطر اليهود كبير حتى على الامم المتمدنة المستقلة في اوربا واميركا ، وخطر الهجرة اليهودية سواء كانت لفلسطين او لسوريا ولبنان لا سمح الله اكبر وخاصة فيما يتعلق بفلسطين التي هي مطمح انظارهم وموضع اهتمامهم الآن ولا يراد بهذه الدعايات الخبيثة الا اشغال الناس هنا وهناك عن البحث لمقاومة الخطر الذي تتعرض له سوريا الجنوبية واخواننا اصحابها الشرعيون الذين يجب علينا بذل ما عزّ وهان في سبيل شدّ أزرهم ومقاومة بيع ممتلكاتهم الى الاغيار والاجانب . وفي هذا كل الخطر .

وختم لطفي بك حديثه قائلا :

والخلاصة فان الفكرة الصهيونية فكرة هدامة مخربة يجب مقاومتها مقاومة جدية بدون ادنى هوادة ، بالنظر لاضرارها الاقتصادية والسياسية .

وانني لأدعو الناس ان لا يتورطوا كثيراً بالتحدث عن الصهيونية ، وان يهتموا بمقاومة دعاتها ، الذين يسترون وراء عملهم اغراضاً خبيثة ، ربما استطعت فضح بعضها فيما تقدم ... وعلى العاملين المخلصين ان يفكروا بمقاومة خطر الصهيونية على اخواننا وابنائنا في فلسطين قبل كل شيء .

سنعمل ونجاهد حتى نصل الى أهدافنا

نشرته جريدة (القبس) في عددها الصادر
بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٣٤

ننشر فيما يلي ما استطاع مندوبنا التقاطه من الخطاب القيم الذي القاه معالي الاستاذ لطفي بك الحفار في الاجتماع الوطني الكبير الذي عقد مساء امس في منزل التاجر المعتبر السيد توفيق القباني :

اضطررتموني الى القول في هذا الحفل العظيم ، فلا يسعني الا النزول عند ارادتكم خصوصاً وقد عودتنا هذه الدار وعودنا صاحبها ان تكون حفلاتها مظهراً من مظاهر الوطنية المخلصة والعمل الصالح ولقد كان هو وأنجاله النجباء في كل حفل حافزاً لنا للقول كما هو الشأن في بقية الدور الوطنية الكريمة فقد عودتنا الشاغور كما عودنا الميدانيون الذين هم في جانبي الآن وبقية احياء هذا البلد الطيب ان يكونوا المثل الاعلى للوطنية العاملة والحركة النافعة .

قوالون ؟

قال الاستاذ حبيب كحالة كلمة في خطابه استرعت انظاري كثيراً وشعرت حينما كان يلقيها انني لا أشاطره الرأي فيها على علاتها . يقول

ان اهل البلاد تعمد الى القول دون العمل ، وأنا أخالفه في ذلك تمام المخالفة والبرهان على ذلك فيما نحن نعالجه في هذه الليلة ، فقد اجتمعتم ايها السادة للبحث في الحالة الحاضرة وفيما اذا كانت حالتنا المالية والاقتصادية مزدهرة وناشطة وسأجيبه من نفس هذا الموضوع ولا اتعرض للموقف السياسي الا فيما له مساس بموضوعنا هذا لان له مواقف نعالجها في حينها .

هذه البلاد السورية في عدد نفوسها الذي لا يتجاوز الثلاثة ملايين نفس وفي حالة فقرها وتأخرها الاقتصادي والعمراني عملت كثيراً في سبيل تحقيق غاياتها السياسية والاقتصادية وانا اسرد لكم الآن تاريخاً موجزاً عما قامت به بلادنا في سبيل الدفاع عن حقوقها الاقتصادية والسياسية منذ الاحتلال حتى اليوم .

في زمن الحكومة العربية

مضت سنتان على تأسيس الحكومة العربية وكانت الاحوال والاعمال كلها هنا منصرفة للعمل السياسي ، وكانت الحالة الاقتصادية في هذا الوقت ايضاً مزدهرة حقاً ، وكانت الحالة المالية حلماً مر على هذه البلاد تتمتع فيه بالثراء والرخاء والنقد الوفير والحركة الكبيرة ، فدالت هذه الدولة وكان الاحتلال من نصيبنا ولم يمض الا القليل حتى شعرت الاوساط التجارية بتقلص ذلك الامتداد التجاري والنشاط الصناعي ، فبدأت تفكر في الامر ، وكان من نتائج هذا قبل كل شيء ان الغرف التجارية المسؤولة بدأت تدرس عوامل هذا التأخر فرأت ان

السياسة العامة التي سارت عليها المفوضية الافرنسية وعدم المبادرة بسرعة الى عقد الاتفاقات الجمركية مع البلاد المجاورة هو سبب الخطر المداهم ، فقدمت تقاريرها الضافية بتعديل هذه السياسة وألحت في تصوير الخطر من قطع العلائق الاقتصادية القائمة بين بلادنا والبلاد المجاورة كالعراق والأناضول والحجاز وايران وفلسطين وشرق الاردن .

لجنة الدروس الاقتصادية

ولقد قدمت بنفسي تقارير ذات بال للجنة الدروس الاقتصادية التي كانت تعقد جلساتها برئاسة الجنرال فيغان ، ومن الحق ان اقول انه كان يهتم بها كثيراً ، واعطى امراً سريعاً امامي الى المسيو « ميرلنكي » مفتش الجمارك العام وقتئذ بضرورة السرعة في السفر الى العراق وتركيا لعقد الاتفاقات الجمركية والاقتصادية الواجبة . ولكنه مع الأسف لم يستطع عمل شيء .

ثم حدثت الثورة وقدمت البلاد ضحاياها ودماء شهدائها مطالبة بوضع حد لهذا الاضطراب والقلق المستحوذ على جميع الاوساط الشعبية مما شعروا معه بوجوب الاستقرار السياسي والاقتصادي .

كلفت البلاد هذه الثورة خمسة ملايين ليرة ذهبية عدا عن ضحاياها التي لا يقع عليها ثمن ، وكنا نحن المتخلفين نعمل هنا بكل ما اوتينا من قوة لافهام رجال المفوضية العليا وجوب وضع حد لهـــذا القلق السياسي والاقتصادي وتأييد مبادىء الثورة وتحقيق مطاليبها .

المؤتمر الصناعي الاقتصادي

ثم ماذا حدث بعدئذ ؟ حدث انـه في سنة ١٩٢٨ ، على أثر

المعرض الصناعي ، عقد في هذه المدينة مؤتمر صناعي اقتصادي حضره جميع اعضاء الغرفة التجارية في البلاد السورية فوضع هـــذا المؤتمر تقريراً ضافياً ألم بجميع احوالنا التجارية والصناعية ووصف داءها وأدواءها ، وترجم الى اللغة الفرنسية ترجمة صحيحة وطبع في اللغتين ، ثم قدمته اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر الى المفوضية العليا وتابعت المطالبة بتحقيقه وكان من نتائج ذلك ان دعيت لاجتماعات عقدت في المفوضية العليـا برئاسة المفوض السامي المسيو بونسو وحضر هذا المؤتمر جميع رؤساء الدوائر الاقتصادية والادارية وكانت ابحاث هذا التقرير موضع الدرس والجدل في عدة جلسات ، وكنا ندلي بحججنا المؤيدة بالارقام فكانوا يوافقوننا على ما نبديه ، حتى انهم وعدونا وعداً قاطعاً بتنفيذ المطالب الواردة في ذلك التقرير بعد البحث والتدقيق .

ولا شك انه لو عمد الى تحقيق بعض هذه المطالب منـــذ ذلك التاريخ لكنا وفرنا على هذه البلاد كثيراً من اضرارها ونكباتهـا المالية والاقتصادية . ولكن شيئاً من هذا لم يتم مع الأسف .

مؤتمر الغرف التجارية

ثم مرت السنون حتى عام ١٩٣٣ فشعرت الاوساط التجارية بالخطر المحيق بها والواقع عليها وقوع الصاعقة في الساحل والداخل ، فتنادت الغرف التجارية لعقد مؤتمر عام يمثل جميع البلاد السورية ساحلهـا وداخلها ، وعقد هـذا المؤتمر في شهر آذار من تلك السنة وكانت جميع الغرف التجارية في جميع البلاد اللبنانية والسورية بما فيها اللاذقية وغيرها من هذه الاسماء المختلفة ممثلة اتم تمثيل . وسمي هذا المؤتمر « مؤتمر

الغرف التجارية للبلاد السورية ساحلها وداخلها » .

تقرير المؤتمر

وبعد ان اجتمع هؤلاء على اختلاف مشاربهم ومنازعهم السياسية ؛ اجمعوا على وضع تقرير يصور الحالة التجارية والسياسية والصناعية تصويراً دقيقاً ويقابل بينها الآن وبين ما كانت عليه من ذي قبل ، وما منيت به من التأخر والانحطاط بسبب اختلاف التعرفات الجمركية اختلافا هائلا بين سوريا والبلاد المجاورة ، وبسبب قطع العلائق الاقتصادية مع الجيران .

ولقد صورنا لهم فيه باجلى بيان مبلغ التدني والانحطاط الذي اصاب ثروتنا العامة ومبادلاتنا التجارية . وكان من نتائج ذلك ان اعتبرت المفوضية العليا وقتئذ ان لهجة التقرير والكتاب شديدة او على الاصح فيها شيء من التهديد فلا يمكن قبوله !

وكان من اصرار اللجنة التنفيذية على تقريرها وكتابها وبيان كونها على حق فيه ان استردت المفوضية رفضها الاول واجتمعت مع اعضاء اللجنة التنفيذية للبحث في هـــذا التقرير الذي أحدث تأثيراً كبيراً لدى وزارة الخارجية وضجة غير قليلة في الاوساط الافرنسية وغير الافرنسية .

صرخة في واد !

ولقد اعتقدنا على اثر هذا ان صرختنا هذه ستصل الى غاياتها ولكن شيئاً من هذا مع الاسف لم يظهر له الاثر المحمود .

مشاغبون !

انا كما تعلمون ايها السادة لا أبالغ ولا أشتط في القول ، ولكني استقريء امامكم الحوادث كما وقعت ، فهل يستطيعون القول بعدئذ باننا مشاغبون مهوشون ؟! كما يريدون ان يوصمونا به في صحفهم وعلى لسان مأجوريهم.

انه سلاح مفلول يلجأون اليه في بعض الاحيان لاتهام الاعمال الصالحة . وانني لا أنكر القول بانه قد حدث بعض التبديل في التعرفات الجمركية وبعض اعفاءات للمواد الاولية لا بأس بها ، ولكنها لا تحل هذه المعضلة .

وإني لاقول الآن الحقيقة لنفسها انه اذا لم تنقلب السياسة الجمركية رأساً على عقب بتعرفاتها .. ونظاماتها .. وادارتها .. ثم واموالها التي تصرف دون ان يكون لنا رأي في كيفية صرفها وانفاقها ، اذا لم يعتر الانقلاب هذه الدوائر برمتها ، فانه لا امل ولا نجاح !!

من سيء الى أسوأ

ومرد ذلك كله ايها السادة هو اننا في مدى ستة عشر عاما لا نزال نشكو ونصيح ونعمل ونضحي ونبذل اقصى ما يستطيعه بشر لتصل البلاد الى استقلالها المنشود ، هذا الاستقلال الذي يسيطر قبل كل شيء على حياة البلاد الجمركية والمالية فان الحالة لا تزال تسير من سيء الى اسوأ .

سرنا الآن ونحن نأتي اليكم في سوق مدحت باشا ، وتساءلنا ونحن سائرون : أهذا هو السوق الذي كان مصدر الاصدار الى جميع انحاء البلاد العربية والتركية والحجازية والعراقية ؟

مدينة دمشق الخالدة المعروفة بتجارتها وصناعتها تنقطع مواصلاتها

مع جميع البلاد المجاورة وتطوق هذا التطويق المخيف ، ونقف مكتوفي الايدي ، ثم يقولون اننا في رخاء وهناء ؟!

مقياس الرخاء

أجمع علماء الاقتصاد ان المقياس الحقيقي لثروة الامم ونشاطها هو التقلبات والتطورات التي تطرأ على اسعار اموالها غير المنقولة ، على عقاراتها واطيانها وأراضيها ، واذا عدنا قليلا الى الوراء نجد ان فدان الغوطة الذي كان يباع بلهف وشوق باربعمائة ليرة ذهبية لا يوجد من يشتريه بثلث هذه القيمة الآن ، وكذلك القول في العقارات .

هذا المقياس يدلنا بوضوح على ما وصلنا اليه من التدهور والانحطاط الاقتصادي والمالي .

حوران تتضور جوعاً

أهالي حوران الذين يتضورون جوعا لا يجدون ما يسدون رمقهم في هذه السنين .

هذه الحالة مخيفة جداً ايها السادة . والواجب يقضي علينا ان نعالجها معالجة فعلية . ونحن الذين قد اخذنا على عاتقنا هذا الواجب لا ني ، ولا نضعف امامه وسنعمل بقوة ايمانكم وبوحي حاجاتكم التي نشعر بها كل الشعور حتى نصل الى غاياتنا السياسية ، وهي التي تحقق قبل كل شيء ما نصبو اليه من ازدهار ونشاط اقتصادي وتضع حداً لهذا التأخر والانحطاط والسلام .

في الحفلة الوطنية الكبرى بحي الميدان

الخطاب الذي القاه ارتجالا في حفلة حي الميدان الوطنية الكبرى التي أقيمت بتاريخ ١٨ تشرين الاول ١٩٣٤

طلب الحاضرون الى معالي لطفي بك الحفار ان يقول كلمة ، في هذا الحفل الوطني وتعالى التصفيق فوقف معاليه وقال :

أيها السادة : اني والله لشديد التأثر هذه الليلة ، واني لمضطرب مختلج ثائر النفس ، لما سمعت ورأيت ، لقد اكتشفنا الليلة في الميدان ناحية من النواحي لم تكن بعد معلومة عندنا ، ناحية تعد من مفاخر الميدان ، ومفاخره كلها جليلة وكلها رائعة ، هذه الناحية هي هذه المجموعة الكريمة من شبابكم الراقي المثقف ، الذي يتقدم للعمل مزوداً بالعلم والاخلاص والكفاءات الممتازة .

فأنا أرحب الساعة بهذا الجيل الجديد الذي يتقدم للعمل الوطني ، بمثل هذه الكفاءات ، وبمثل هذه الروح القوية المخلصة ، واني لاعلن هنا ان امة فيها مثل هذا الشباب العامل بالغة ما تريد ، واصلة الى ما تنشده .

أريد ان أتوسع قليلا ، وأن أشير ايها السادة ، سادة الميدان وابطاله ورجاله وشبابه ، الى مزاعم زعمها بعض الذين يعدون انفسهم خصومنا ، والذين لا نأبه لهم ولا نحس لهم وجوداً ، فقد زعم هؤلاء انهم نفذوا الى الميدان ، وان اصابعهم امتدت اليه وان الميدان لذلك

انقلب على الوطنيين ، أجل أيها السادة ، انقلب على الوطنيين ، وتفرقت كلمته من حولهم !. كبرت كلمة تخرج من افواههم وقد كذبوا والله ، فما كان الميدان العوبة . وما كان الميدان بالحي الذي تزعزعه الترهات وتأخذه الاباطيل ، انهم حاولوا بمزاعمهم ان يطعنوا كرامة الميدان ووطنيته في الصميم وها ان الميدان يثبت هذا المساء انه لا يزال على عهده ووفائه واخلاصه لقضية البلاد ، وانه لا يزال ولن يزال مجتمع الكلمة على الثقة بالوطنيين والمضي في طليعة الصف الوطني اخلاصاً وحماسة واندفاعا .

أيها السادة لا يزال الوطنيون عاملين على تحقيق امانيكم ساهرين على مصلحة بلادكم قائمين بواجب العمل الشاق مهما كلف الامر . انهم يعملون في سائر الساحات ، ولا يتركون وسيلة تفلت من ايديهم ، هناك وفي سائر البلاد ولدى عصبة الامم وفي فرنسا نفسها حيث بدأ صوتنا يرتفع وشكوانا تسمع وتعلن .

دعوني بعد هذا اشكر لهؤلاء الذين زعموا تلك المزاعم المفتراة عن الميدان ، لانها استطاعت ان تجد لها هذا المساء ، مثل هذا الجواب الحاسم القاطع ، تعربون به باجتماعكم الليلة حول رجال الكتلة الوطنية ، وبالخطب التي القاها رجالكم والشباب من خطبائكم ، انكم منا ونحن منكم وانكم لنا ونحن لكم وان الصف الوطني ، لا يزال متينا قويا .

أحسن الله اليكم ، أهل هذا الحي الكريم ، مثل ما أحسنتم الى قضية بلادكم . واني لاشكر لكم كل الشكر مازودتمونا به هذه الليلة الخالدة من القوة والتأييد وصادق الود والتشجيع .

مشروع عين الفيجة (حديث عنه)

نشرته جريدة (الشعب) الصادرة بتاريخ
آذار ١٩٣٥

(للذكرى والتاريخ)

مشروع عين الفيجة ، او اسالة مياه الفيجة الى دور دمشق ، اضخم مشروع عمراني صحي قام في العاصمة الاموية في مستهل النهضة الحديثة يستند في ذلك الى افضل الانظمة وأدق الاساليب ، ويقوم على تسييره لجنة عامة مختارة ، تشترك دوائر الحكومة والبلدية وغرفة التجارة والرجال النافعون في البلد بتأليفها وتكوينها .

وقد رأينا ان لا يحرم هذا العدد الممتاز من فصل طويل عن هذا المشروع الضخم ، فقصدنا مكتب معالي لطفي بك الحفار نتحدث اليه عن هذا العمل الجليل النافع .

من هو لطفي الحفار ؟

قصير بدين ، يطلع عليك ، بقامته القصيرة ، ووجهه الذي تعلوه سمات الجد والاتزان ، والتفكير ، فتشعر انك حيال رجل عملي حقاً ، يزيدك وثوقا من هذا ، مظهر الجد والوقار الذي يطالعك اول ما تلقي نظرتك على معاليه .

وقد تجيئه متحدثاً في امر ، او قاصداً في شأن ، فيحدثك باقتضاب واختصار ، ويعنى بامرك عناية الرجل الذي يهمه وصول حقك اليك ، على ان لا يشذ عن الانظمة والاصول ، ولا يخرج عما وضع للمشروع القائم عليه من أساليب وطرائق ولا يهمه بعد اخرجت من مسألتك غاضباً او راضياً اذا أيقن ان الامر الذي قصدته من شأنه جرى وفق ما تقوم مصلحة المشروع عليه من أنظمة وقيود .

يستغرق الاشراف على مصلحة الفيجة والعناية بامورها وتسيير شؤونها ، والسهر عليها تفكيره جميعه ، حتى لتخال ان حيويته كلها ذابت في هذه الناحية وحدها وحتى لتحسب ان امور هذه المصلحة التي يقوم عليها بجد الرجل الحازم الجاد ، قد اخرجته من كل مايفكر به الناس ترفهاً عن نفوسهم واستجاما لعواطفهم واراحة لاعصابهم ، وتهويناً من ثقل وطأة الجد في اعمالهم واصبح قوة آلية لا يهزها ، ولا يستثيرها ولا يستهويها سائر ما يستهوي الناس من مفارح الحياة ومباهجها ، ومجالي الراحة والسلوى .

ولكنك اذا داخلته ، ووقفت على سرائره واحواله ، تكشف لك عن رجل مفراح طروب ، في وداعة الطفل وخفر الحسناء ، ولتجلس اليه وقد استوثق من مجرى الامور في المناحي التي ارادها والتي يحتمها النظام والحزم ، فتعلم انك حيال انسان جمع في شخصيته كل الخلال والصفات المحببة التي تستهوي النفوس وتستميل القلوب .

وجه تناسبت قسماته ومعالمه ، وتناسقت اعضاؤه وأجزاؤه ، تغلب عليه مظاهر الجد والاهتمام ، والتفكير الدائم ، عينان سوداوان ، تعلوهما نظارتان ، هندام انيق ، يحمل العصاة دائماً ، فلا تشهده في

الطريق العام الا وهي في يده يتوكأ عليها .

من رجالات الكتلة الوطنية البارزين . شغل وزارة الاشغال العامة ، في حكومة الداماد احمد نامي بك ، التي تألفت اثناء الثورة السورية العامة بعد الاتفاق على برنامج لابدال الانتداب بمعاهدة تعترف للبلاد السورية بالاستقلال والوحدة التامة ، فقام على اعمالها بالعناية والجد والاهتمام الذي اصبح من صفاته وخلاله ، واستقال منها على اثر محاولة قامت بها السلطة يومذاك بطلب استصدار قرار من مجلس الوزراء باستنكار الثورة وعدم الموافقة على البرنامج الوزاري فرفض واستقال ؛ ثم نفي مع فريق من اخوانه الى حسجة ومن بعدها الى لبنان فظل في المنفى سنتين متواليتين .

لم يصرفه كل هذا عن العناية بامور بلاده ، والسعي لها ومتابعة النضال ، فساهم مع الرجالات العاملين ، في جميع المسائل والاحداث وكان له الرأي الحكيم الموزون . وحضر المؤتمر الوطني العام الذي عقد في تشرين عام ١٩٢٧ في بيروت . هذا المؤتمر الذي حول السياسة الوطنية في البلاد من السلبية المطلقة الى سياسة ايجابية تعترف وتحاول الحصول على حقوق سورية وأمانيها القومية في الاستقلال والوحدة ، وتعيين علائق فرنسا بهذه البلاد بمعاهدة تعقد على اساس يعترف بسيادة البلاد واستقلالها . وذلك بعد مفاوضات طويلة مع المسيو دوجوفنيل مفوض فرنسا الجديد .

وهو من خطباء الوطنيين المعدودين ويتمتع في الاوساط الاجتماعية والسياسية والتجارية بمكانة الرجل الموثوق باخلاقه وكفاءته واطلاعه الواسع ، خبير بالاحوال التجارية والاقتصادية وهو مرجع الكتلة الوطنية ، والهيئات الاقتصادية في البلاد في هذه الامور .

تلكم صورة نعتقد انا صورنا بها معاليه للقراء تصويراً صحيحاً

ونفضنا لهم فيها جملة خبره وشأنه وأمره ، نرجو ان نكون قد وفقنا فيها الى الحقيقة التي توخيناها وأردناها .

مشروع إسالة مياه الفيجة

ومشروع اسالة مياه الفيجة الى دمشق وبيعه لمالكيها ، وتملكهم له ابديا ، من اعظم المشاريع وأفضلها وأنفعها ؛ ولا نتكلم الآن عن الفكرة الاولى التي أظهرت هذا المشروع الى الوجود وأخرجته عملا بارزاً ، مستوفياً جميع الشرائط والاحوال التي تمهد له سبل الكمال ، فلقد نشرنا لهم عن ذلك في هذه الجريدة فصولا ، قامت على الحقيقة ، واستندت الى الواقع ، ونطقت بفضلها الارقام .

في مكتب معالي المراقب العام

ولقد دخلنا مكتب معاليه ، فاستقبلنا مرحباً ، فرجوناه حديثاً عن المشروع نزين به صفحات هذا العدد الممتاز من الشعب ، فرحب بنا وقال :

لقد عمدت مصلحة المياه في هذه السنة للاقتصاد والتوفير .

ووضعنا للسنة الجديدة القادمة ميزانية للنفقات لا تتجاوز الاربعين الف ليرة سورية ، وأضفنا اليها الوفر الباقي لدينا من ميزانية السنة الماضية وقدره اربعة آلاف ليرة سورية ، وبذلك تكون ميزانية السنة الجديدة اربعة واربعين الف ليرة سورية .

ولقد قدرنا للواردات مبلغ عشرة آلاف ليرة سورية ترد على موازنة المصلحة من مبيع نحو الف متر ماء ، الا ان مجموع ما بيع في السنة الماضية لم يتجاوز الستمئة متر . ولا ننكر ان احوال البلاد الاقتصادية التي تسير من سيء الى اسوأ ، كان لها التأثير الكبير في هذا النقص .

وتقدر نسبة عدد المشتركين بمياه الفيجة من مجموع سكان المدينة ومرافقها العامة بخمسة وعشرين في المئة ، وتعتمد اكثر الدور الباقية في تدارك الماء اللازم لها على السبلان العامة المنتشرة في احياء المدينة والتي يجري ماؤها ليلا نهاراً بعد ان كانت قبل استثمار مشروع جر المياه لا تسيل الا نحو ثلاث ساعات ، ساعتان قبل الظهر ، وساعة بعده .

ومما يسترعي النظر اقبال الاهلين الشديد على الاستقاء من السبلان العامة وهذا دليل على اعتياد الاهلين استعمال مياه الفيجة ليس للشرب فقط بل في جميع الامور المنزلية ، وليس من شك في ان وجود هذه السبلان العامة ، يكون العامل المهم في قلة عدد المشتركين بالمشروع . وقد كان استعمال مياه الفيجة من اعظم العوامل لتحسين الصحة العامة في المدينة ورفع اخطار الامراض السارية وساعد ايضاً على تحسين النسل العام وصحة الاطفال ، وقد كان لمشروعنا هذا الفضل العظيم في عمران المدينة وتزيينها واتساعها كما افاد في الثروة العامة بايصاله الماء الى كثير من الاراضي الواسعة التي اصبحت قابلة للعمران وتحسنت اسعارها ايضاً تحسناً كبيراً .

ومن الملاحظ ان اكبر البيوت ، التي تنشأ حديثاً وتؤجر بقيم حسنة لا يشترك مالكوها باكثر من نصف متر ماء ، لجميع حاجياتها وقل من يشترك بمتر واحد ، وبذلك يظهر ان قيمة النصف متر ، وهي لا تتجاوز الاثنتين وعشرين ليرة ونصف الليرة ذهباً ، ليست فاحشة بالنسبة لتوفر هذه المادة الاساسية التي تصبح ملكا ابديا ، يسيل بلا انقطاع ولا توقف .

ولست ألفت نظرك الى ضآلة هذه القيمة التي تدفع في دمشق

ثمناً للماء بينما تدفع مثل هذه القيمة في المدن المجاورة لقاء أجور الماء لمدة سنتين او ثلاثة ، ولأجل هذا لا ترى لجنة مشروع عين الفيجة اي مجال للتفكير او البحث في شكاوى البعض القليل من غلاء الاثمان .

رخص قيمة متر المياه

واست انكر ان هناك من يطالب ، بتنزيل قيمة متر المياه ؛ ويقول بكثرته . ولكن الواقع ان هؤلاء ابطرتهم النعمة ؛ ونحن لو عدنا الى تطبيق المادة السادسة من نظام جمعية ملاكي المياه بمدينة دمشق التي تقول :

يقسم مجموع النفقات المحددة بالكشوف التخمينية لنفقات المشروع على خمسة آلاف متر والخارج من هذه القسمة هو ثمن المتر الواحد .

وبهذا تكون قيمة المتر الواحد خمسة وخمسين ليرة عثمانية ذهباً ذلك لان مجموع نفقات المشروع بلغت نحو ٢٧٠٠٠٠ ليرة عثمانية ذهباً .

لذلك نرى ان طلبات هؤلاء الذين يقولون بغلاء ثمن المتر الواحد ؛ لا تقوم على اساس معقول لا بالنسبة فقط الى نص المادة السادسة ؛ بل بالنسبة لما يدفعه اهالي المدن المجاورة ثمناً للمياه .

تقوية الشبكة الداخلية للقساطل

وبناء على الضرورة المبرمة التي وجدناها فقد قررت اللجنة العامة تقوية الشبكة الداخلية للقساطل وبعد ان تم الاتفاق بيننا وبين وزارة المالية على تسوية الديون التي كان المشروع مديناً بها لها فقد ارسلت اللجنة كتابا الى وزارة المالية تطلب اليها الموافقة على طرح مسألة

الشبكة الداخلية في المناقصة وشرحت لها العوامل والاسباب التي تقضي بسرعة تمديد هذه القساطل فوافقت الوزارة ، وطرحت المناقصة وبما ان محلات السادة ميخائيل صحناوي واولاده قدمت افضل الشروط والاسعار المناسبة لذلك قررت اللجنة قبول عرضهم بعد الاتفاق على تعديل بعض الشرائط .

وقد أبلغت ادارة مصلحة المياه المتعهدين الذين وقعت المناقصة عليهم وجوب القيام بتنفيذ التعهد ، وستدفع اللجنة قيمة انشاء شبكة القساطل الداخلية على ثلاثة اقساط : القسط الاول بعد وصول القساطل واستلامها ، والقسط الثاني بعد الاستلام بتسعة اشهر ، والقسط الثالث بعد دفع القسط الثاني بسنة ، وبذلك يمكن تقسيم هذا التعهد على ثلاث سنوات يدفع القسط في كل سنة من اصل موارد الاستثمار .

وبذلك يمكن القيام بهذا العمل الضروري بالسرعة الممكنة وبهذه الطريقة الحسنة ترون ان مصلحة المياه تقوم بتوسيع الشبكة الداخلية وتأمين ضغط المياه في انحاء المدينة البعيدة عن الخزانات التي يشكو بعض مشتركيها من ضعف الضغط كالميدان الفوقاني وباب توما كما ان اللجنة ستتمكن من انشاء قسطل خاص في الاحياء الجديدة المنوى افتتاحها حتى باب الجابية وينفق على ذلك من موارد ميزانية الاستثمار .

تسوية الديون وتأجير الشلال

في ابتداء السنة الحاضرة ، اي في خلال كانون الثاني ١٩٣٥ كلفت الحكومة لجنة عين الفيجة درس مشروع اتفاق قدمته لاستئجار شلال الهامة ، على ان يكون لها الحق بايجاره لشخص ثالث وقد

كانت الشرائط المقدمة لا تحتوي الضمانات الكافية لتأمين حقوق المشروع المالية والفنية ولذلك قدمت لجنة عين الفيجة اقتراحات مقابلة ، وبعد ابحاث طويلة استغرقت مدة غير قليلة مع ممثلي الحكومة ، تم الاتفاق نهائياً على عقد اتفاقيتين تتعلق الاولى بايجار شلال الهامة وتحتوي على الشرائط الفنية والادارية التي تتعلق بالمياه ومؤسسات المشروع فنياً واداريا . وتتعلق الاتفاقية الثانية بتسوية الديون والسلف التي لخزانة الدولة السورية على المشروع وقد وافقت اللجنة بعد وضع الاتفاقيتين بالصيغة النهائية وتوقيعها من رئيس مجلس الوزراء بالوكالة عليهما وصدقت الاتفاقيتان المذكورتان من المفوض السامي .

ولا شك ان وضعية اللجنة المالية قد اصبحت حسنة وواضحة بالنسبة لعلاقاتها مع الحكومة .

ولقد قدرت قيمة اجار الشلال للحكومة بمئتين وخمسين الف ليرة سورية ، اي بخمسة واربعين الف ليرة عثمانية ذهبية حسمت من اصل ديون الحكومة .

وقسطت بقية الديون التي لوزارة المالية على المشروع بعد تنزيل قيمة الاجار ، على اقساط متساوية لمدة عشرين سنة في حال قبول الشخص الثالث لاخذ امتياز باستثمار شلال الهامة وعلى اقساط لمدة ثلاثين سنة اذا رفض الشخص الثالث استئجار الشلال المذكور . وسوف لا تتجاوز قيمة القسط الواحد عشرين الف ليرة سورية سنويا في حالة ايجار الشلال للشخص الثالث او في حالة الرفض .

وبذلك قد خطا المشروع خطوة كبيرة في سبيل تقوية مركزه

المالي والاداري وسيتمكن في المستقبل القريب من القيام بالاعمال الانشائية الاضافية التي يقتضيها ويتطلبها هذا المشروع العظيم .

استرداد الرسوم الجمركية

ما زالت لجنة عين الفيجة تبذل جهدها لانهاء قضية استرداد الرسوم الجمركية التي دفعتها اللجنة لدائرة الجمارك وقد كانت اللجنة ارسلت كتابا الى سعادة مندوب المفوض السامي بدمشق ترجو فيه التوسط لدى مفتشية الجمارك العامة لارسال خبير من قبلها للاطلاع على جميع الاعمال الانشائية التي تمت في مشروع اللجنة ، وتقدير قيم المواد الانشائية التي استهلكت فيه ودفعت جميع رسومها الجمركية ، لتنظم بعد ذلك معاملة استرداد هذه الرسوم .

وأرسلت مفتشية الجمارك الخبير المسيو كوبنا وقام هذا بالتفتيش على اعمال المصلحة واطلع على الوثائق الموجودة لدى الادارة والقيود وسائر المعاملات اللازمة وقد فهمنا ان قيمة الرسوم التي قرر الخبير المذكور ان من حق اللجنة استردادها تبلغ نحو خمسة عشر الف ليرة سورية ، ذلك لانه لم يعتبر من المواد التي استهلكها المشروع والتي تعاد رسومها الا الحديد والشمينتو فقط في حين ان مواد ذات قيمة استهلكت فيه كالخشب والديناميت والمواد الحديدية وغيرها واللجنة لا تزال تحتفظ برأيها في صدد هذه المسائل وهي تنتظر الاطلاع على تقريره ومعرفة المبلغ الذي يقترح اعادته الينا ، ونحن لا نظن انه سيقل عن خمسة وثلاثين الف ليرة سورية . كما انه ارسلت المفوضية مفتشاً مالياً دقق في حسابات المشروع تدقيقاً كلياً وأرسل تقريره بالثناء والاعجاب .

وهكذا كان سير هذه المسألة حسناً ، وستكون نتائجها العملية موافقة لمصلحة المشروع وسترصد هذه القيمة المستردة مع باقي السلفة الاخيرة الموجودة لدى وزارة المالية لحساب المشروع والتي تبلغ ١٢٥٠٠ ليرة سورية لتسديد حسابات المتعهدين اصفر وساره بعد انتهاء قضية الديون القائمة بيننا وبينهم .

ولكن الحكومة لم تدفع شيئاً من الرسوم الجمركية التي قدمها هذا المشروع ولا تزال تتقاضى الرسوم الجمركية على سائر أدواته وقساطله ومواده .

انتهاء الحديث

الى هنا انتهى الحديث ورأينا انا قد شغلنا من وقت معالي لطفي بك الحفار ، اكثر من اللازم ، فشكرنا لمعاليه معلوماته القيمة التي أفضى بها الينا وودعناه شاكرين .

تمّ

الجزء الاول

فهرس

الصفحة	الموضوع
٢	بين يدي القارىء
٧	لطفي الحفار في تاريخ حياته
١٣	الاتراك والحضارة العربية
١٨	التجارة عند العرب (محاضرة)
٢٤	الوحدة الفكرية
٢٨	الاندية التجارية
٣٣	اللغة العربية في لبنان
٣٦	احتجاج تجار دمشق
٤١	الغرف التجارية ، واجباتها
٤٦	كيف نشأت فكرة مشروع عين الفيجة
٥٨	معضلة الجمارك بين سوريا ولبنان (١) و (٢) و (٣) و (٤)
٧٣	المصرف السوري : تجديد امتيازه
٧٧	بين القديم والحديث : أحب كتاب العربية
٨١	يكذبون ولا يستحون !
٨٥	بعد العودة من المنفى
٨٩	الشرق والاعمال الاقتصادية
٩٥	تحية دمشق لاعضاء الوفد السوري
١٠٧	الدستور صخرة النجاة

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
١١٠	رد طلب حذف المواد الست
١١٥	بعد اغلاق الجمعية التأسيسية
١٢٠	حديث عن مشروع عين الفيجة
١٢٦	التقرير الاقتصادي للمؤتمر الصناعي التجاري
١٤٤	الخطاب الختامي للمؤتمر الصناعي التجاري
١٤٨	حديث عن ادارة الجمارك
١٥٥	احياء الصنائع الشرقية
١٦٠	دعايتنا الخارجية : ضعفها
١٦٤	هذا رأينا الصريح
١٧٠	كلمة الوفد السوري
١٧٢	صيانة الدستور من عبث المحتلين
١٧٧	الازمة الاقتصادية : حديث عنها
١٨٣	مشروع عين الفيجة في مراحله التاريخية
١٩١	تقاوم الاحتكار ...
١٩٦	في حفلة افتتاح بنك مصر ـ سوريا ـ لبنان
١٩٩	حماية المرافق الوطنية
٢٠٤	حالة البلاد الاقتصادية : داؤها ودواؤها
٢٠٩	تضحية البلاد ...
٢١٢	جلالة المرحوم الملك (حسين) في حفلة تأبينه
٢١٦	العلاقات الاقتصادية بين مصر والشام
٢٢٢	المجاهد الشهيد المرحوم عمر المختار

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢٢٦	الى رجال الاحياء الميامين
٢٣١	السياسة الوطنية
٢٣٣	الاحتفال بتدشين مشروع عين الفيجة ، خطاب هام
٢٤١	الصعاب والعقبات التي صادفها مشروع عين الفيجة (للتاريخ)
٢٤٦	الحقائق والارقام تتكلم (حديث)
٢٥٣	المؤتمر الاقتصادي العام
٢٥٦	مؤتمر الغرف التجارية
٢٦٢	موقف الكتلة الوطنية . وموقف رئيس الجمهورية
٢٧٠	انجع الوسائل (التطويق البريطاني)
٢٧٦	الهجرة الصهيونية هدامة مخربة ...
٢٨١	سنعمل ونجاهد حتى نصل الى أهدافنا
٢٨٨	في الحفلة الوطنية الكبرى بحي الميدان
٢٩٠	مشروع عين الفيجة (حديث عنه)

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٦	١١	اضعافاً	اصنافاً
٦٨	٨	امام	ايام
٧٥	٣	نود	بنقود
٧٦	٨	فقر	قفر
٨٣	١٢	يهتمون	يتهمون
٢١٠	٧	بنسبة	بالنسبة
٢١٨	٢٠	٢٧٦ القيمة	القيمة ٧٥٢٧٦

956.9
H119
1

JUL 30 1956